المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الثالث والتسعين

١ ديسمبر سنة ١٩٣٨ — ٩ شوال سنة ١٣٥٧

حصاد الصيف

في حقول العلم

١ – أطوار النبات

لحياة النبات صلة وثيقة بحياة الحيوان . بل ان حياة الحيوان بوجهٍ عام تعتمد في آخر الامر على عالم النبات . فنمو النبات موضوع عني به الانسان عناية متناقلة في الماضي . وقد كانت مباحثهُ تنصرف في الغالب الى دراسة العوامل الخارجية التي تؤثر في النمو كالتضوء والحرارة والماء . فوجد الباحثون لكل نبات درسوه حالة معينة هي مزيج من هذه العوامل تتيح لذلك النبات أقصى النموّ . ولكن اذا أحطنا نباتاً بالعوامل الخارجية المتباينة التي تتيح لهُ أقصى النمو وجدنا مع ذلك عوامل داخلية تؤثر في ذلك النموّ ، فلا نستطيع ان نسيطر على نمو النبات إلاّ اذا عرفنا هذه العوامل وكيف تؤثر فيه

وقد تقدم هذا البحث تقدماً يذكر في السنوات العشر الاخيرة . فكشف العلماء ان في تركيب النبات مواد كيماوية تضبط نموّهُ على نحو ما تؤثر مفرزات الغدد الصم كالنخمية والدرقية والكظية وغيرها في ضبط نموّ الانسان . والى القارىء جانباً من الاسلوب العلمي التجريبي الذي جرى عليه العلماء في دراسة هذه الناحية من نمو النبات . وجلّ هذه التجارب قام بهِ جماعة من علماء الفسيولوجيا النباتية في معهد كاليفورنيا التكنولوجي

ولعلَّ خير ما نبدأ به البحث في هذا الموضوع هو التدقيق في تمييز كلمة هرمون hormone (تـوُّر) عن كلمة فيتامين vitamin

فمن نحو ستين سنة قام عالم يدعى ساكس Julius Sachs وهو المعروف بلقب (أبي فسيولوجيا النبات) فذهب الى ان تأثير جزء من نبات ما في أجزاء أخرى من ذلك النبات وتنسيق أعمال الاجزاء المختلفة يجب ان يسند الى مواد كيماوية معينة في النبات نفسه. وكان الاساس الذي استند اليه في مذهبه هذا أساساً نظريًّا. ومما قاله ان مقادير هذه المواد في النبات صغيرة جدًّا ولكنها مركزة. وميَّز بين هذه المواد والمواد الاخرى التي تعتبر غذاءً ومقاديرها في أجسام النباتات كبيرة

وبعد ما انقضى نحو ربع قرن على قول ساكس هذا ثبت لبعض علماء الفسيولوجيا ان هناك مواد كيماوية معينة تقوم بمهمة الرسل بين اعضاء الجسم فتنسق اعمالها وأطلق عليها العالم ستار لنغ سنة ١٩٠٤ لفظ هرمون وقد وضع لهُ الدكتور محمد شرف لفظ (تـوُّر) ومعناه الرسول بين القوم وانما يسهل تخصيصهُ للمعنى العلمي لندرة استعماله بمعنى الرسول في الكلام العربي او الكتابة

فالتوُّر اذاً مادة تولد في ناحية من الجسم وتنتقل الى نواحٍ أخرى من الجسم في مقادير يسيرة جدًّا فتحدث تأثيراً فسيولجيًّا معيناً

اما الفيتامينات فهي مواد كيماوية معينة يحتاج اليها جسم الحيوان ولكنه يعجز عن تركيبها[1] الاَّ ان الحيوانات تستطيع الحصول عليها من النباتات لان في وسعها ان تصنعها نتيجة لعمل التركيب الضوئي Photosynthesis. والفيتامين كالتوُّر يحتاج اليه الجسم لانهُ يحدث فيه افعالاً فسيولوجية معينة. أما التوُّر فتولده اعضاء الجسم. وأما الفيتامين فيجيئه من الخارج عن طريق الطعام الذي يحتوي عليه

والتمييز بين التوُّر والفيتامين ليس حاسماً. فمادة معينة قد تكون توُّراً لجسم ما وفيتامياً لآخر. فالحامض الاسوربيك (فيتامين C) لا يتولد في اجسام الحيوانات العليا ولا بد لها في سبيل الحصول عليه من تناوله من الخارج. الاَّ ان الجرذ يستطيع ان يركب هذا الحامض في كبده فهو اذاً من التوُّر جسم الجرذ حالة انهُ فيتامين بالقياس الى الحيوانات العليا

ولا يخفى ان من مظاهر النمو في النبات، كانتشار البزوة واستطالة الفرخ وتفتح الزهرة ما سببه كبر حجم الخلايا النباتية. وكبر حجم الخلايا يتأثر بعوامل داخلية متعددة في مقدمتها مادة كيماوية معينة، هي في الحقيقة توُّر يدعى اوكسين auxin. فلننظر الآن في بعض التجارب

(١) راجع مقال الدكتور جيمس بونر Bonner في مجلة النشرية العلمية عدد نوفمبر ١٩٣٨ صفحة ٤٣٩ في آخرها وعليه الاعتماد في هذا التلخيص

التي اجريت لاثبات فعل هذه المادة وانهُ شبيه بفعل « النَّوْر » في جسم الانسان

عندما ينمو فرخ الزبير (او الشوفان Oats) يحيط بكل ورقة من أوراقهِ غمد مفرغ يدعى coleoptile . هذا الغمد يستطيل من بضع واحد او ملمترين الى اربعة ملمترات ولا يحدث انشطار الخلايا خلال مدة الاستطالة الاَّ قليلاً . فكلُّ نموٍّ الغمد هو استطالةٌ في خلاياه

***

فدراسة العوامل التي تؤثر في نمو الغمد واستطالة خلاياهُ تصلح ان تكون مجالاً لتجريب التجارب بغية الوقوف على تأثير الاوكسين فيها . وغمد ورق الزبير لا ينمو من طرفهِ ولا من قاعدته بل من الوسط اذ تستطيل المنطقة المتوسطة بين الطرف والقاعدة . فاذا ازيل طرف الغمد اي اذا قطع رأسهُ نقص معدل النمو في المنطقة المتوسطة نقصاً كبيراً . ولكن اذا أعيد الطرف المقصوع بعيد قطعهِ ووضع على الغمد الذي قطع رأسهُ ظهر ان النقص في معدل النمو لا يكون بيناً . واذن فرأس الغمد يؤثر في معدل نمو المنطقة المتوسطة ، وهذا التأثير يمكن نقله ولو قطع الرأس وأعيد وضعهُ على المقطع . بل اذا وضع غشاء رقيق من الهلام (الجلاتين) بين الرأس المقطوع ومقطع الغمد استطاع الرأس ان يحدث التأثير نفسهُ . واذا اخذ الرأس المقطوع ووضع على جانب الغمد احدث تأثيره المعروف ولكن التأثير يقتصر على الناحية التي وضع عليها ، فيزداد نمو هذه الناحية ويفوق نمو الناحية الاخرى ، وكذلك ينحني الغمد

ولكن كيف نعلم ان تأثير الرأس في نمو المنطقة المتوسطة يرجع الى مادة كيمياوية هي من قبيل الاوكسين تفرزها الغدد الصم في الجسم . هذه الناحية من البحث تعهدها الاستاذ ونت Went بتجربة اصبحت مثالاً يحتذى في مثل هذه البحوث

***

ازال الاستاذ ونت رأس الغمد الذي قطعهُ ثم وضعهُ على طبقة من الاجار وهي المادة التي تستعمل في المعامل البكتيريولوجية لاستنبات الجراثيم . ثم رفع الرأس المقطوع عن الاجار وقطعهُ ثم وضع طبقة الاجار التي كانت تحت الغمد وأعاد أعراض النمو في منتصف الغمد اي ان العامل الباعث على النمو في رأس الغمد انتقل الى الاجار ومنهُ الى منتصف جسم الخلية النباتية . واذن يصح القول بأن أعراض النمو هذه ناجمة عن مادة كيمياوية

ثم التجربة الكمية (quantitative) لتعيين عامل النمو ، فتقوم على أخذ مكعب من الاجار الذي تطرقت اليهِ المادة الكيميوية وإلصاقهِ بجانب الغمد بعد تقصفهِ فينمو من هذه الناحية أكثر مما ينمو من الناحية المقابلة فينحني فيقاس انحناؤه ويتخذ انحناؤه مقياساً لمقدار ما في

المكعب من عامل النمو . فاذا طبق هذا الاسلوب تطبيقاً دقيقاً كان في الوسع قياس تركز مادة النمو هذه في الاجار قياساً لا يختل من الخطاء أكثر من ٥ في المائة

والعلماء الباحثون يعلمون الآن ان مقدار هذه المادة في رأس النمد صغيرة جداً . فاذا قضى عشرون رجلاً ١٢٥ سنة ولا همَّ لهم الاَّ قطع رؤوس الاعماد من ورق أفراخ الزمير لكي يستخلص منها « عامل النمو » هذا لما كفى ما يقضون الاَّ لاستخلاص ما وزنهُ غرام واحد

الاَّ ان الباحث على الاستغراب ان بول البشر يحتوي على مقادير غير يسيرة من هذه المادة وقد بدأ باحثان من علماء الكيمياء العضوية بهولندة اسمهما فرتز كوجل Kögl وهاجن سمت Haagen-Smitt يبذلان ما في طاقتهما من الحيلة العلمية لاستخراجها من البول . وكانا يطبقان طريقة المكعب « الاجاري » في امتحان المادة التي يستخلصانها في كل مرحلة من مراحل البحث وبعد ان ركزا المادة البولية التي شرعا في بحثها مائة الف مرة تمكنا من الحصول على مادة مبلورة اذا وضع منها مقدار يسير جداً (٢ × ١٠- ١١ من الغرام) في مكعب اجاري ووضع هذا المكعب ملاصقاً لمنتصف النمد (في فرخ الزمير) انحنى النمد مقدار عشر درجات . وقد استخلص هذا الباحثان مقداراً لا يكاد يبلغ وزنه غراماً ولكنهُ مع ذلك كان كافياً للبحث الكيمياوي فيه بغية معرفة تركيبه الكيمياوي . وقد أطلق كوجل عليه اسم أوكسين auxin او بالحري أوكسين — (ا) لان هناك مادة أخرى تشبهه وانما يختلف تركيبها الكيمياوي عنهُ بعناصر جزيء من الماء وقد دعي اوكسين — (ب)

***

وبعد استخراج الاوكسين استخرجت مادة أخرى تؤثر في نمو الخلية النباتية تعرف باسم « الحامض إندول — اسيتيك » الاَّ ان هذه المادة لا تتولد في النبات الحيا ولكنها تتولد بفعل البكتيريا والفطر نتيجة ثانوية لفعل التمثيل فيها . غير ان تركيبه بالتأليف الكيمياوي في المختبر الكيمياوي مستطاع وذلك مؤيد كشفهُ الى تجربة التجارب بعامل آخر من عوامل النمو المستخلصة من النبات

وليست ناحية الاستطالة في خلايا النمو هي الناحية الوحيدة التي يسيطر عليها الاوكسين بل هو يسيطر كذلك على ناحية سيرها من حيث اتجاهها الى الشمس او الجاذبية أو انحرافها عنهما Phototropy فالمعروف انهُ اذا وقع ضوء الشمس على النبات كان نموهُ حيث هو متجه الى الشمس اكثر منه حيث هو منحرف عنها . وقد ثبت الآن انهُ يمكن تفسير ذلك بتوزيع الاوكسين في النبات نفسه وذلك تجربة خاصة أشبه بالتجارب السابقة ضرب الآن صفحاً عنها

٢ – الطائرات الطخرورية[1]

رنا الانسان الى الطيور سابحة في الفضاء فطمح الى مجاراتها . فلم يتسنَّ له ذلك الاَّ في القرن العشرين . فما استقام لهُ الطيران بأجهزة أثقل من الهواء في مستهلّ هذا القرن الجديد أولاً وسيلة للرياضة ثم طريقاً من طرق المواصلات . ولو لم تكن الطائرات أسرع من القطارات والسفن لما تعرَّض الانسان للمغامرة في ركوب متنها . فالسرعة من أهم البواعث على العناية بالطيران . وقصب السرعة الآن يبلغ نحو ٤٤١ ميلاً في الساعة . او نحو ٦٤٦ قدماً في الثانية وهي سرعة تبلغ نصف سرعة الرصاصة المنطلقة من فوهة مسدَّس . واذا القينا بجسمٍ من قمة بناية « الامبير ستيت » بنيويورك البالغ علوها ١١٠٠ قدم تقريباً كان متوسط سرعته بين القمة ورصيف الشارع نصف سرعة أسرع الطائرات ، حتى اذا صرفنا النظر عن مقاومة الهواء لهُ في هبوطهِ . ولا يمكن ان تبلغ سرعة جسم هابطٍ من علٍ سرعة أسرع الطائرات الاَّ اذا أُلقي من قمة ارتفاعها ٦٤٠٠ قدم

إلاَّ ان السرعة العملية للطائرات المستعملة الآن تبلغ نحو ١٦٠ ميلاً في الساعة . الطائرات التي تحطُّ على الارض و٢٠٠ ميل في الساعة للطائرات المائية او « السفن الطيارة » . وهي سرعة لا بأس بها بالقياس الى سرعة القطارات والسفن . فهي تفوق أسرع القطارات ضعفين وأسرع السفن نحو سبعة اضعاف . ومن المرجح — في رأي ميكورسكي المشهور بهندسة الطائرات وصنعها وعنهُ نلخص من مقال نشر لهُ في مجلة جزال الكتريك — ان الاعتبارات العملية ستجعل سرعة الطائرات التجارية في العقد المقبل تتفاوت بين ٢٠٠ ميل و٣٠٠ ميل في الساعة

***

لا يخفى ان سرعة الطائرات زادت تسعة اضعاف في الثلاثين السنة الاخيرة وعلى هذا القياس زعم بعضهم ان سرعتها ستبلغ خلال ربع القرن المقبل الف ميل في الساعة . إلاَّ أن البحوث الحديثة قد أثبتت ان انسياب الهواء حول أجنحة الطائرات يتغير عند بلوغ سرعة الطائرة سرعة الصوت أي ٧٦٢ ميلاً في الساعة عند مستوى سطح البحر . والتأثير الضار لهذا التغير في انسياب الهواء يبدأ في الظهور عند ما تبلغ سرعة الطائرة ٥٠٠ ميل في الساعة .

---

(١) الطبقة الطخرورية . تقابل stratosphere . والطخارير في لسان العرب من السحاب قطع مستدقة رقاق واحدها طخرور وطخرورة . وهذا الوصف يقابل المراد من لفظ Cirrus في وصف الغيوم وهو ضرب من الغيم يكثر في المنطقة العالية من الهواء الموصوفة بلفظة « ستراتوسفير » الانجليزية المعنية .

فاذا جمعنا الى ذلك أنهُ اذا زادت سرعة الطائرة على ٤٠٠ ميل في الساعة زادت نسبة ما تحتاج اليه من الوقود وأنهُ اذا تعدّت السرعة ٥٠٠ ميل في الساعة نقصت كفاءة المحرّك ، اصبح من المحتم علينا ان نقرّر ان سرعة الطائرة المثلى قد لا تتعدّى ٥٠٠ ميل في الساعة زمناً طويلاً

واذا التفتنا من اقصى سرعة الطائرات الى اعلى ما حلّق اليه الطيارون ظهر لنا أن قصب السبق في هذا الميدان للبلون لا للطائرة . ذلك ان ضابطين من ضباط الجيش الاميركي حلّقا ببلون الى ارتفاع ٧٢٣٩٥ وذلك في سنة ١٩٣٥ فعندما بلغا ذلك المرتفع كان ٩٥ في المائة من كتلة الغلاف الغازي الذي يحيط بالارض تحتهما . والخمسة في المائة الباقية فوقهما وهي هواء لطيف النطف كلهُ . اما قصب السبق في التحليق بطائرة فللضابط البريطاني آدمز وهو ٣٣٩٧٦ قدماً . ولذلك اتجه نظر المهتمين بشؤون الطيران الى امكان الارتفاع بالطائرات الى ٣٠ او ٣٥ الف قدم فتسير حينئذٍ في جوّ اللطف من الجوّ الذي على ارتفاع عشرة آلاف قدم فتزيد سرعتها زيادة كبيرة من غير ان يقابل ذلك زيادة مماثلة في الوقود التي تحرقهُ

وقد كانت الصعوبة من بضع سنوات في صنع طائرات تستطيع الطيران في هذا الجوّ اللطيف ولكن المهندسين والمخترعين تمكنوا من التغلّب على هذه المصاعب الفنية . وغدا الحدُّ الذي تستطيع الطائرات التجارية الارتفاع اليه السفر التجاري مقيداً بقدرة الركاب الصحية لا ببناء الطائرات الفني . فمعظم الطائرات الحديثة تستطيع الطيران على ارتفاع عشرين او خمسة وعشرين الف قدم ومع ذلك فلا تراها تتجاوز في تحليقها ارتفاع ١٢ الف قدم الى ١٥ الف قدم . وسبب ذلك ان ضغط الهواء على القدم المربعة عند سطح البحر يبلغ ٢١١٦ رطلاً . والرجل السليم يستطيع ان يتحمل انخفاض الضغط دون تعب يذكر اذا بلغ الضغط ثلثي الضغط السوي اي انهُ يستطيع الارتفاع بطائرته الى علو [illegible] قدم حيث يكون الضغط ثلثي الضغط على سطح البحر . ثم اذا ازداد الارتفاع وقلّ الضغط عن ثلثي الضغط السوي الى نصف ازدادت المصاعب التي يعرّض لها وقتاً طائلة الصحية . وقلّ من الناس من يستطيع العيش حيث يكون الضغط اقل من نصف الضغط الـ[illegible] على سطح البحر . فتضطر الطائرة الى الارتفاع الى علو ١٨٠٠٠ قدم . فكل طيران يتمّ فوق مستوى ١٨٠٠٠ قدم يقتضي بناء خاصاً في الطائرة يجعل الضغط داخلها اكثر مما هو في الخارج

وعلى الرغم من المصاعب الهندسية التي تعترض صنع طائرات من هذا القبيل يعتقد سيكورسكي ان صنعها أصبح ممكناً ولكن ذلك يفضي الى زيادة وزن الطائرة ونفقات الطيران . ففي الامكان على ما يقول ان تصنع طائرة ذات حجرة محكمة الاقفال يضغط فيها الهواء بأجهزة آلية بحيث

يكون الضغط داخلها مقابلاً لضغط على ارتفاع ٨٠٠٠ الى ١٠٠٠٠ قدم. وهذا يعني ان الضغط خارج الحجرة يكون ٧٨٥ رطلاً على القدم المربعة اذا كان ارتفاع الطائرة ٢٥ الف قدم حالة ان الضغط داخلها لا يزيد على ١٥٧٢ رطلاً على القدم المكعبة

ولذلك يجب ان تكون هذه الحجرة متينة البناء يصح الاعتماد على متانتها لانه اذا دخل فيها ما افضى الى نقص الضغط داخلها كان ذلك سبباً في زهاق ارواح بريئة لانه اذا نظر بين الناس من يستطيع الصبر على الضغط الخفيف على ارتفاع ٢٥ الف قدم فلن يقوى على تحمله أحد اذا كان الارتفاع ٣٥ الف قدم او فوق ذلك

أما الفوائد التي تنشأ عن الطيران في الطبقة الستراتوسفيرية من الهواء فأهمها فائدتان زيادة السرعة بغير زيادة ما يتفق من الوقود، والطيران فوق منطقة الاضطرابات الجوية لان حالة الجو على هذا الارتفاع مستقرة فيفضي ذلك الى راحة المسافرين والدقة في تنفيذ برامج السفر. وهاتان الفائدتان تجعلان السفر الجوي في الطبقة الستراتوسفيرية مستحبًّا والغالب ان يصبح تحقيقه ممكناً في المستقبل القريب

ويعتقد المخترع سيكورسكي ان حجم طائرات المستقبل لا حدَّ له من الوجهة الهندسية. ولكن العوامل الاقتصادية وضرورات السفر تقتضي أن لا تكون الطائرات بالغة مبلغاً عظيماً من الضخامة. فالسفر الجوي مطلوب لانه سريع. والسرعة تقتضي ان يكثر قيام الطائرات في مواعيد معينة. فالخطاب الذي يرسل بالباخرة من نيويورك الى لندن قد يستغرق خمسة أيام أو ستة. فإذا كانت الطائرات ضخمة ولا تقوم من نيويورك الى لندن الا مرَّة كل ثلاثة أيام — حتى يتم لها وسق كافٍ — استغرقت رحلة الخطاب بين الانتظار ومدة السفر نحو أربعة أيام فتنقص بذلك قيمة البريد الجوي. ولكن اذا كانت الطائرات معتدلة الحجم وتقوم كل يوم كان في الوسع ان ينقل الخطاب من نيويورك الى لندن في يوم واحد او أقل

ثم هناك كفايتها من الناحية الاقتصادية كناقلة للركاب. فاذا كانت السفينة تنقل ٢٥٠٠ مسافر من نيويورك الى لندن في أسبوع، فقد يخطر لنا انه لا بدَّ من ٢٥ طائرة تنقل كل منها ١٠ مسافرين لتحل محلها وتؤدي الخدمة نفسها. والواقع ان خمس طائرات تكفي لأداء ما تؤديه السفينة تقوم بسفرة واحدة بين المدينتين في أسبوع فالطائرة تستطيع أن تقوم بخمس سفرات في المدة عينها. وانما المهمُّ ان تكون أجرة السفر بحيث يكون ثمنها من ربع وركاب كاملاً في كل سفرة تقوم بها والاَّ تعرضت الشركة التي تديرها للخسارة

وهذا يبين ان العوامل الاقتصادية ستكون ذات شأن كبير في تعيين حجم الطائرة وسرعتها قبل ان تنفذ حيلة المهندسين في تكبيرها

ثم هو يعتقد انهُ في الوسع صنع طائرات او سفن طائرة يكون حملها ٥٠٠ طن أو حتى ألف طن او اكثر لالف او اكثر من المسافرين . ولكنهُ يعتقد في الوقت نفسه ان صنع مائة طائرة يكون كل منها يحمل ٢٥٠ طنًّا وتكثر مواعيد قيامها وسفرها يؤدي الى السفر الجوّي خدمة أعظم من الخدمة التي تؤديها بضع طائرات ضخمة وان هذه الطائرات (التي يحملها ٢٥٠ طنًّا) ستبقى عماد السفر الجوّي خلال الخمسي والعشرين السنة المقبلة . والراجح عنده ان الطائرات المروحية لا تتعدّى خلال هذه المدة ٥٠ طنًّا الى مائة طن

أما السفينة الجوّية التي يحملها مائة طن فتحقيقها منتظر — في رأيه — في المستقبل القريب. فهو يزعم انهُ لا تنقضي سنوات حتى يصبح في الوسع اجتياز المحيط الاطلنطي في عشرين ساعة في طائرات تحتوي كل منها على خمسين حجرة كحجر السفن الضخمة ويهو لتناول الطعام يمكن ان يتحول مرتفعاً في الليل وحجر خاصة بالتدخين ومكتبة اي ان السفينة الجوية المرتقبة في المستقبل القريب لا تختلف كثيراً عن يخت فاخر

وتصميم سفينة جوية من هذا الطراز يقتضي ادخال عناصر هندسية مستحدثة . فقوة الطيار العضلية لا تكفي لتحريك الاجهزة المسيطرة على حركة الطائرة ولذلك يجب ان تدار هذه الاجهزة بأساليب ميكانيكية. وبدلاً من ان تكون الاجهزة المولدة للقوة المحركة في مقدمة الطائرة لا بد في ايرائها في الاجنحة في غرف خاصة بها حيث يشرف على مراقبتها ميكانيكيون مختصون. ولا بد كذلك من اجهزة لتغذية المحرك عند الطيران في الطبقة الطخرورية وأخرى لضبط الحرارة في حجر المسافرين ولا سيما لتدفئتها عند ما تمضي الطائرة بسرعة ٢٥٠ ميلاً في الساعة في جو قد تبلغ درجة برده خمسين درجة مئوية تحت الصفر

الا ان هذه المسائل الهندسية اصبحت خبز مهندسي الطيران وماءهم وسيكورسكي لا يستبعد مطلقاً ان يشاهد السفر الجوي في الطبقة الطخرورية في سنة ١٩٥٠ فيغدو في مكنتك ايها القارىء الكريم ان تطير من نيويورك الى اوربا في ١٥ الى ١٨ ساعة وفي اليوم التالي الى شرق آسيا او استراليا او ان تشترك مع غيرك في رحلة من نيويورك الى القطب الشمالي ، او منها الى جاهل الامازون ، ذهاباً وإياباً فتستغرق من ثلاثة ايام الى أربعة

وقد يستلزم شيء جديد في خلال ذلك يحتم على مهندسي الطيران ان يبتروا كثيراً مما يرتقونهُ . فاذا كشفت طريقة اقتصادية لأمونة الجانب مثلاً لاستعمال الايدروجين السائل وحده أفضى ذلك الى تغيير كبير في الطيران التجاري البعيد المدى اذ يصبح في الوسع حينئذٍ ان تطير الطائرة المدفوعة بهذا الوقود حول الارض عند خط الاستواء بغير ان تحط على الارض لتزود أحواضها بالبنزين ! !

المنبر والمحراب في جامع السلطان حسن

جامع السلطان حسن

بقلم
حسن عبد الوهاب
مدير دار الآثار العربية

يعتقد غالب الناس ان عالم الآثار ليس الا مجيباً خاصاً تستمد منه التواريخ والمقاييس وأسماء الاعلام في دقة عجيبة . ولكن ثمة بعض المبالغة من غير شك في اعتبار هذه المعلومات أهم ما في جعبة عالم الآثار ، وانما هي أدوات ضرورية لا غنى عنها ومثلها كمثل ستائر المسرح وما اليها . وقد كتب أحد رجال المجمع العلمي الفرنسي المعروفين يقدم اللاذع « ان السياح كالبوم لا يلازمون غير الخرائب والبلاد الميتة » . فلنشكره على انه لم يقصد علماء الآثار بهذا الكلام . فالواقع ان المستندات الاثرية والحفريات العلمية ليست غرضاً في ذاتها وانما هي تضاعف لنا أسباب الولع بالجمال وتبعثنا على تحبيبه الى قلوب الناس

ان الطريق التي سلكها عالم الآثار وان كانت موازية للطريق التي سار عليها المؤرخ الا انا نلاحظ أحياناً أن كتب التاريخ لا توقفنا من حياة الامة الا على معلومات مشوهة جداً بينما المظاهر الفنية تسمح لنا بتكوين فكرة عنها أشد انطباقاً على الواقع وأكثر صدقاً

وكما ان قراءة كتاب نفيس في وصف اقليم ما تبعث في قلوبنا رغبة شديدة وتغرينا بزيارة ذلك الاقليم لاجتلاء محاسنه ، فكذلك الاعجاب بعمل فني يهيء لنا أسباب تكوين فكرة صحيحة عن البيئة التاريخية التي ولد فيها ذلك العمل الفني وعن مصدر وحي المبدع الذي صوره وأخرجه الى حيز الوجود

وهل ثمة أجمل وأبهى من مسجد السلطان حسن في [illegible] انه لا يدع آثار القاهرة وأكثرها تجانساً وتماسكاً كلاً ووحدة ، وأجدرها أن يقوم بجانب تلك الآثار المدهشة التي خلفتها مدينة الفراعنة . أما الظروف التاريخية المحزنة التي شيد فيها فهي كفيلة بأن تزيد عاطفتنا وتعمق أشواقنا وذلك على الرغم مما فيها من فارقات محير الالباب . والحق انه ليس من الهين ان نصدر حكماً على عصر سلاطين المماليك قد لا نستطيع ان نكتب

(١) نقله الى العربية محمد وهبي احد خريجي معهد الآثار

تاريخهم دون ان يكون للعاطفة دخل في الموضوع . ومرد السبب في ذلك الى المصادر العربية فالمقريزي في العصر الوسيط والجبرتي في العصر الحديث كتبهما مليئة بالمطاعن والمثالب التي لها في بعض الاحيان نصيب من الصحة . والتاريخ لا يمكن ان يكتب مجرداً عن الوقائع كالمسائل الحسابية وانما يجب ان يدرس في علاقته بجماعة او عدة جماعات انسانية . ومن درس المسائل السياسية الداخلية وحدها في مصر في ذلك العصر لا بدّ واجد فيها من المآخذ والمثالب ما لا بد من وقوعه . فالمماليك كما يقول المقريزي كانوا يحلون بالامن ويهاجمون السكان ويذبحونهم وينهبون أموالهم ويسبون نساءهم وأولادهم دون ان يستطيع كائن من كان ان يقفهم عند حدهم وقد كتب غيره يشرح ما كان في نفوس كبار الضباط من أطماع أساسها المصالح الشخصية وحدها ويدلل على جهلهم وضلالهم وفساد خلقهم وان أولئك الرقيق لم يؤتوا من الطيبة ولا من الرحمة مثقال ذرة

غير ان هذا النقد وان كان صواباً فاننا نساء حينما نتأمل الاعمال الفنية التي ابتدعها أولئك الحكام الذين أخضعوا مصر لحكم فردي لا يعرف هوادة ولا رحمة . وانك لواجد في القاهرة حقاً أحجار البناء ناطقة تشدو بعظمة الماضي . واننا لا نفتأ نبحث بأنفسنا في الازقة الضيقة عن مسجد بسيط فنتأمله بأعيننا وكأن جماله قد استحال الى نغمات رنيقة في آذاننا . وعلى طول الطريق بين الجامع الازهر وسور القاهرة الشمالي سلسلة من الجوامع وكأنها نغمات منسجمة متآلفة حتى اذا ما وصلت الى آخرها وجدت أثراً عظيماً . ولكن ما أفخم وما أعظم ذلك النشيد المنبعث من ابراج جامع السلطان حسن التي تتحدى النظر وتحول دون امتداده !

واذا قلبنا الصفحات الجيدة التي سطرها سلاطين مصر في سجل السياسة اصطفينا السلطان حسن وتجلى لنا رمزاً جديراً بالذكر يعبر أصدق تعبير عن نظام المماليك

فالسلطان حسن هو الصورة الحية المطبوعة لذلك النظام الامبراطوري الاسلامي في العصور الوسطى . وهي صورة تمثل بقوة عناصرها الارادة الحديدية والشهامة الخالدة التي امتاز بها أكثر سلاطين المماليك

وانك طعن المؤرخون الغرب ذلك النظام بن حين لا يتصورون وقائعه في سياق واقع على طريقة التأليف العزيزة عليهم فهم مقرون بشطر القرون سنين وتجزيء الكيانات تجزيئاً عماده سرد تاريخ الافراد بدون رابطة تربط الجزئيات ولا وحدة تنظمها

وعلى كل حال فان فترة حكم السلطان حسن ، أو على الاصح فترة حكمه ، اذا انها عدت مرة بين أشد فترات التاريخ هياجاً واضطراباً . ففي المدة من شهر يونيو ١٣٤١ الى شهر ديسمبر ١٣٤٧ الذي هو تاريخ تولية السلطان حسن العرش ، توفي أربعة الملك سنة سلاطين

وجد أحدهم ميتاً في فراشه وقتل الثاني لحسن حظه وقتل الاربعة الآخرون . ثم حكم السلطان حسن مدة ثلاث سنوات من ١٣٤٧ الى أغسطس ١٣٥١ ثم من أكتوبر ١٣٥٤ الى مارس ١٣٦١ ثم قتل وهو لم يتجاوز السابعة والعشرين وكانت حياته زمناً مليئاً بالمؤامرات والثورات التي لا تختلف عما حدث قبل ثورته

فأما مدة حكمه الاولى فقد اقتصر فيها ذلك الطاغون الاسود المرابع من سنة ١٣٤٨ الى ١٣٤٩ واستبد في أمور الحكم بها ، وفي خضم الفترة الثانية كان الضباط المماليك لا ينفكون عن اثارة الشغب والاخلال بالنظام . واذا تذكرنا ان الامراء شيخون وصرغتمش المشهورين اذ خلفا من الآثار ما نراه اليوم على مقربة من جامع السلطان حسن وقد أقرّ المؤرخون بما كان للسلطان من مزايا خلقية كالشجاعة والكرم والورع وفسروا الورع بانه على كتاب في الدين بضعاً وعشرين مجلداً

وعلق أبيرس Ibers على تلك الحوادث قائلاً :

« اننا لا نفهم في سهولة ، اذا نظرنا الى تلك الايام العصيبة ، كيف تمكن السلطان حسن من توفير الوسيلة والمال اللازمين لاقامة جامع يبعث على العجب ألفهم وأكمل بناء في العمارة العربية ، فقد كانت الحقول مجدبة والبيوت من الحطام خالية والطرق لا يجد ماء ودولاب الصناعة واقفاً وأسعار الملح هائجة »

أمر السلطان حسن في الفترة الثانية من حكمه سنة ١٣٥٦ بالبدء في بناء جامعه الذي لم يكمل الا سنة ١٣٦٣ أي بعد قتله بسنتين . وقد تحمس كتاب العصر الوسطى من العرب في وصف ذلك الاثر الخالد . فقال المقريزي [illegible] وقال ابن اياس [illegible] وقال ابن كثير يصف [illegible] بضعاً وعشرين سنة ثم [illegible] وكاد الرأس يستوفي [illegible] سلطان مصر غير قادر على اكمال بناء شيء [illegible] التصميم يكون [illegible] فلما كملت الأبنية [illegible] وقد دهش الكتّاب العرب [illegible] فسجلوا حيرتهم إذ قالوا [illegible] من انحاء الدنيا ولم يكن [illegible] النظير وان يستوحوا فيه أعظم بناء في العالم كله ألا وهو [illegible] ذلك الاثر الذي [illegible] ذلك المهارة التي

أقامهُ لئلا يخطط بناء آخر على مثاله . ولا نقف عند هذه الخرافة طويلاً فهي لاصقة بمباني أخرى كجامع قجماس

قال هرتز ان مساحة جامع السلطان حسن عظيمة فأطول الاضلاع ١٥٠ متراً وعرضها ٦٨ متراً والمساحة الكلية لا تقل عن ٧٩٠٦ أمتار مربعة وارتفاعه عند بابه ٧٠و٣٧ متر. وحيطانه الضخمة المكسوة من الخارج بالاحجار المنحوتة قائمة على أرض صخرية تهبط هبوطاً دائماً من القلعة نحو المدينة ولذا فقد اضطروا الى إقامة أسس متينة شيد عليها الجامع ...

وكان هذا الجامع مدرسة دينية وقد نشأ هذا النظام في بلاد ايران على يد الدولة السلجوقية التي عنيت بنوع من التعليم مقصود به محاربة الانقسامات والمذاهب العقلية التي تجاوزت الحدود فالمدرسة وهي المعهد الرسمي لدين الدولة صارت نظاماً سياسيًّا وحصناً للدين كما أسماها كاتب عربي ووضعت البرامج الجديدة على ضوء المبادىء التي أتى بها الامام الغزالي الشهير فتوطدت بها دعائم السنة الصحيحة . ثم انتشرت المدرسة غرباً من بلاد ايران الى سوريا فمصر وفيها تكونت العقول التي عملت على مقاومة الصليبيين والمغول ومن أثرها السياسي اتقاذ الاسلام وتكوين وحدة مذهبية في القرنين الرابع عشر والخامس عشر

***

والى القارىء قصة عجيبة نصها مؤرخ عربي قال : زار السلطان سليم الاول عند غزوه مصر سنة ١٥١٧ بعض آثار القاهرة فأعجب اعجاباً بجامع المؤيد الجديد بالملوك على حد عبارته ثم دخل جامع الغوري فانتقد البناء وقال في دعابة انهُ يكاد يكون منجزاً ولكن لما رأى جامع السلطان حسن أدهشهُ البناء العظيم، وهو العارف بأساليب العمارة فقال انهُ لحصن متين حقًّا . وحسب صديد الجامع مكافأة وحسن جزاء هذه العبارة التي تنطق بالحق

والارض التي اختيرت لاقامة البناء واقعة تجاه القصر الحصين الذي يشرف على مدينة القاهرة وقد عرف المهارتي كيف يستوحي من هذا الموقع تصميم البناء وكأن الفكر كان متجهاً الى تأسيس بناء يتحدى القلعة بأسوارها الشداخية في قوة فأقام المعماري بناء شامخاً . وترى القلعة تستقبل وكأنها تحتمل الهجوم . وما الجامع فيطل ويشمخ في هدوء وكبرياء وكأنه يريد بالقلعة بطشاً . وهو في مكانه ارز بروزاً يفصل ما بينه وبين القلعة منافسته من ساحة فسيحة

وبناؤه ، شبيه من مدرسة دينية لها تعاليم سياسية متصلة بمذهب الحكومة السني ، وبناء حربي وحصن دفاعي واضحة على اعلانه للحرب دون هوادة ولا رحمة على الزندقة والخلافات المذهبية وبرج المؤذن الغربي الذي صممهُ ان يكون بناء ضخماً قائماً أمام قلعة القاهرة ومدرسة جامعية تجمع بين الحرمين جمعاً عجيباً قد بعثه على القلعة الحربية وما كان [illegible] من ثروة

ثقافية وأضاف التبوغ المباري الى قوة التعاليم السنية قوة أخرى عبر عنها بأسلوب البناء أدق تعبير. وقد يتساءل المرء اذا ما قرأ تفاصيل التاريخ المعاصر ألم تكن نية الفنان متجهة الى القاء درس خالد في النظام والسلطة. ألسنا نرى فيه نقداً عالياً لسوء النظام والفوضى الاليمة التي كانت منتشرة في شوارع القاهرة والانقلابات السياسية الشديدة التي تبدو لنا خلال السطور كأنها دوامة شديدة الخطر ؟ يعلو الجامع علوًّا وكأنهُ الرتيب الجبار اليقظ وكأنهُ مثال الرزانة والهدوء ! وليس ثمة اي أثر اسلامي آخر أدل على هـذا الغرض وأبلغ في الدلالة. والفنان في الحقيقة كان صريحاً كل الصراحة بل كان صريحاً الى حد الصرامة فقد ألقى بأسلوب البطارقة العظيمة درساً قاسياً في الدأب والمثابرة على ذلك السلطان الذي لم يكن في مكنته ان يثبت على العرش وكان الموت الزؤام مصيره المحتوم بل لا يزال ذلك البناء حتى اليوم يتجلى حكمه على فساد الخلق. وسنرى كيف ظل ثابتاً يقاوم شرور الرجال وآثامهم

وقد اكتسب جامع السلطان حسن خلال الازمات السياسية قيمة لا شك فيها تدعونا الى التفكير في شأنه. وهو ليس كبقية الآثار الاسلامية التي تمتاز بالرشاقة وتغشاها مسحة من الحزن الهادئ وانما هو العمل الفني المثالي للتعبير عن علاقة المسلم بخالقه وكأن الانسان لم يرد أن يلتمس به الرعاية الالهية فلم يشيد بناء متواضعاً بل شيد هذا العمل الجبار للاعلان عن وحدانية الله وجبروته

ولعلو مأذنته علوًّا شاهقاً فضلاً عن ضخامتها وكأنها بهذه الضخامة تؤكد متانتها وان ليس في الامكان ان ينالها الاذى. على ان امكان قيام هذا البناء الضخم البديع في ذلك العصر الحافل بالحروب والقلاقل يذكرنا بالصور الهولندية في القرن السابع عشر وازدهارها على الرغم من الحروب الاهلية. وقد اشار الى ذلك الكاتب فرومنتان فقال « اذا تخيل المرء ما كانت عليه البلاد في ذلك الوقت العصيب لاندهش ايما دهشة إذ لا يجد في تلك الصور ما يعبر عن عصرها أدنى تعبير. ولم تكن الحرب في البر والبحر ولا الحرب الاهلية اي صدى او تأثير في صور الفنانين الذين ينتمون الى تلك المدرسة الكبيرة الهادئة. ولم تكن اصوات القنابل المدوية التي لم ينقطع دويها حتى ... ان هؤلاء بحدة اي تأثير فيما صوروه وابدعوه »

***

كان تصميم المدرسة الدينية في مصر يرمي الى تهيئة المكان ليكون صالحاً من جهة لتعليم المذاهب السنية الاربعة فضلاً عن اقامة شعائر الدين في الجزء الاوسط من البناء كان يقوم الجامع للفرائض الدينية. اما الزوايا الاربع كانت تشاد مساكن للاساتذة والطلاب على قدر المكان المخصص ذلك. على هذا التصميم وجود فراغ حول الصحن الاوسط على هيئة صليب داخل

فخصص الايوانات الاربعة لأبناء المذاهب الاربعة وجعل التصميم العام يسير على نسق يشابه الى درجة كبيرة المسجد الذي سبقه بناؤه في ايوان القبلة ومدرسة ... الا ان مئذنة السلطان حسن مزدوجة فقد رفع من قيمة العمل المعماري بكون صحن صغيرا نسبيا حتى لا تتشتت العين ولا يرتد البصر عنها كليلاً

ان تصميم البناء على وجه العموم فيه نظام واتساق فقد رأينا كيف ان المعماري رأى ضرورة ابعاد التعليم الديني الحكومي عن الضوضاء بإقامة اسوار متينة . كانت ابعاد الارض غير مستقيمة في احدى جهاتها فاقام المعماري الباب في هذه الجهة وليست هذه الحالة فريدة في نوعها وان كان الفنان الاسلامي يتخلص من هذا الاعتراف بطرق عديدة الا وهي انها تكون الاعتراضات في البناء مكشوفة ولكن المعماري في هذا الجامع صمم باتين مزدوجين وادخل صحن قاعدث بذلك محورين المحور الاول متجه نحو مكة ويشمل ايوان القبلة والقبر . وراعى المعماري في المدخل تشييد عدة مبان مستقلة غير ان جزؤه الاوسط عبارة عن ردهة مفتوحة من احد جانبيها بدلاً من تصميم مدخل تجاه الباب العمومي مباشرة

وكان كثير من المباني الدينية في القرن الرابع عشر مساجد وخانقاه في الوقت نفسه فكان المسجد يشتمل على قبر مؤسس البناء . على ان اختيار الركن الذي يضم قبر السلطان حسن كان اختياراً تحتمت فيه عبقرية المعماري ، وقد ساعدته الظروف اذ ان توجيه المسجد نحو مكة جعل حائط ايوان القبلة قائماً تجاه القاهرة بانضباط وعلى ذلك كان القبر قائماً هناك وكان من المعتقد ان يرقد السلطان مقر ملكه وهو راقد في قبره رقدته الابدية ، وكان فكرة المعماري ان يكون السلطان في مكانه الذي منه في حياته اذ انه حسب تلك التوجيهات يرى من نافذة القبة ويشرف على تصميم قواعد المذنبين اللتين شيطان بالقرب منه كما يرى من المظلة الخ ...

ولكل برج جوانب بين سطوحه وكأنها زوايا بروزة ذات حدود مربعة وكان الغرض منها صيانة الابراج من فعل المقذوفات الحجرية

وفي سبيل هذا التصميم البديع استطاع المعماري باساليب معمارية عديدة ان يقيم من مدخل وصحن وايوان قبلة ومدرسة وتربة

فاذن لم يأخذ المبنى منه حدوده المتراصة وحيطانه الخارجية الضخمة دون الحاجة بذلك الى أبنية مصر الرشيقة في القرن الخامس عشر . ولما لم يكن الغرض الاصلي انشاء حصن فقد دخلت الرقة والجمال في تقدير البناء فهناك اذن عاملان أوحيا الى المعماري الاسلوب وهما الضخامة والرقة ووجه المعماري همه الى ابراز هاتين الميزتين فاكتسب ابنيته هذه الروعة التي هي الامكان

الزخرفية التي لا اسراف فيها كما تراها ايضاً في بعض السطوح الخالية من الزخارف . وقد روعي في الوجهة ان تبرز هذه رصانة بروزاً يضفي عليها العظمة

اما الكورنيش الذي يتوج الحيطان فيكوّن من عدة طبقات كخلايا النحل عظيمة المظهر ومن ميزاتها ايضاً ان تخدع البصر فتحسب الحيطان أعلى مما هي على حقيقتها . ولم يكن المعماري يقصد بالواجهة التي تقابل قلعة القاهرة أن تسيطر على السور بل كان همه توطيد البناء في الارض وتدعيم اساسه واكتفى بما بينهُ وبين القلعة من ميدان فسيح ولكن في الجهات الاخرى حيث لا ساحة ولا ميدان يستطيع المرء ان يشمل البناء بنظرة واحدة ، كان همّ المعماري ان يحس الناظر احساساً من نوع آخر فابتكر اسلوباً جديداً للوصول الى غرضه اذ أحدث في الحيطان تجاويف عمودية طويلة ضيقة ركب فيها النوافذ للانارة اللازمة فبهر وأدهش . ثم ان الكورنيش الضخم الذي يطل على الناظر وكأنهُ يريد ان ينقض وتلك التجاويف على ما بينها من تباين وتفاوت كل ذلك أحدث الاثر المطلوب في نفس الناظر اذ بدت له الحيطان أعلى مما هي عليه في الواقع مرتين

اما المدخل الرئيسي فعليهِ سماء النبل والفخامة وفتحته التي تتوجها الزخارف المعمارية التي تشبه خلايا النحل تتجلى فيها العظمة وكأن هذا الباب الجبار يقوم بدور الساهر على هذه المدينة التي تبلغ من السر الشيء التام ويحدث أثراً هو أثر العزة والكبرياء في هدوء واطمئنان

وتسير حين تدخل المسجد في دهليز يكتنفهُ الغموض وهو بناء كامل في حدود التصميم العام وله قبة ومحل بزخارف كخلايا النحل غير ظاهرة في الظلام الذي ينتشر فيها . ويزداد الغموض اذ تسير في دهليز آخر ضيق طوله ثلاثون متراً ينحني مرتين وهو مغبر فيهِ فتحات ترى السماء خلالها على بعد بين حائطين مقتربين عاليين ثم تسير في طريقك فلا ترى غير السماء بين حيطان ضخمة شاهقة أمثلها مكفهرة . كتل حجرية عظيمة حتى تصل الى باب صغير تنفذ منهُ الى الصحن الاوسط فيرتفع البناء فجأة عن منظر مكان يدور في خلدك فيحيرك النور ويبهرك فلا مكان ينتشر فيهِ الظلام وهو نظام اتساع ايوان القبلة وانك وانت بين حيطان اربعة عالية بيضاء ناصعة لترى السماء الزرقاء وقد اشتدت زرقتها هادئة هدوءاً فكأن السماء خيال . ثم يبهرك النور العظيم ويستولي عليك احساس قوي يشل فيك لحظة قدرة تحليل الناظر التي [illegible] وسرعان ما تأخذ عيناك رأس منارة ضخمة

[illegible] كانت المآذن الطويلة في الماضي البعيد عزيزة [illegible] لا سبيل الى مقاومتها في هذا البلد حيث الاهرامات وآثار الكرنك المتناثرة يمدو جامع السلطان حسن [illegible] ويغلب ، ثم وقف ذلك الصحن يحس سره بالضعف والرهبة أمام تلك الجوامع [illegible] شيدتهُ يد الانسان ورفعتهُ عالياً ليكون بيتاً لله تنبعث منهُ الصلاة

والدعاء الى العزة الالهية وانما هو كتلة عملت فيها الايدي واقتطعت احجاره وأعدّت لاخراج تلك الايوانات الاربعة المحيطة بالصحن الاوسط

وإذا ما سرت نحو يوان القبلة ثم جزته وصعدت الى الجانب الايمن واليسار بين يوسلان الى تربة السلطان ويشملك الظلام في ذلك المكان لكثرة الظلام سيما لبعث جو ديني حاديء كان مقرراً ان يكتنف الى الابد حيان الماضي حين تتنفس وتتذكر تلك الحياة المضطربة التي عاشها ذلك السلطان الباسل . ونفشا ما يرجه بين حين وآخر ان تذكر ان القبر خلو من حيّاته فقد افتقدوه بعد ان قتل فلم يجدوه

حقاً ان تجامع السلطان حسن أثر اسلامي من القرن الرابع عشر وهو الطراز المعماري الذي انتشر في مصر وسورية ، ولم تكن المدرسة الدينية مظاهراً مبتكراً في العمارة الاسلامية في ذلك العصر وهذا الجامع لا يخرج في تصميمه عن الاسلوب العادي خروجاً ظاهراً فاذا حللنا بعض التفاصيل المعمارية تحليلاً دقيقاً وجدنا عناصر أجنبية ومستنبطة في سهولة تتبع الاشكال الزخرفية وقابليتها للتطور . والحق ان المرء ليحس بالضعف اذا ما حاول الوقوف على اصول هذا العمل العظيم فهو مطبوع بالعبقرية التي استطاعت ان تمثل عدة اساليب معمارية معروفة في ذلك الوقت فصاغتها وصبتها في قالب جديد . فهو وهذا الجامع سيظل قائماً بذاته خارجاً عن دائرة المألوف . ولا يمكن ان نعقد بينه وبين الآثار المعاصرة له مقارنة صحيحة لان ابتكار الذي دفعه للعمل جدّاً فهو نسيج وحده وكان المعماريين الذين أتوا بعده كانوا يخشون ان يتطاولوا فتونه . وكان الفن الاسلامي في ذلك العصر قد تحوّل عن الفن القديم وتضمّن تراكيب جديدة فنجد اننا معشر الغربيين مضطرين الى بذل الجهد لتفهم الفن الشرقي وتذوقه

***

ان جامع السلطان حسن ليضارع الاعمال العظيمة التي ابتدعتها العبقريات الخلاقة وبعض الاعمال الخارقة للعادة وهو وان كان اقل شهرة من غيره الا انه قد يكون اعز شيء من مصر الجرداء بمرتفعاتها

والفن الاسلامي وان بدا عليه الأثر الواضح الذي [illegible] السلطان حسن هو رمز القوة الهادئة المفكرة . وشتان بينه وبين تلك التحف الفنية الخيّة الثقيلة القيمة معلاً التي تمثل خاصة الفن الاسباني المراكشي

وفي مصر نفسها عندما اخذ اسلوب فن سلاطين المماليك في الميل ميلاً طبيعيًا نحو كل ما هو مرّاتي جذّاب شاهدنا تفتح زهرة فن جديد ورأينا تحفاً بديعة رشيقاً رقيقاً جميلاً تحفة بالست على مراتب الدقة الفنية ومطبوعة بطابع الفنان المخلص في عمله المقبل على صنعه

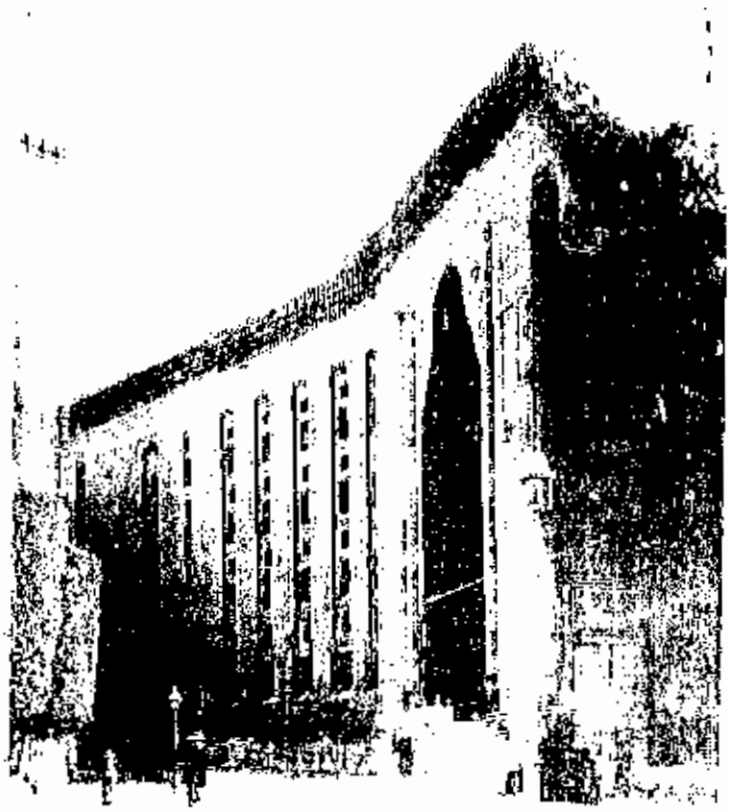

جامع السلطان - س من جانب المدخل العام

الضريح في جامع السلطان حسن

ونحن وان كنا نعجب بالزخارف العربية ذات الاشكال الرقيقة غير اننا نلحظ عليها اسلوب الصنعة العادية المتكررة التي تنتج عدداً عظيماً من التحف تحوز رضاء الشعب وتغمر بها الاسواق ولكننا اذ نشاهد جامع السلطان حسن وما به من الزخارف ندرك ان الفكر قد سيطر على هذا العمل العظيم فأكسبه اعتدالاً ورونقاً عظيمين

ولا شك ان العمل العبقري لا يأتي فجأة وانما هو مرتبط بالماضي مثله كمثل الاعمال العادية وقد يتأثر بالاساليب القائمة بل ان هذا التأثر يحدث في اغلب الاحوال . ويمتاز العمل العبقري بالبساطة الى حدٍّ كبير فيحسبها الوساط الناس خالية من كل ابتكار ، وهذا خطأ ويؤيد جامع السلطان حسن صدق قولنا فقد الف المهاري بين القواعد القديمة وزجها مزجاً غلبت فيه شخصيته وهذا هو عين العبقرية . نعم وبث المهاري في الاشكال روحاً جديدة وفكرة مبتكرة فبرهن على انهُ قابض على الناصية مسيطر على اسرار المهنة مستخدم أدق الاصول الفنية

ان التوافق لعمل جديد في هذا الجامع العظيم وهو الميزة التي أضفت عليهِ جماله وعظمتهُ . وقد تمَّ اللحن الموسيقي وخلص للفنان الذي لم يعتمد على نغمات محدودة فحسب وانما اعتمد على ما التأليف الموسيقي من سحر فارتفع باللحن فوق المستوى العادي وانك ان تجد فيهِ اي لون صارخ تشمئز منهُ النفس . بل الالوان كلها متدرجة متآلفة في رفق والعناصر الزخرفية هادئة والجزء خاضع للكل وكأن جمال الزخرفة نشيد لحنهُ الفنان في عناية ودقة وشعور ستلهماً جميع النغمات . وقد وفق آرثر رونيه اذ قال « ان العبقرية هي التي أتاحت لصاحبها السيطرة على الاشكال التقليدية او الهندسية فبثَّ فيها روحاً من عنده فلكل زخرفة في جامع السلطان حسن طابع خاص يمتاز بهِ عن سواها من زخارف الابنية الاخرى »

بلغ المهاري الثروة الفنية وأدرك معنى الكل ادراكاً كاملاً فاهتم بهِ وابرز بناءه وكان اهتمامه بالجزئيات دون ذلك بكثير . فمن الخطأ القول ان الذوق المهاري لم يتكون عند الفنانين المسلمين . وليس يكفي جهلهم بأساليب الفنون القديمة لانكار نبوغهم

والفنان في هذا الجامع لم يوجه همه الى الزخرفة كعامل جوهري في العمارة بل اتجه فيها رسيطر عليها وأخضعها للكل فأدت اغراضها . وقد يكون هذا الجامع هو الوحيد بين جوامع القاهرة الذي يجمع بين قوة البناء وعظمته ورقة الزخرفة وجمالها . وأثره قوي في نفوسنا اذ له خصائصه التي لا يشترك معهُ فيها غيره . ان جامع السلطان حسن هو العمل العظيم في الاسلام الذي روعي في تشييده متانة البناء فهو كالمعابد القديمة يتحدى الزمن ويطبق عليهِ ما تحيه شاعر عربي من ان الزمن هو الذي يقاوم قوة هذه المباني الضخمة . ولا ريب في ان هذا البناء العالمي الشهرة والعظيم القيمة رمز لمجد الاسلام وقوته . وعظمته مقررة معترف بها فاذا قلنا « السلطان

حسن » فهذا كاف للدلالة على البناء كما نقول « بورج » و « شارتر » للدلالة على الكاتدرائيتين الخالدتين. وقد اختفى السلطان حسن وكأنه لم يكن وظل مسجده قائماً . وإذا تذكرنا أن حسن تفهُّم العمائر الاسلامية يتطلب أن يكون المرء ملمًّا ببعض القواعد عرفنا فضل عمائر السلطان حسن فانهُ لا يتطلب منا تأملاً عميقاً والزوَّار الذين يتأثرون بالفن ليسوا بحاجة الى ترجمان ولا الى لغة اخرى غير لغة المعاليك او لغة الاسلام . نعم وليسوا بحاجة الى كلمات يستعينون بها على تفهمه والاحساس بقوته . بل ان السائح الذي تضاءل احساسه بالفن يحس امام مسجد السلطان حسن بقوة العمارة احساساً قويًّا . فهو يتأثر دون شك بعلوه الشاهق تأثراً فجائيًّا ثم تأخذ العين ما بين الابعاد من تناسب عجيب تنتقل من القوة الى الرقة

وقد استطاع المعماري المشبع بالافكار النبيلة القوية أن ينفذ تصميم البناء تنفيذاً دقيقاً في بساطة وروعة ، فالجامع يطغى بقوته على حواسنا ثم يكشف لنا عن عظمة الاسلام وما ينطوي عليه من بأس وقوة. وجمال هذا البناء ينبعث من كون جميع أجزائه خاضعة خضوعاً مناسباً متسقاً لفكرة عامة. هذا البناء القوي الذي تتمثل فيه الجرأة والقوة يسوده هدوء عظيم كما يمثل شرف الفكرة الاسلامية الشامخة

***

ونود ان نتفهم الاسباب الدفينة التي حملتنا على التأثر الى هذا الحد :

البناء يتجلى لنا ذا حيوية عميقة هي في غنى عن الناس ولا شأن لها بهم . ولكنا ندرك على شأنه ورفيع مقامه ازددنا به اعجاباً ولا غرو فالانسجام من خصائصه وأثره في النفس أجمل ما يكون. على ان خير ما يعين على تفهم قوة هذا المسجد هو التردد عليه والتأنس به والنظر اليه وحينئذ يكشف لنا عن جمال مدهش وعظمة غالبة ونشيد مبهج . وهو مثال فخم يبهر البصر يدل على روح النظام في وقت كانت الفوضى منتشرة والمعارك دموية . ومن مخبرة القاسية ان نجهل اسم خالق هذا العمل العظيم ونحاول له جهلين بقاء الاثر خالداً على الازمان .

لم يكن يصل الى مرتبة السلطان الأمن كان في الاصل من الارقاء الذين كانوا يباعون بأبخس الاثمان فاذا ما نالوا حريتهم على يد أسيادهم الذين كانوا ارقاء من قبلهم تكونت شخصياتهم واتخذوا اسماء جديدة وبذلوا الجهد في العمل على تكوين عظمة الذين ادعوا لهم الحق في تكوين ثروة طائلة ، ولم تكن هذه الثروة تأتيهم الا من الفلاحين الذين كانوا يقومون بزراعة الارض ولكن لم يكن يعرف صاحبها ولا انتابت الدهشة احداً منهم . وكذلك جامع السلطان حسن فهو عمل عظيم خالد ولكن شخصية الفنان الذي بنى هذا الصرح الفخم ظلت مجهولة

ومهما يكن من شيء فاننا اجدرنا بألا نعرف عن خالق العمل البشري شيئاً . قد رأينا في عصرنا هذا ميل الكتاب الى تحليل حياة الفنان الشخصية والوقوف على . . . في سبيل البرهنة والخروج من ذلك بنظرية لا تتفق في شيء والعبقرية التي تتجلى في أعمالهم . وهل نحس بالمزور

حقًّا على ما في ذلك من سوء الخلق وخبث الطوية اذا عرفنا ان المعماري الذي بنى جامع السلطان حسن كان مضطرًّا للحصول على الرزق الى القيام بأعمال عادية ليس فيها أثر للشخصية ، ثم ترتب على هذه المقدمات نتائج قد تكون قاسية كل القسوة . انه ليجمل بعظمة الاسلام ان تظل شخصية الفنان العبقري الذي شيد هذا الجامع محوطة بالغموض كالشعر الخالد القديم في الالياذة والاوديسة

وقد يكون في وصف الجامع وصفاً مسهباً ما يدعو الى السآمة والملل بالرغم من ان الجزئيات تشترك في ابراز الكليات . ولكن هذا الاثر بحاجة الى قلم بليغ وأسلوب شاعري حتى يمكن ابراز قائمه وجزئياته حتى لا يكون ما يراه القارىء قاصراً على هذه الجزئيات فحسب وان كانت بعض هذه الجزئيات غاية في الطرافة والابتكار وكأنها بيوت شعر من قصيدة عصماء

قال ايرس « ان كل ما تراه في الجامع مركب في مكانه تركيباً هادئاً منسجماً فاذا أمعنت النظر في زخارف ايوان القبلة وقاعة القبر جزءاً جزءاً أحسست احساس الرضى، فهناك ثروة فنية وأشكال رشيقة بديعة تتكرر في انتظام وانك لتحاول ان تفهم مدلول الكلمات والآيات القرآنية المندمجة في الزخارف العربية وهي في حد ذاتها زخرفة ممتازة فتبهر نظرك بجمال زخرفها وتملك وتصحك بجميل عباراتها . »

وإنا لنحلل ذلك المكان الذي كانت تشغله المصابيح ذات الالوان المتباينة وكان لها المرتشى بزيته نوراً وحيوية ، فنتأمله اليوم في خشوع وتذكر والتأثر يملأ جوانحنا عظمة المكان الذي انطفأ نوره . تلك المصابيح المموهة بالميناء رآها بعض السياح في مكانها قبل ان تنتقل الى دار الآثار العربية وانا نترك الكلمة لهؤلاء الذين شاهدوا الجامع وعلى الخصوص لهؤلاء الذين [illegible] فقد كتب جوانز في كتاب وصف مصر ما يأتي : انه من أجمل مباني القاهرة في الاسلام ويستحق أن يكون في الرتبة الاولى من مراتب العمارة العربية بفضل فيه [illegible] وعظم اتساعه وفخامة رخامه وكثرة زخارفه التي تكسو الارضية والحيطان [illegible] وضخامة بسيطة خاصة بهذه العمارة كما أن حشوات الخشب والبرونز التي تكسو الابواب [illegible] فنية!

[illegible] فقد اختزل النهاية عنه اختزالاً يقرب من الاشارات البرقية ولا يعطينا فكرة صحيحة عنه فقد كتب : « ... دخل مستديرة تقرنصاته . جبال من [illegible] أنا نقرن من أكياب من [illegible] »

[illegible] فقد تحدث عن موضوعه بأسلوب جاف أيضاً : « أثر عجيب فسيح وحديد في القاهرة يستحق ان يدرس من أجل مباني العصور الذهبية »

أما المصور لينوير فقد كتب عن مصر كتاباً تختلف جزاؤه في قوتها وأسلوبها والصفحة التي خصصها للسلطان حسن تستحق ان تذكر . « ان جامع السلطان حسن المملوكي يشرف على القاهرة كلها وأسلوب بنائه من أرقى الاساليب المعمارية ، ومساحته عظيمة ولذا يعد أجمل جامع في الشرق كله بلا نزاع . وموقعه تجاه القلعة والدخول اليه من باب عال بارتفاع الاثر كله مفتوح على شارع جانبي يوصل الى الميدان . حيطانه رخام من جميع الالوان مرتبط بعضه ببعض بحليات على شكل وردات وزخارف من برونز قيدو هذا الباب الرئيسي وشيقاً . وينتهي اعلاه في شكل تجويف فيه ثلاث من المقرنصات تأخذ في الثلة حتى تختفي عند منتصف ارتفاعه . وهنا تمتد الواح من الخشب متداداً افقياً وتحمل مصابيح من الزجاج المموه باللبنا وعدداً من بيض النعام المحلى بالزخارف . يصعد المرء بضع درجات ثم يزل درجات اخرى فيجد نفسه في دهليز عظيم مزين بمقاعد حجرية على الجانبين . ان هذا الدهليز الغامض يجعل المنظر العجيب الذي ينكشف أمام الناظر فجأة اشد وقعاً في النفس : صحن عظيم على شكل صليب يوناني في وسطه بناء عربي أجمل ما يكون يقوم على أعمدة من الرخام وتغطيه قبة محلاة بزخارف باهرة . وهذا البناء الثمين الاضلاع هو الميضأة . وأمام باب الدخول ايوان عظيم هو إيوان القبلة وترى ثلاثة إيوانات أخرى على جوانب الصحن . وايوان القبلة يعلو درجة واحدة فوق مستوى ارضية الصحن وفي نهايته سلاسل متدلاة معلقة بها آلاف من المصابيح كانها نازلة من السماء وتبدو من بعيد كانها نطرات من المطر او كانها شبكة معلقة في الفضاء . وفي نهاية ايوان القبلة المحراب المزخرف زخرفة فنية تضم بأنواع المواد الثمينة والالوان والزخارف الشرقية . اما المنبر فهو من ابدع التحف الخشبية ذات الزخارف المحفورة »

ترى جيرول ان أجمل بناء في القاهرة هو جامع السلطان حسن الذي يمتاز بجمال البناء فقد كتب « ان قبته العظيمة ومنارته القوية وحيطانه الدارية العالية الفنية بكل تفاصيلها تكون مجموعة تستحق النظر بشكلها العظيم . ان باب الجامع المنفرد الذي يعد اكمل التحف المعمارية . عقوده ساحق يتناسب مع اتساعه ويعلوه اعلى قبة مقسمة على هيئة مقرنصات في تجويف [illegible] ان القبة صما زخارف ذات خطوط هندسية او مزخرفة بتجاويف ذات أعمدة صغيرة دقيقة . وداخل [illegible] أعظم تحف الصحن ما فيه من ميضأة محاط بعقود توصل الى ايوان القبلة . كتابات كوفية [illegible] في الحائط مكونة من حروف حجمها غير عادي ملتف عليها فروع نباتية . ثم يدخل [illegible] حجرة الخزنة وهذه تبدو اكثر ارتفاعاً من قبة الباتيون وأرقى وأرسخ من عناصر [illegible] وكتاباتها مفترشة على الواح خشبية . ان الاثر الذي يحدثه جامع السلطان حسن في النفس هو

من نوع الاثر الذي نحسهُ ونحن في أجل كاتدرائياتنا . ولم تتجلَّ الفكرة الدينية بمثل هذه القوة وهذه الحظوة في أي اثر آخر انساني سواه

وانا نورد قول الدوق دافركور وهو اقل المعاصرين معرفة بمصر بل انه ليشعر بأنه لم يكن دائماً منصفاً كل الانصاف . نورد ما كتبهُ عن السلطان حسن لان شعوره هو شعور الاكثرين الذي ما كان يود ان يرى عملاً فنيًّا جميلاً وكأنه بوصفه يقصد الى تشويه الصورة الجميلة لا الى التحمس في ابراز محاسنها . قال :

« ان جامع السلطان حسن يدهشنا قبل كل شيء بأبعاده العظيمة الجميلة وهو يكاد يكون خالياً من الزخارف والقليل الذي فيه لا يبدو منقولاً عن الزخارف اليونانية واللاتينية والقوطية. ان الذي بناه قاصد بناءه يبغي غايات خاصة ويبحث عن الجمال في نواح لم تطرقها آثار تلك العصور ونجد فيه في نفس الوقت أشكالاً كثيرة معقدة وزخارف غريبة والتناسب فيه منعدم فبعض أبوابه قد تبدو ضخمة عظيمة ولكنها ليست كذلك الى أخرى صغيرة واطئة وهذا يدل على ما يظهر على شعب حر الى العلم أقرب منهُ الى السذاجة والفن فيه على كل حال فن مبتكر أصيل ولا يخلو من المزايا»

وقد كتب جريفز ان المنافسات الدموية بين المماليك كانت عاملاً على كثرة اتاحتهم لجامع السلطان حسن على عظمته قد بني في فترة كانت السلطة العليا مفقودة ، بناه طامع في الحكم منكر لهُ يناضل نائبهُ المسيطر على القلعة وهو مع ذلك لم يجد صعوبة في اقامة عمل عظيم وان يبني جامعاً يكاد يكون قلعة حصينة »

ويستمر جريفز سوقاً على أجنحة الخيال . ولكن اذا صرفنا النظر عن الحقيقة التاريخية فان ملاحظاته ذات دقة وعمق . وقد دون مؤرخ في مذكراته عن أحد كبار وزراء الدولة الفاطمية انه عهد اليه الخليفة قبل وفاته بقليل ان يبني له قصراً فقال في وصيته السياسية ان من بين القلاع الثلاث التي ارتكبها انه بنى جامعاً خارج باب زويلة يمكن ان يكون نقطة ارتكاز لمن يغير على القاهرة او يداهم عليها . والمقصود هو جامع الصالح طلائع المشيد بالقرب من باب النصر وقد كان يمكن ان يكون حصناً حربيًّا كجامع الوزير لو لم تتسع القاهرة وتصير الاسوار الفاطمية عديمة القيمة . وقد ارتكب السلطان حسن نفس الخطأ . ان الحكومات الاسلامية كانت حكومات أرستقراطية وقد قبلت الشعوب حكومة السلطة هذه . وعلى ذلك فلم نجد في التاريخ الاسلامي ما يمكن ان يقارن على وجه الخصوص بالنزاع بين البرلمان وبين الملكية في فرنسا

ولو كانت الكتلة البابية او الشعبية موجودة في القاهرة في ذلك الوقت لكان جامع السلطان حسن القائم تجاه مقر الحكومة بمثابة تهديد للحكومة . وعلى كل حال كان وجوده مثل هذا الى أيام الجمهورية مصدر خطر دائم

وقد كان الرحالة ابون الافريقي أول من نبه الى وجود بناء من الابنية مشهور جداً ، هو جامع السلطان حسن الذي رفعهُ بانيهِ الى علو شاهق فصار حصناً يحتمي فيهِ المماليك لصد هجمات خصومهم على بعض

وقد ذكر هذه الحقيقة كذلك شارل توماسون الانجليزي ، قال : ان الجامع الذي يبدو متفوقاً على الابنية الاخرى بأدته ومظهره الفخم المدهش ، هو جامع السلطان حسن الواقع على سفح الجبل الذي يشرف عليه حصن القلعة . يرتفع الجامع ارتفاعاً شاهقاً ويعلوه كورنيش جميل بارز بروزاً شديد ومحلى بنقوش غربية . ومساحته مستطيلة ومدخله محلى بالرخام الثمين المختلف الالوان وكذلك على الباب . والدرج الذي كان موصلاً للباب قد تهدم والباب نفسه مسدود اذ كان ملجأ للساخطين اثناء الثورات »

ان الفصل مايه الذي اثر عنه « فورسون » حرفاً بحرف دون دمة رأى ذلك ايضاً اذ انه اورد في كتابه : « بالقاهرة جامع قديم فسيح ومرتفع جداً ولا يفصلهُ عن سفح الجبل القائم عليه القصر الا ميدان فروش بالرمل اتساعه مائة وخمسون قدماً وطوله الف قدم تقريباً وكان هذا الجامع ضاراً في زمن الثورات لان الساخطين كان في امكانهم بضربات السهام ان يحولوا في سهولة دون انصال جناحي القصر احدهما بالآخر وكان يمكن لرجال القصر من اجتهم ان يطردوا الثائرين بابلاً من الحجارة من قمة الجبل التي تشرف على الميدان كله . كانت اقامة بناء ضخم تجاه القوات الحربية السلطانية غلطة سياسية . وقد كتب مؤرخ عربي ان هذا الجامع يقوم تجاه القلعة وما كانت تقوم ثورة الا احتمى الثوار في أعلى بنائهِ وأمطروا حماة القلعة وابلاً من المقذوفات وفي غضون سنة ١٣٩٠ لاقى السلطان برقوق صعاباً شديدة في التغلب على الثوار الذين [illegible] وكان هذا السلطان قد خصصهُ قبل تلك الثورة بمئتين مجرة لحراسته ، فلما رأى ما صار اليه امر الثورة امر بهدم الدرج الذي يوصل الى المنارتين وقفل الغرف التي كانت مخصصة لسكنى الاساقفة وهدم سلم الباب العمومي كما سدَّ الباب الخفي وبذا صار الوصول الى الجامع عن طريق نافذة صغيرة تجاه القلعة كان من السهل سدها عند الثورات. [illegible] للجامع يدعو المؤمنين الى الصلاة

وقد نهب الجامع سنة ١٣٩٩ أثناء ثورة اخرى وبني درج المأذنتين من جديد كما يؤخذ من القصص . وفي سنة ١٤٠٤ بنيت على سطح الجامع أنابيب لقذف القنابل على القلعة . وقامت الحكومة نفسها سنة ١٤١٠ بتحصين الجامع مخافة الاضطرابات ولكن الثوار تمكنوا من الاستيلاء عليهِ بالقوة بعد معركة شديدة واستعملوه في الثورة مركزاً للمقاومة ، ثم جدد الدرج كله سنة ١٤٣٦

وفي سنة ١٤٣٨ استولى بعض المماليك على الجامع وحرقوا بابه وتحصنوا على السطح فلما جاء المدد من السلطان تهدم درج المأذنة ثانية

وكتب مؤرخ عربي انه في سنة ١٤٩٤ أمر السلطان المهندسين بفحص المنارة جنوبي الجامع اذ كانت تنذر بالسقوط على ما كانوا يؤكدون . ولكن هذه الاشاعة تلاشت عند التحقيق الدقيق ومع ذلك فقد لاحظ المهندسون ان قمة المنارة قد تهدمت وان الهلال الذي كان يعلوها قد أصابه الخطب ، وذلك من جراء المقذوفات على الجامع أثناء الاضطرابات . فاكتفى بازالة الهلال . وكان هذا الفصل في الحقيقة أسوأ بكثير من هدم المنارة وختم هذا المؤرخ حديثه بأن هذا البناء احدى العجائب العالم وبانهُ اجمل بناء في الاسلام

كان السلطان جانبرد في نهاية عام ١٥٠٠ مهدداً في سلطته فتكرفي الاحتماء بالقلعة وامر بهدم الجامع تجنباً للخطر فسرع العمال ينفذون أمره وظلوا ثلاثة ايام احدثوا فيها بالجامع اضراراً بسيطة وكان الرأي العام قد هاج فاضطر السلطان الى العدول . وهكذا كانت الاوساط البعيدة عن السياسة تهتم دائماً بآثارهم الثمينة . ثم كان ادخال المدفعية ضاراً بالبناء كل الضرر اذ كتب تيفينو سنة ١٦٥٧ يقول « احتمى طومان باي وهو آخر سلاطين المماليك في هذا الجامع تاركاً القلعة للسلطان سليم الذي امر باطلاق المقابل على الجامع ولا تزال الثقوب تشاهد حتى اليوم خصوصاً في القبة »

ولنلاحظ حالة القبة السيئة دون الرقوف عند الحقيقة التاريخية فقد سقطت بعد تلك الحوادث بثلاث سنين وحلت محلها قبة اخرى هي التي نراها اليوم ، والدعامات التي تستند اليها من الطراز العثماني . وكانت المنارة الشمالية تهدمت قبل ذلك بسنة واحدة فبنيت محلها منارة اخرى ذات حجم أصغر

وحدث في القرن الثاني عشر من الحوادث ما اضر بهذا الجامع كذلك . وقد روى بول لوكاس الذي كان يقوم برحلته الثالثة سنة ١٧١٦ ما يأتي : « هزم امير جرجا عرب الصعيد ثلاث مرات اذ وقفوا في طريقه وهاجموه ثم عاد الى القاهرة . وكان يمكن هزم العرب هزيمة نهائية باطلاق النار اطلاقاً مستمراً من القلعة ولا الخوف من ارباك رجل التي ارسلها الدفتردار تقوي ساعدهم واصطفوا على جامع السلطان حسن القريب من حيهم واحتموا فيه فكانت هذه الحيطة سبباً في استيلائهم على السلطة ثم انهم نصبوا مدفعاً في جامع السلطان حسن وصوبوه نحو امير جرجا واستمر اطلاق النار اطلاقاً شديداً اياماً عدة فلولا جامع السلطان حسن لما عرف العرب اين يحتمون . وكان احمد في قلعته واقعاً تحت ضغط النيران المنصبة من الجامع

ثم في سنة ١٧٣٦ حرق باب الجامع واستولى الثوار على البناء فاخرجوا منهُ بالقوة وهدم الباب الكبير

وكتب سافاري في سنة ١٧٧٨ يقول : من جوامع القاهرة الكثيرة ما يقوم بينها كقلاع. ففيها جامع السلطان حسن الذي كان الثوار يحتمون فيه في وقت الاضطرابات ويتحربون الفسحة بالمداخل من فتحه . وهذا البناء الكبير بكوربشه المنقوش نقشاً غريباً والبارز بروزاً عظيماً ، تعلوه قبة عظيمة ، وواجهته محلاة بالرخام الثمين . والابواب الثلاثة مسدودة وما حولها من الاماكن يحرصون دون الاقتراب منه

وانتهت هذه الحال سنة ١٧٨٦ كما قال الجبرتي :

« استصحى الحال فتح باب هذا الجامع الذي كان مغلقاً وهدمت الدكاكين التي اقيمت تحت صدر الباب وكذلك الحائط الذي اقيم سداً ثم بني باب من حديد ودرج للوصول اليه ومقاعد من الحجر »

وقد نفى آرثر رونيه الذي كان محبًّا للجامع حبًّا كثيراً موقعه المعرض للخطر ومن ثم تقلقل ولكننا نقرأ ما كتب عنهُ فنراه يميل كل الميل الى وصف تلك الفترة من الزمن وصفاً جميلاً بعيداً كل البعد عن الحقائق التاريخية إذ يقول كانت السطوح والشرفات ملجأ الساخطين والثوار الذين قاوموا حامية قلعة الجبل منذ خمسة قرون سواء أكان الحاكم سلطاناً من سلاطين المماليك ام والياً من قبل الباب العالي او القائد بونابرت ، ثم يردف هذا بقوله « كان النزع الاكثر عندما كان ثائرون في اشد حالات الغضب وذلك في ثورة ٢٨ اكتوبر سنة ١٧٩٨ ، ولا تزال الحيطان تحمل آثار طلقات الفرنسويين »

ولم يصب المؤلف في كل كلمة من كلماته هذه بل جوزف Joseph وقع خطأ في التاريخ وكان الواجب يذكرونه على الدوام بل ان بعض الكتاب لم يجدوا أية غضاضة في نشره من حين لآخر . ولم الكاتب كامي موكلير وهو آخر من كتب ذلك . غير ان الاستاذ جاك ماري كاربه يصحح هذا الخطأ ومن السهل ان نقرأ حوادث ذلك اليوم المحزن الذي قامت فيه الثورة ونحن نرجع على الفور الى ما كتبه الجبرتي الذي كان يتتبع الفرص بصبر عما يكتبه في تلبية من البغضاء للفرنسيين وهو شعور طبيعي جدًّا ، والى القارىء ما كتب : « وجَّه الفرنسيون مدافعهم الى جهات الازهر وبيوت الاحياء المجاورة » وهذا ما يؤسف له بالطبع ولكننا نريد ان نثبت بونابرت لم يتح لهُ ان يضرب جامع السلطان حسن بالمدافع

وقد اطلق الكاتب هـ دي نوجاني لخياله العنان فوقع في عدة اخطاء وأحسَّ بالحاجة الى ان يضفي على هذا الجامع لوناً رواثيًّا فكتب : « كان السلطان يجتمع بشعبه في هذا الصحن

الفسيح الذي يتمرد النور ثم يلقد أوامره . وكان الشعب يضع هامته على الرخام عند نزول السلطان من على المنبر متجهاً نحو أزهرات حيث كان الحرس قائماً بالحراسة ، وكان لأصوات سنكات الحرس الثقيلة رنين عبر الرخام . واستعمى الفرنسيون فيه أثناء ثورة القاهرة في ٢١ اكتوبر ١٧٩٨ »

فالفصل الأول من هذه الرواية كالروايات اليومية التي نقرؤها ومثله كمثل ما جاء في دليل بديكر الذي رأى محرره رخام الصحن ملوثاً بدم يقال انها دم المماليك المذبوحين

أما ما كتبهُ جابريل هانوتو فيعتبر بمثابة خاتمة للموضوع : «ها هو الجامع الذي يفوق كل ما عداه من الجوامع الأخرى ولا مفر من التسليم بتفوقه . نحن في فترة من فترات الرضى التاريخية ، ولكن ما أعجب التباين بين الرضى وبين النفس التي بلغ السماكين فخامة ونظاماً ! فما الذي يحمله من معنى وما الذي يعبر عنهُ من شعور أشكوى لله من نظام قديم قد انطفأ نوره أم نشيد الانتصار لنظام جديد قد انبثق فجره ومهما يكن من أمر فإن الوحي والفن قد بلغا الذروة . وأني لا اعتقد ان الاسلام قد بلغ في مجال انتصاراته القيمة ما هو أبدع من السلطان حسن »

أما الفاعة المربعة التي تعلوها القبة فهي من العجائب . اما لا ندري ما العظمة التي تستولي على هذه الفاعة الجامعة بين أمرين عظيمين متضادين : الثروة الزخرفية والهدوء الذي يشمل المكان » . إن مطالب الحياة الحديثة قد حكمت على السلطان حسن بالنفي : فهو غير معروف للزائرين الذين تجذبهم الاحياء الاكثر ازدحاماً وضجة . وقد استرعى انتباهنا ذلك الهدوء الذي يبدو كأنهُ مقصود من البداية . وفي مصر التي لا تعد فيها الآثار ولا تحصى كثرة تجد جامع السلطان حسن وحيداً منزوياً وهو رغم هذا كله لا يزال من اجمل المباني الاسلامية طرًّا

***

وليس من العبث ان يتوجه المرء خصيصاً لزيارته والاعجاب به فزيارته مثروة دائماً بالخشوع والادراك وهو ليس بحاجة الى ترجمان يشرحه ويعبر عن جماله وحسنه الفائق وحسبه ان يشاهد فيدرك بداهة الجمال . هذا الجامع الذي تنشأ الروائع الفنية والمعمارية لتذكرنا من غير شك بفترات من التاريخ فيها من المآسي ما يدمي الفؤاد ولا سيما تلك الايام المضطربة التي كان يرفع فيها هامته نحو السماء فالثورات والانقلابات السياسية في ذلك الوقت كانت تحدث والشعب هادىء يتحمل في صبر عامل في سلام وصمت . وليس من العبث ان نتأمل هذا الجامع ونعجب بذلك الزمن الخالي الذي بلغ أقصى درجات الخصب والغنى ولنحيي اولئك الفنانين البسطاء الذين لم يكسبوا المعارك وانما عملوا على بث روح الجمال في الاشياء

في الفلسفة الحديثة

مصادر العلم

الحديث

الدكتور ابراهيم ناجي

لي سؤال أوجهه اليك ايها القارىء العزيز : أتعرف معنى هذه الانسانية الصاخبة الغدوية . كيف نشأت ؟ وكيف تطورت ؟ لا اقصد ان تعد الي فصول التاريخ والجغرافية . أو ان تعيد الي فصولاً في علم الاحياء أو الاجتماع . انما أقصد ان تخبرني على وجه التحقيق ما تراه في تطور العقل البشري ! أتظن ان العقل البشري ، ذلك العقل العجيب الذي فهم بالمنطق التجريدي أعظم حقائق الكون ، وأدرك قوانين الضرورة التي تسيطر عليه ، أتظن هذا العقل يمشي الآن بالانسانية في طريق الخير ؟ واذا كنت لا تعتقد ذلك فهل تعرف لماذا يكون النافع ضاراً والذي تتوسم فيه الخير قد يكون مؤدياً للشر ؟ ثم سؤال آخر ..

انت تدرك ايها القارىء الكريم ما تعلمته في التاريخ أن العالم قد وثبت وثبتها الكبرى بعد عصر النهضة . وان البشرية كانت تغط في نوم عميق قبل ذلك اجيالاً ؟ ما الذي يجعل البشر يفيقون ذلك الفيوم العجيب ؟ وعلى أي نداء يستيقظون ؟ اذا كنت تريد ان تلم بدقائق هذا الموضوع الخطير فأنا أنبئك بكتابين من اعظم كتب العالم . الاول كتاب « العقل في طور التكوين » تأليف روبنسون « Mind in The Making » وكتاب « العلم والعصر الحديث » تأليف هوايتهيد « Science And the Modern World » واحب ان ترجع لك في هذا البحث علاقة الفلسفة بالعلم وهل نحن الآن في عصر يصلح للفلسفة أو هي قد مات دورها ؟

ما لا يشتهي ابه الفيلسوف من الناحيتين من ساعي المسعاة واسير وكل ما يحاوله يتخذ اتجاه أخذاً عنهم أو سيراً على غرارهم أو تكملة لما بدأوا به . حقيقة مضت حقب من الاجيال نسي فيها أثرهم . وجهلت البشرية أمرهم . وكان الرأي لغيرهم على هذا الترتيب في التاريخ : اثروبان — القسطنطينية (القرن الرابع) وبغداد . العصور الوسطى أي عصور الظلمة الى القرنين السادس والسابع عشر حين ستيقظ العقل البشري من غفوته الطويلة فأخذ المفكرون والمبتكرة يرجعون الى مخلفات أثينا . ويراجعون آراء فيثاغورس وأفلاطون وأرسطو

من أول الامر كان الاعتقاد ثابتاً بوجود نظام طبيعي ثابت يحكم الاشياء كلها ويتدخل في صميمها . كان الاعتقاد ثابتاً بوجود قوانين أزلية تسيطر على الوجود ويظهر ان الانسان لاعتقاده الفطري بذلك كان مقلداً لذلك النظام الطبيعي فما كاد أثر أثينا يزول حتى أخذ الرومان يشرعون قانونهم المشهور وهذا القانون مثل أعلى في شيئين : الاول في استقائه من فلسفة أثينا والثاني في جعل الترتيب الطبيعي الذي يشعر الانسان بوجوده في القوى الخفية المسيطرة ، مسيطراً كذلك على أحوال البشر ومعايشهم وان كان الفرق ظاهراً بين قوى أزلية وقوى مرنة بأيدي البشر . وزاد هذا الترتيب الطبيعي علواً على مدى الاجيال فصار ترتيباً قاسياً لا يلين ولا يناقش (وذلك في العصور الوسطى) ومهما يكن في أمر تلك العصور المظلمة فانها من الثابت انها كانت تدريباً للبشرية على النظام والطاعة . ولكن هذا النظام الصارم الذي قوامه رد جميع الظواهر الى قوى مسيطرة حديدية المنطق كان يقابله تفاعل كبير . ففي أواخر القرن السابع عشر أخذ العقل البشري يستيقظ شيئاً فشيئاً من العجيب ان كل حقيقة من حقائق الحياة نردها الى تلك القوانين المسيطرة . وجميع الخوارق نردها الى قوى مجهولة لا ندرك كنهها . أليس من الصواب ان نعيد فنناقش تلك الحقائق الثابتة لنقرر عن في مناقشة الامر العادي من جديد فهم الغير العادي وردها الى مصدر واحد

أخذ العقل البشري يناقش من جديد الحقائق التي مرّت على الاجيال صارمة قاسية المنطق لا تلين . .

هذا هو المنطق العلمي الجديد . أوله إيمان بوجود نظام طبيعي للوجود والثاني مناقشة الحقائق التي تبدو لاغلب الناس عادية مألوفة

ومعنى هذا ايمان بقوة العقل البشري وقدرته بمجرد التفكير التجريدي الوصول الى قوانين تلك القوانين . كانت هذه النقطة في زمنين متقاربين وفي أمريكا عند جاليليو وديكارت في الطبيعة وديكارت في الفلسفة . العلم أخذ يناقش الحقائق المقررة عن عقيدة . والفلسفة عن عقيدة أخذت تقول « اني أفكر فاذن أنا موجود » . فكما كان جونّ ينظر الى الناس نظرة الجاذبية كان ديكارت يراجع الفلسفة من أولها وردها الى التفكير الصرف وكما كان في الماضي بوجه عام يضع على أساس الحاضر فلسفة جديدة . ومن العجيب أثر الرياضيات في ذلك التفكير . فأغلب هؤلاء المفكرين رياضيون لا يستثنى منهم الا هوبز . وقد ظل كثير من الناس أثر الرياضيات في تفكير البشرية ولكن الواقع ان معنى الرياضيات الفلسفي هو اتضاح التفكير التجريدي البحت . فان قوانين الرياضة ومعادلاتها قوانين عامة . وما هو معنى الجبر ؟ ما معنى س ، ص ؟ ما معنى تلك المجاهيل ؟ معنى ذلك ان تكون تلك القوانين [illegible]

بشخوص معينة هذا هو معنى التجريد . وكل قانون من هاته القوانين مفتاح لقانون آخر، حتى يمكن ان يقال ان هاته القوانين سلسلة متناسقة من حلقة كبيرة كقصر كبير متعدد الحجر والسراديب . كل مفتاح يفتح باباً جديداً ويؤدي الى حجرة جديدة . وخلاصة هذه المفاتيح وتلك المفاتيح التي اهتدى اليها المنطق بغير حاجة الى الشخوص والمحسوسات ذلك النظام المتناسق الرياضي الذي اسميه « الوجود » . ولكن مع الأسف قد سيطرت على الاجيال حتى بعد عصر النهضة فكرة كئيبة . هذا النظام ما هو ؟ أنظام مادي غير مسؤول ؟ هذه الفكرة المادية التي تخاطت الفكرة التي وراءها ، وهي فكرة « القوة الحيوية » التي ذكرها أفلاطون وعاد اليها برجسون اليوم — أعطت (اي الفكرة المادية) للعالم معنى الوجود الذي يقوده عنانه قوة ميكانيكية عاشمة الى ان وجد الفكر البشري اليوم في مأزق يضطره اضطراراً الى طرح هذه الفكرة المادية . واليك البيان : انتهى المنطق التجريدي البحت الى حقيقة هائلة . بل الى حقيقتين الاولى حقيقة التكرار والثانية حقيقة الاهتزازات . وما الثانية الا صدى الاولى . فكل شيء في الحياة يتكرر . هذا التكرار اساس الوجود والحياة ولا يمكن لانسان ان يتذكر شيئاً اذا لم يتكرر . فالفصول تتكرر والقلب يكرر نبضاته والموجة لا ترسم الا بتكرار خطوطها . ما هو النور ؟ ما هو الصوت ؟ ما هو اللحن الموسيقي ؟ ما هذه كلها الا اهتزازات متكررة . وليس لموجة من موجاتها قيمة في وقت معين وانما قيمتها في التكرار ونحن عندما نحلل عناصر الحياة ننتهي الى الالكترونات والى البروتونات ثم الى ما يسمى الكوانتم اي دقيقة « الطاقة » او الكهرباء التي باهتزازها وانطلاقها تكون البروتونات فالذرات . ولكن هذه الذرات عندما نشاهد مساريها الفيمية نجدها تنتقل ولكنها لا تعبر الفراغ الذي تراه اعيننا . فهل هناك إذن فراغ آخر ؟ ها هي ذي الفلسفة تمد يدها لتخرجنا من مأزقنا . وتقول لنا كلا . هناك فراغ آخر وراء الطبيعة تعبره تلك الذرات . وهذا الفراغ لا تراه أعيننا ولا تستطيع ان تراه . ولكن العلم يحتم وجوده ويقرره . وكذلك نرجع الى تلك الحوارق . اني أفسر لكم ألم تهتدوا الى التكرار والاهتزازات ؟ ألم تقولوا ان كل ذرة لا معنى لها ولا وجود الا بذلك التكرار . ولما لا تكون الحياة أمواجاً من الطاقة . وكل موجة في الطاقة لا تبقى لها قيمة الا بتكرارها في الفراغ الذي لا أجد حرجاً في ان أسميه الطاقة وهو اسم كما يقال لا يسمن ولا يغني من جوع . ولكن لا بأس به ما دام يعبر عن الفكرة . وكيانها وذلك تروبها في مكان . ثم تختفي في آخر ثم تعود للظهور في غيره عندما تستكمل اهتزازاتها وزمانها

ما معنى هذا ؟ معنى رائع . ان هذه القوى المفكرة التجريدية البحتة هي التي تفكر في الاشياء الخاضعة للمحسوسات المادية . أو طبقاً لرأي السير جيمز جينز « الوجود » تفكر في الله . » ما معنى هذا أيضاً ؟ ان العقل هو كل شيء . وانما يعبر « التجريد » يمكن ان نخلق

من العوالم الجامدة وغير الجامدة ما تشاء . وهناك معنى كبير غير ذلك . يستطيع المفكر أن يستيقظ ليشك ويراجع واعتماداً على قوته أمكن أن يناقش فيصل الى ادراج الحقائق . فكثرت المخترعات وازدادت الدنيا بآثار المفكرين ونتاج أدمغتهم . والآن ما حال النفس الانسانية ؟ هل صار الانسان أصفى غرائز وأطهر قلباً وأصفى نفساً ؟ قد لا يكون هذا . فالعقل البشري يثب وثباً . والنفس الانسانية متخلفة في شعاب البهيمية الاولى . وهذا هو للاسف مصدر الشقاء . فأين المفري الذي يدعو الى مراجعة الاخلاق والمعتقدات ؟ اني قد أتخيله ولكن لا ألمسه . فهو بعيد بل هو لم يوجد بعد . وعند ما يوجد فقد يشعر العالم بالميزان الاكبر الذي يتوقف على السعادة التي فكر فيها أفلاطون والتي ينتهي اليها تفكير السعادة والروح على السواء

فكرة ضائعة

للشاعر الفرنسي سوللي برودوم

فيم أفكر ؟ في هذه الساعة
وفي أيّ حلم جميل قد توارى...

هل أملك دموعاً لتبكي عليه ؟
وقد تركني دهشاً محيّراً .

هذه السعادة التي لم يكن عمرها الاّ لحظة ،
لا تقدر جهودي على استرجاعها .

لم أتذوّق فرح الوجود الاّ في الحُلم
وهذا الحلم — يا أسفاه — قد ولى

[نقله خليل هنداوي]

ثورة العرب

مساعيهم لتأسيس ملك عربي

لانيس الفرسي
استاذ الادب العربي بجامعة بيروت الاميركية

حدث في اثناء الحرب الكبرى حادثان كبيران كان لهما اثر عميق في نفسية العرب وبالتالي في شعرهم ، هما اعدام الشهداء ، والثورة الحجازية . ولسنا في مقام البحث عن الاسباب التي أدت الى كليهما وانما نحن نؤرخ الواقع وأثره في ادبنا العربي الحديث

ومن المعلوم ان الدولة العثمانية لم تكن قبل الحرب عمياء عن الحركات القومية العربية فأخذت تبث عيونها في كل ناحية لتلم بكل شيء من امرها . ولم تكن في اول الامر تظهر القسوة والشدة كما يستدل من مفاوضاتها لزعماء الحركة الاصلاحية الذين اجتمعوا في باريس برئاسة عبد الحميد الزهراوي [1] . على انها كظمت مافي نفسها خوفاً من تدخل الاجانب . جعلت تتحين الفرص السانحة

فلما اشتعلت نيران الحرب العامة والغيت الامتيازات الاجنبية اسرعت الدولة الى تفتيش القنصليات المعادية فوقع في يديها بعض الوثائق السرية ربما تمكنت ان تستفيد منها لتدمير الجمعيات العربية [2] وحينئذ شمرت عن ساعد الجد فقبضت على جماعة من الزعماء وتمكن بعضهم من الفرار الى اوربا ومصر

وأحيلت الاوراق الى الديوان الحربي لحكم على نخبة من اعيان الوطنيين بالقرب من الحكم في ٦ ايار (مايو) سنة ١٩١٥ في دمشق وبيروت . وحكم بالاعدام غيابياً على نحو ستين من الوجهاء ، فضلاً عمن عرفوا بالنفي او بالسجن [3]

---

(١) راجع صورة الاتفاق بين الطرفين في المنار ١٦ — ٦٣٩ (٢) راجع تفصيل ذلك في كتاب الثورة العربية لاميل سعيد ١ — ٦٦ (٣) راجع اسماء الشهداء والمحكوم عليهم غيابياً في كتاب الصحائف الذي اصدره جمال باشا وكتاب الثورة العربية الجزء الاول

ومن الصعب الآن ان يصف كاتب ما خالج قلوب انسكان يومئذٍ من الهلع والتقمة . وها نحن نعيد ذكرى تلك الايام المؤلمة فيعود الى نفوسنا ما كنا نشعر به من الضغط والرهبة — شعور غريب كان يخيم على البلاد حتى لم يكن احد يجسر على التكلم او البحث في الشؤون السياسية. او اظهار الاسف على شهداء العربية

على ان ذلك الضغط التركي الرهيب لم يخلُ من فائدة اجتماعية فقد كان من اسباب التقارب بين الطوائف . وذلك لارتباطهم بشعور عام انهم عنصر مظلوم وأثر ذلك بيّن في الشعر العربي لذلك العهد

والى ذلك الضغط وذلك الشعور الاليم بالظلم يرجع السبب في توسيع شقة الخلاف بين العنصرين التركي والعربي ، وبالتالي الى تسهيل مهمة الحلفاء في سوريا والعراق ، ثم الترحيب بهم يوم تمكنوا من الفوز على تركيا وفصل الاقطار العربية عنها . ومما يمكن لنا هذه الحال قصيدة لرضا الشبيبي نظمها على أثر طرد الاتراك من العراق وهي تحمل لنا أسفهُ بل أسف العثمانيين في العراق لسوء السياسة التركية التي أدّت الى التفرقة بين عنصري الدولة الكبيرين . وفيها يقول : (١)

يامن يعزّ علينا انْ نؤنّبهم ... في حيث لا ينفع التأنيب والعذلُ
جفوتمونا وقلتم نحن سادتكم ... وكلّ سيّدِ قومٍ مطبّها الاخفاق والفشلُ
تأبى الحوادث الاّ ان تعلّمكم ... ولا ودين التآخي ما بنا ملَلُ
أما صفحنا عن الماضي لأعينكم ... أما أديلت لكم أيامنا الاوَلُ

ومنها مشيراً الى حكومة الاتحاديين وسوء إدارتهم : —

فيضمّ لحفاظ الملك طائفة ... لغيرها الملك والاجناد والدول
قوم من العرب وخز النحل أريهمُ ... وحظ قوم سوانا الاريُ والعسل
عند المغانم تفسونا ويقدحنا ... من المغارم ثقلٌ ليس يحتمل
أين الزهير بأموالٍ لنا ذهبت ... ومن يقيدُ باخوانٍ لنا قُتلوا
إما شهيدٌ معلّى فوق شاهقةٍ ... او موثق بحبال الاسر معتقل

فالشاعر هنا يعيد ذكريات الحرب وما قبلها ويعزو الى الاتحاديين ما أصاب البلاد من شقاء. وما نجم من خلاف أدى الى إبعاد قواها ووقوعها في يد الاعداء

***

ومن البديهي ان الشعر العربي في الاقطار العثمانية لم يستطع اثناء الحرب ان يبكي الشهداء كما كان يود . فما وضعت الحرب اوزارها وخرجت سوريا والعراق والحجاز من المنطقة العثمانية عاد الشعراء الى ذكريات شهدائهم وصاروا يعددون مآثرهم . وقد رفعهم الشعر الى مصاف

(١) راجع كتاب « العراق في دوري الاحتلال والانتداب » للحسني ص ٥٥

الابطال فافتن في نعتهم وتقريظهم أحد الشعراء كما فعل الزهاوي في قصيدته « الثائرة » وهي تقارب المائة والستين بيتاً ولا نخرج اذا حكيناها « بسكة الشهداء » . ففيها يصف المشانق وقبور القتلى وأعلامهم ، ويذكر أسماء الشهداء واحداً واحداً باكياً شبابهم طالباً الثأر لهم . ثم يذكر ما أصاب الثائرين من نفي وتشتيت ويعقب بذكر الثورة ودخول العرب دمشق وختمها بذم جمال باشا ، والتفاؤل بعهد زاهر يمحي الدهر ماضي الآلام : واليك بعض أبياتها :—[1]

على كلّ عود صاحبٌ وخليلُ وفي كل بيتٍ رنّة وعويلُ
علاها وما غير الحيّة سلّمٌ « شبابٌ تسامى للعلى وكهولُ »
لقد ركبوا كور المنايا بهمّم الى الموت من وادي الحياة رحيلُ
رجالٌ عليهم من سنا الفضل رونقٌ وللمجد فيهم غرّةٌ وحجولُ
مضوا في سبيل المجد يحدوهم الهدى وللحق بين العالمين سبيلُ

***

قبورٌ ببيروت وأخرى بحلبٍ تُجرّ عليها الريح ذيولُ
سرت روحهم تطوي السماء لربها وما غير ضوء الفرقدين دليلُ

وبعد ان يذكر الشهداء ويعدد أسماءهم وصفاتهم يقول : —

بني يعربٍ لا تأمنوا الترك بعدها بني يعربٍ ان الذئاب تصولُ
وان تسكن الايام عن حصبة جنرا ولكن بما كالوا لهم ستكيلُ
وقد سلبوا حرية الناس مذ غزوا وتلك مرادٌ للحياة وسُولُ
وصبّوا دماء من شعوب بريئةٍ فاحضنّ رهطاً بها وتقولُ

ومنها مخاطباً جمال باشا : —

جمالُ لأنت القبح تحوك ضمه وثوبك اذ أرخاه فيه ذليلُ
تُريد لمجد الشرق وهو أثيمةٌ وهيهات ما مجد الدنيء يزولُ
روبدك لا تغترّ بالدهر ان صفا ولا تأمن الايام فهي تدولُ
ورائك لا تترب رواسي يعربٍ فتقرب رواسيها عليك ويلُ

***

ولخير الدين الزركلي قصيدة نظمت (٥ سنة في ديوانه) على اثر اعدام الترك فريقاً من

(١) راجعها في ديوانه « وفي الادب العصري لبطي » ١ — ١٨

شبان العرب بسورية وتيام الثورة بالحجاز ، ومنها في الشهداء —(١)

فمي نادب العُرب شبّانها يجدّد بالنعي احزانها
بكى كلّ ذي عزّة تربه فهاج نزاراً وعدنانها
فمن للمدامع ان لا تفيـ ـضَ وترسلَ كالسيل هتّانها
فجائعُ هنّ حديث القلوب وهيهات تسطيع سلوانها
ومنها : فأبكي على غرر المسلمين أباة الذلّة قرآنيها
وابكي على آل عيسى المسيح ثمّ العرانين صلبانها
لغتْ لغة العُرب من احكموا لسان قريش وتبيانها
وناحتْ على من بنوا عزّها واعلوا بما اثّلوا شانها

وهناك قصائد اخر هذين الشاعرين فلتراجع في مظانها

٭٭٭

وكما نسمع بكاء الابطال في الوطن نسمعهُ في المهاجر . فان المهاجرين لم يكونوا يوماً اقلّ حماسةً من اخوانهم المقيمين . والذي يقرأ دواوين ابي الفضل الوليد ، والشاعر القروي ، وفرحات ، والحرّ ، وصوايا وسواهم يرى من أنفاد الروية ما قد لا يراه في البلاد العربية نفسها. واليك انموذجاً من شعر المهجر في الشهداء وهو من قصيدة موضوعها « لبحي العرب »(٢)

بلادَ الشام غادرك الكرامُ فعيش الحرّ فيك اذن حرامُ
لقد كثرت من العرب الضحايا ولم يهتزّ في القمد الحسامُ

ومنها مشيراً الى السفاكين حاضّاً العرب على الثورة —

وحتّام المخافة من علوج لهم ذمٌّ وليس لهم ذمامُ
يرون محبة الاوطان جرماً بهِ يهوي من الاحرار هامُ
لقد تتلوا العواطف والمزايا ففي احشائنا منها سهامُ
أبقى ساكنين بلا حراكٍ وللثورات حولينا اضطرامُ

ثم يخاطب الشهداء ويصف مجدهم لدى الموت

أيا صحبي الكرام الا فداكم لثامٌ بعد ما نلّ الكرامُ
مشيتم باسلين الى المنايا وكان لكم عن النطع ابتسامُ

(١) ديوانه (١٩٢٥ ٦٥ (٢) ديوان الاساس المنتهية (الوليد) ٧٢

ليحيَ العرب قد صحتم ومتم نصبحتكم لحطتكم دوامُ
نحن لدى بسالتكم حيارى وأنتم فوق ذلتنا عظامُ
على أعواد مرقبة رفعتم منارات بها يهدى الانامُ
وكنتم قدوة للشعب مثلى فهل يُرجى له يوماً قيامُ

ويتضح من هذا الى مخاطبة ارواحهم ثم يختم قوله بالحكمة التالية —

ورب ضحية أحييتُ شعباً فكان لها العتاق واقتحامُ
على البلوى اخو صبر جميلٌ لنا آمالنا ولك السلام

والوليد على هذا النسق عدّة قصائد عربية الروح كهدى الاحياء، والصرخة الكبرى والدولة العربية وسواها. ومثل ذلك للشاعر القروي. ومن اقواله في الشهداء قصيدة مطلعها[1]

خير للطالع تسليم على الشهدا ازكى الصلاة على ارواحهم ابدا
فلنحن الهام اجلالاً وتكرمةً لكلّ حرعن الاوطان مات فدى
يا انجم الوطن الزهر التي سطعت في جو لبنان للشعب الضليل هدى
قد علقتكم يد الجاني ملطخة فتندست بكم الاعواد والمشدا
بل علقوكم بصدر الافق اوسعة منها الثريا تلظى صدرها حسدا
أكرم بحبل غدا للعرب رابطة وعقدة وحدت للعرب معتقدا

والقصيدة كلها — كاكثر شعر القروي — غيرة وطنية متقدة، واذكاء لنار الحمية القومية في صدور الشبيبة العربية. وقد اتخذ الوطنيون في سوريا ولبنان يوم ٦ ايار (مايو) عيداً تذكاريًّا عامًّا. ففي بيروت كما في دمشق يقيمون كل عام مهرجاناً حافلاً يلقون فيه الخطب والقصائد ذاكرين ابطال الوطنيين الذين ضحى بهم على مذبح السياسة والقومية ولو جمع كل ما قيل فيهم منذ انتهاء الحرب الكبرى الى الآن لملأ مجلداً ضخماً. فنقف هنا عند حد الاشارة اليها

***

اما (الثورة الحجازية او العربية) فقد اعلنت في مكة سنة ١٩١٦. والذي يطالع ما نشر من الكتب والرسائل عنها (عربي وغير عربي) يصل الى النتائج التالية —

١ — ان الشعور العربي القومي الذي شهدناه يتأجج عقب اعلان الدستور حتى توصل الى المطالبة باللامركزية حتى في اول الحرب، ولكنه لم يلبث ان تحول الى كراهة الترك ورغبة في التخلص منهم لضغط الاتحاديين في اثناء الحرب

(١) راجع قصيدة الاعاصير ص ٥٥

٢ — ان العلاقة بين الاستانة ومكة كانت على شيء من التوتر وقد زادها توتراً اتصال شريف مكة بالجمعيات العربية

٣ — ان الحلفاء وأخصهم بريطانيا تمكنوا من اجتذاب الشريف حسين بن علي اليهم بوعود خلابة منها انهم يساعدونه على استقلال العرب وتأسيس مملكة عربية

٤ — وبناء على هذه الوعود اعلن الحسين الثورة على الاتحاديين فاشترك العرب فعلاً في الحرب الكبرى

وقد كان لهذه الثورة في البلدان العربية (ما عدا مصر) نتائج معنوية خطيرة اهمها انها اذكت في نفوس الناس العصبية الجنسية ، ووضعت في ايديهم سلاحاً فعالاً للمطالبة باعادة مجدهم الذي

فأصبح الملك حسين في الادب العربي (في سوريا والعراق) بطل العرب والمطالب الاكبر بحقوقهم . واذا لفت النظر هنا الى منشور الثورة [1] الذي اذاعه باسطاً فيه الاسباب التي حفزته الى مقاتلة الاتحاديين ومنها اضطهادهم للغة العربية ، وتقلهم لكثيرين من نوابغ النهضة القومية وما قاموا به في البلاد العربية من نفي أسر وافراد ومصادرة اموال ومتاجر ، وغير ذلك من الاعمال المنكرة

وقد اشترك في هذه الثورة عدد غير قليل من السوريين والعراقيين ، وبينهم نخبة من ضباط الجيش التركي سابقاً . ولا بدع فقد اعلن الشريف « انها عربية تشمل كل عربي كائناً من كان على شرط أن يكون صادقاً لوطنه مخلصاً لقوميه » [2]

ولاشك أن الاتراك بذلوا جهدهم لاخماد الثورة . وقد استطاعوا في اثناء الحرب ان يكمّوا افواه الناس في سوريا والعراق عن نشر اخبارها . بل أن يحملوهم على التشيع بها . على انها كانت في الحجاز قوة فعّالة . وكان للادب نصيب كبير فيها ومن حامي لوائه شاعر الثورة فؤاد الخطيب فقد ارخت اليه بكثير من الشعر الحماسي . كقوله من قصيدة حيّى بها استقلال العرب ونهضة الحسين ومطلعها [3] —

حيّ الشريف وحيّ البيت والحرما ... وانهض فذلك يرعى العهد والذمما

يا صاحب الهمّة القعساء انت لها ... ان كان غيرك يرضى الأين والسأما

ومنها مخاطباً الاتحاديين —

يا آل جنكيز ان تثقل مظالمكم ... على الشرق فقد كانت لهم قدما

---

(١) راجع المنشور في الثورة العربية (لنجيب سميد) — ١١١ وفي كتاب الوثائق والمشاهدات لجريدة الأيام الدمشقية ص ٢٦

(٢) كتاب ثورة العرب (للقطم ١٩١٦) ٢٣١ (٣) كتاب ثورة العرب (للقطم ١٩١٦) ٢٤١

فالظلم يقظ منهم كل ذي سِنَةٍ ما كان يهض لولا انه ظُلِما

ومنها يشير الى اشتعال الثورة في الحجاز —

فمن يكن عن أباة الضيم في صممٍ فليسمع اليوم صوتاً يحسم الصما
فقد تكلم صوتُ النار مرتفعاً من الحجاز فشقَّ اليد والأكما
يا ابن النبي وانت اليوم ناصره قد عاد متصلاً ما كان منفصما
والفَّ حولك أبطالٌ غطارفة ثمُّ الانوف يرون الموت مُغتَنَما
قاصدمْ بهم حدثان الدهر معترضاً صُدًّا من الترك ان تمرض له أنهدما

ثم يلتفت الى العرب مستفزًّا حميتهم ومذكراً اياهم بمجد الغابر

إيه بني العرب الاحرار ان لكم فخراً أطلَّ على الاكوان مبتسما
من ذلك البيت ، من تلك البطاح ، على تلك الطريق مشت أجدادكم قدماً
من كل أروعَ وثّابٍ اذا انتسبتْ يبض الصوارم كان الصارم الخذما
لستم بنيهم ان لستم من سلالتهم ان لم يكن سميكم من سميهم اسما
الى الشآم ، الى أرض العراق ، الى أقصى الجزيرة سيروا واحملوا العلما

ومثل الخطيب خير الدين الزركلي . ومن فتاته في هذا الباب قوله سنة ١٩١٨ من قصيدة عنوانها العرب والترك يصف فيها فظائع الاتراك [1] —

عثا أحفاد جنكيز فساقوا سلاسل بعربيٍ سوق العبيد
فكم قتلوا من الاخيار صبراً وكم ساموا المهانة من عميدِ
وكم عسفوا على الاعواد ظلماً وكم سقَوُا المنيَّة من شهيدِ

ثم يشير الى الثورة فيقول : —

الى أمّ القرى عدتِ المذاكي وفي أمّ القرى خفقُ البنود
يرفُّ في الحجاز ويطمئن وهناً فكان بجلّق قصف الرعود

ويقول من قصيدته « الشهداء » وقد مرَّ ذكرها : —

أبى نسب الأُلى اقتسماً لها وخاف على الضيم خسرانها
أثار بني هاشمٍ في الحجاز وأنطق في الترب حسّانها
كتائب هبت تابي الدعاة وتطوي القفار وكثبانها
برحم يرنّ وعضبٍ يئن يُنبّه في الترك وسنانها
هو الثأر أدركه الثائرون أشجى فروقاً وأطغانها

(١) ديوانه ٨٣

وقصائد هذين الشاعرين نموذج لما نظم في الثورة والقائمين بها

وما تراه في الوطن تراه في المهجر فقد حركت الثورة هناك الشعر العربي فأجاد شعراؤه في وصفها وتمجيد حسناتها ، وتمجيد من أوقدوها ، كقول رشيد أيوب (١) —

من أقاصي الروم نهديك السلام مع نسيم السحر
يا شريفاً كلما ناح الحمام فوق غصن الشجر

صاحب السيف الصقيل المستطاب في دياجي المحن
انت من قوم لهم تنو الرقاب من قديم الزمن

خضتها حرباً على الباغي تدور بكماة أشد
وتركت الترك اصحاب الفجور عبرة للناظرين

فأدر ايها الساقي الكؤوس جاء وقت الطرب
واسقنا من خمرة تجلو النفوس من ظلام الكرب

واصغ للبلبل ان لاح الصباح صاح فوق القضب
فلتعش تغرّ في تلك البطاح دولة العرب

وهذا الشاعر من مهاجري السوريين في الولايات المتحدة وهم عموماً أقل تأثراً بالحركة العربية من مهاجري أميركا الجنوبية كما يشهد بذلك شعرهم المنثور في الدواوين والصحف وقد ألممنا وسنلمّ أيضاً بشيء من أقوال هؤلاء « الجنوبيين » الذين كان لهم مآثر في إضرام الروح العربية وحفظ الصلة القومية بين أبناء العرب في تلك الاصقاع

ولما انسحبت الجيوش التركية من الاصقاع العربية ودخل العرب دمشق في ٣ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٨ أخذت الشعر نشوة الظفر حتى كنت تراه في الدوريات والتدمس وصفو الخواطر تتدفق الخواطر تدفق الجداول السيول كقول الياس زخور (٢) —

أجل بزغت في الشرق شمس الحقائق برغم العدى والزعجات الصواعق
غداة انتضى العضب المهنّد بيصل كل كميّ رابط الجأش صاعق
نصرك يا عرب الكرام يهولها صليل المواضي او دويّ البنادق
ولا راعها ما جرعت من مرائر وقد لعبت قدماً حيال الحقائق

(١) الايوبيات ٦٩ (٢) ديوانه حماسيات ٤٧

وقول الزهاوي من قصيدته النائحة (وقد مرَّ ذكرها) —

وجاءت خيول الحرب تعدو وراءها بتقريبة للانكليز خيولُ
هنالك اهل الشام صاحوا وكبّروا وكبر اعلامٌ بها وسهول
وكان لاخذ الثأر قد ثار ضيغمٌ له في مثار النائبين شبـــول
اغر كريم الاصل من فرع هاشم فطاب له فرع وطاب اصولُ

وقول امين ناصر الدين في «الاطام» من قصيدة موضوعها يوم الصلح : —

فيالك يوماً فيه وثق الورى عرى الصلح رهط صادق العزم حازمُ
فنيلت حقوق واستقلت ممالك وأنصف مظلوم وحوزي ظالمُ
نهضت بهم من وهدة اليأس همةٌ فعيشهم غضّ الجوانب ناعمُ
طلعت عليهم والوجوه عوابس ولم تمض الاّ والثغور بواسمُ

وقول اسعد خليل داغر من قصيدته «تاريخ الحرب الكبرى» في فتح سوريا :—

بشراك سورية العزيزة فافرحي وتهالي بخلاص شعبك واطربي
فالله سؤلك قد اجاب فبالغي ما شئت في حمد الاله واطنبي
وعلى الاُلى نجوك آيات الثنا صوغي وعن قدر الصنيعة أعربي
اني لتفقك العظيم لشاكرٌ وبنصرهم هذا لاكبر معجب

وفي ٢٣ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩١٨ احتفل العرب احتفالاً باهراً برفع العَلَم العربي في المكان الذي شنق فيه شهداؤهم ، فكان لرفعه هزّة ادبية عظيمة وهي تتجلّى في عشرات القصائد والخطب التي جاشت بها خواطر الادباء من جميع المذاهب . واليك منها هذه القطعة الحماسية وهي من خمس للشيخ مصطفى اللايثي (١)

رايةَ العُرْب رايةَ المدنية رايةَ المجد رايةَ الحرية
انت مهوى آمالنا الوطنية ومنارٌ يهدي السبيلَ السوية

دمت فينا مدى الزمان عليّه

بك نحمي الحمى المقدّس ونجني ثمرات نحيي القلوبَ وتُغني
ونرجّي الحياة في روض امنٍ وارفٍ ظلّه خصيب أغنّ

في حمى دولة العلم العربية

(١) راجع قصيدته «نشيد الحرية» في ديوانه

ومن هذه الحماسيات قول شاعر مسيحي من موشح[١]

ايها الابطال حيوا العلما ... واحموه
والصبوه فوق اسوار الحمى ... واحرسوه
كن لقومي رمز مجدوعلاه ... في الامم
وتوّج ذلك الشعب فداه ... يا علم

ويعكس شعور المهاجرين قول ابي الفضل الوليد من قصيدة موضوعها نشيد العلم[٢]

العُرب حولك جندٌ ايها العَلَم ... منهم تألفت الاوطار والهمم
من خضرةٍ وبياض لمة وهدى ... وحمرة وسواد نقمة ودمُ
الوانك استكملت امجاد عنصرهم ... فيها تلاقى النجى والبأس والكرم
اليك ترنو وفي اجفانها عبرٌ ... وفي القلوب شعور دائب يحتدم
من الحجاز الى ارض الشآم الى ... ارض العراق لك الآفاق تبتسم
اذا طلعت تطلّعنا الى شرف ... وعزة فاطأنّت حولنا الامم

وقس على هذه الامثلة القليلة ما لو أثبتناه لما وسعته عشرات الصفحات.

***

كان الحزب العربي يأمل تأليف سلطنة عربية تضم الشام والعراق والحجاز وسائر الجزيرة العربية تحت العَلَم الهاشمي. فتكون هذه الاقطار امارات مستقلة في ادارتها الداخلية ولكنها مرتبطة بعرش واحد يجلس عليه الحسين وأولاده من بعده. وكان هذا الحزب يوالي دولة بريطانيا العظمى ويعتبرها سنداً للدولة العربية وحليفة لها على طوارئ الزمن.

فلما انقضى العام الاول على تأسيس حكومتهم في دمشق ظهر لهم ان قيامهم بوعود الحلفاء لم تكن قائمة على أسّ ركين؛ وان الاعيب السياسة الاستعمارية لا يؤمن شرها، فأخذ التشاؤم يتسرب الى نفوسهم. وبعد أن كانوا بالأمس يعتقدون طربا لذكر الثورة والعَلَم العربي والسيادة القومية، وقفوا يتهامسون بما سيؤول اليه أمرهم. وطبيعي في مثل تلك الحال أن يمس زهرة شعورهم القومي شيء من الذبول — منحة من الشعور الاعظم. ومن ذلك قول الزركلي سنة ١٩١٩ من قصيدة له مطلعها:—[٣]

فيمَ الونى وديار الشآم تُقتَسَم ... أين الهمود التي لم تثرها الذمم

---

(١) جليم دموس — ديوانه — ٣٠٧ (٢) الاعلام الشرقية ١٠٢٠ (٣) ديوانه ٥٥

وهي أكثر من أربعين بيتاً ، وقد بصل فيها شعوره الى درجة الثورة على الظلم فيقول متوعداً —

أيّة بسام ظلمت وطني وأبنت عشه بالغيث منسجم
لئن تولّوا رعينا حسن ودّهم وصيّرونا ومنهم في المروق دمُ

وأشد من ذلك قول الغلاييني في دمشق سنة ١٩٢٠ — (١)

هبّوا لنجدتكم أمست على خطرٍ جارت عليها الأعادي جور مُنتقمِ
حتى تسيل ربوع الشام مُفعمةً دماً يسيل الردى في سيله العَرِمِ
وذمة العُرب والايام شاهدةٌ لنضرمنّ الوغى في السهل والظُّلمِ
حتى يخلّوا بلاد العُرب أجمعها من ساحل الروم حتى ساحل العجمِ

ولم يكن شعراء المهجر أقلّ من شعراء الوطن شعوراً بمكائد الاستعمار وخوفاً من ضياع الآمال . ففي الحفلة الكبرى التي احياها الحزب الوطني السوري في بوسطن ابرس سنة ١٩٢٠ احتفالاً بتسلم فيصل عرش سوريا القى الدكتور جورج صوايا قصيدة حماسية قال فيها مخاطباً الامة العربية (٢) —

يا امتي جاهري بالحق لا تجمي ونازعي الخلق بفيا مجدك الهرم

ومنها مشيراً الى فيصل والعَلَم العربي —

قد قام فينا صلاح الدين يحزمهم فليفخم الشام من قد قال لم يقم
ففيصل العُرب سيفٌ باحثوا في حده الحدّ بين الذل والشمم
يا ايها الشعب دافع عن كيانك لا تحيينّ وذدْ بالقنا عن مجد ذا العلم

وقد حملت الحماسة شاعراً كبيراً من شعراء المهجر ان يطلب من وطنه لبنان الانضمام الى الدولة العربية في سوريا واليك بعض قوله في ذلك (٣)

فانْ لم ترضَ بالعُرب اتّصالاً فلا تجعل جزاء الخير شرا
ولا تطلب لاوربا انتصاراً على الشعب الذي ولاّك نصرا

ويقول مخاطباً فيصل —

أفيصل انّ للمطامع مخلباتٌ بنا وبحوادث الايام تُرى
فلا تترك لذي طمع علينا يداً تخفي وراء الطلو مرا

ثم يتطرق الى ذكر الاحزاب واختلافها والى آمال الوطنيين الاحرار فيقول متوعداً —

وان تفشل ويفشى الشام ضيمٌ جعلنا الشام للافرنج قبرا

(١) ديوانه ٦٦ (٢) ديوان همس الشاعر ص ١٠٥ (٣) الياس فرحات — راجع مجلة الاصلاح (بوسطن ابرس) ج ٤ عدد ٨

ولهذا الشاعر الوطني كثير مثل ذلك

ومن يراجع الشعر العربي السياسي في السنتين الثانيتين للحرب (١٩٩١ و ١٩٢٢) يجده واحداً في جميع الأوساط السورية والعراقية — بعد عن سياسة الدول في الشرق ودعوة الى الجهاد في سبيل الاستقلال والمحافظة على كرامة العالم العربي . ولعل اهم ما اثار النفوس في ذلك الوقت واقعة ميسلون وما كان من بسط الانتداب على البلاد السورية — ثم الثورة العراقية والهابها العصبية القومية على ضفاف الرافدين (وسنذكر لي باب خاص)

اما مصر فكانت مشغولة باحوالها الخاصة — كان شعرها السياسي منصرفاً الى محاربة الاحتلال ، وتوجيه نظر الأمة الى الاستقلال . ورغم ... كنا نراه يومئذ لبعض شعراء المصريين من العطف على القطرين الشقيقين (سوريا والعراق) لا يسعنا الا ان نقول ان الرأي الادبي العام في وادي النيل لم يكن عربي النزعة — بل نذهب الى ابعد من هذا فنقول انه كان دائماً ثورة الحسين على الخلافة العثمانية ، تلك الثورة التي انتهت بانتصار الحلفاء وتعزيز الاحتلال (عندئذ) في مصر . ولهذا وقف الشعر المصري ازاء القضية العربية وقفة المعرض ناقضاً يده من كل ما له علاقة سياسية أو قومية بسائر البلدان العربية

ويؤيد قولنا هذا ما صرّح به مصري صميم [1] اذ قال في حفلة تكريم الوفد العراقي سنة ١٩٣٦ مشيراً الى هذا الموقف والى تحوّل الشعور المصري [2] —

« منذ عشرين سنة أو نحوها كان اكثر المصريين اذا ذكر البلدان العربية ذكرها في شيء من الموجدة يشبه الالحاد » . وبعد أن يذكر أن نظرهم الى الاقطار العربية لم يكن يختلف عن نظرهم الى أي قطر شرقي — كاليابان او الصين مثلاً — يقول — « تلك المرحلة الاولى كانت مرحلة الوسواس والشكوك . فلما قامت الحرب وراكمت على الاخوات المتفاوتات استيقظت روح الايمان من سباتها العميق فاخذت الاسماء والاقلام العربية تذكر ذكرت السورية والام الشقيقات ذكرتها مصحوبة بشعور من الاخاء لم يكن غير مرفور »

***

وقد كان الشعراء في سوريا والعراق حتى في « مرحلة التكرار والوسواس » التي يشير اليها الاستاذ دياب عطف على القضية المصرية . على ان تحول الشعور المصري الاخير نحو الشقيقات العربية قد زادهم حماسة واهتماماً وسنرى بعد قليل يظهر والام لوطنهم المصري [3] هو جهادهم

(١) هو توفيق دياب مقتبس جريدة الجهاد (٢) راجع خطابه في صوت الاحرار عدد ٧٦٢

الفيلسوف المهمل

أهم نوامي عبقريته

ترجمة جديدة لاسحق نيوتن

ليس في تاريخ العلم الحديث عبقرية علمية أصفى معدناً وأوسع نطاقاً من عبقرية « أمير الفلاسفة » اسحق نيوتن . ولكن هذا « الفيلسوف الطبيعي » الذي وضع كتاب المبادئ Principia وكشف تركيب الضوء واستنبط حساب التمام والتفاضل Calculus وضع المرقب العاكس كان يعني كذلك بالفقه والتاريخ والكيمياء القديمة التي غرضها تحويل العناصر الخسيسة الى أخرى رزينة وثمينة، فكان يهمل الناحية العلمية الاصيلة من عبقريته لانه كان يظن أن قيمة المباحث التي من النوع الثاني أهمُّ وأجدى . فنحن في حياة نيوتن أمام « عبقري من الطبقة الاولى في موضوع لم يكن في حسبانه ذا شأن من المقام الاول »

هذا هو السلك الذي ينتظم حبات العقد في سيرة نيوتن كما وضعها صليفن الكاتب الانكليزي ونشرت من أشهر بعيد وفاته[1]

لقد كتبت سيرة نيوتن غير مرة ونشرت رسائلهُ أو معظمها فليس في كتاب صليفن شيءٌ جديد كبير الشأن لم يكن معروفاً . وانما العناية بكتاب صليفن تستمد من انهُ أعاد كتابة السيرة النيوتونية من ناحية جديدة . أي أنهُ رسم صورة الفيلسوف الجاذبية بنفس الالوان والخطوط التي رسمتها سورهُ السابقة . ولكنهُ قدَّم وأخَّر وأخفى وأبرز في ألوانه وخطوطه على وجه يلقي على شخصية الفيلسوف ضوءاً جديداً . ومدار هذه الصورة الجديدة هو أن نيوتن لم يكن يعلق شأناً كبيراً بسرِّ عبقريته في الرياضة والطبيعة والفلك

خذ مذهب الجاذبية . فليس هناك ريب في أن نيوتن بدأ يهتمُّ بظاهرة الجاذبية وهو بين الثالثة والعشرين والرابعة والعشرين من عمره . قال في احدى رسائله انهُ بدأ في ذلك السن « يفكر في وصول الجاذبية الى مدار القمر . . . وبذلك قابلت بين القوة اللازمة لحفظ القمر في مداره بقوة الجاذبية على سطح الارض » وكان ذلك في سنتي الطاعون (١٦٦٥ و ١٦٦٦) عندما ترك جامعة كمبردج وعاد الى أهله الى ان تخفَّ وطأة الوباء . وليس هناك شك كذلك في

(١) Isaac Newton (1642-1727) by J. W. N. Sullivan (Benn Bros. London Ltd. 1938)

انهُ كان مهتمًّا بالبحث في هذا الموضوع بعد انقضاء ثلاث عشرة سنة ثم بعد انقضاء عشرين على ذلك استجاب الى حثّ أصدقائه فوضع في سبعة عشر شهراً كتاب «المبادئ»

فالسؤال الذي يستوقف النظر هو هذا : لماذا تأخر نيوتن في نشر مكتشفاته الخطيرة الشأن؟

كان التفسير المقبول حتى الآن — وهو الذي أخذنا به في المقتطف — انهُ عندما أراد القيام بعمل الحسابات الخاصة بمذهبه في الجاذبية كان القياس الذي اعتمده لنصف قطر الارض غير دقيق فجاء اختلاف بين النظرية والواقع في حسابه ، فأبى عليه ضميرهُ أن ينشر مذهباً جديداً لم يتيقّن كل التيقّن من دقته . ولكن مطالعة أقوال نيوتن ورسائله تبين انهُ كان يعتقد ان المطابقة بين النظرية والواقع كانت لا بأس بها . وقد أثبت العلّامة كاجوري مؤرخ العلوم الرياضية أن هناك ما يبعث على الاعتقاد بأن القياس الذي اعتمدهُ لنصف قطر الارض كان يصحّ الاعتماد عليه

وقيل كذلك في تفسير اهماله لنشر ما كشف بأنهُ فرض في حساباته ان كتلة الارض مركزة في مركزها وان هذا الرأي لم يثبت لهُ حتى استنبط فرعاً جديداً كاملاً في الرياضة العالية وان ضميرهُ أبى عليه النشر قبل ذلك . ولكن نيوتن نفسهُ لم يترك قولاً ما يفيد انهُ كان يعلّق شأناً كبيراً بهذه الصعوبة التي صادفها بل هناك ما يشير الى انهُ كان يرى — بصرف النظر عن الارقام — ان نظرية الجاذبية كافية لتفسير حركات السيارات ومداراتها

وها هو ذا الآن كتاب صليقن يأتينا بتفسير جديد غاية في البساطة وهو ان نيوتن لم يكن يظن ان الناموس الكوني الذي كشفهُ كان ذا شأن عظيم . بل كان في نظره مسألة فلسفية عامة في ذاتها ولكنها لا تخرج عن كونها حلاً لمشكلة تسترعي الاهتمام . ذلك لان عنايتهُ كانت منصرفة على الدوام الى موضوعات نظرية وتاريخية وكيمياوية باعتبار القديم

وكان موضوع الضوء قد استرعى عنايتهُ . فهتمّ به وكشف فيه كنوزاً خطيرة . إلاّ انهُ كان منذ طفولته يحب الاشياء الميكانيكية وتركيبها وتركيبها وبرع براعة عظيمة في ذلك ومع ان بحوثهُ في الضوء كانت دون بحوثهِ في الجاذبية نراهُ يؤثر ان تضاف اليها لانها كانت مبتدعاً لاجرائه التجارب بأجهزة ان [illegible] في صنعها ذكر [illegible] بعد في ضرورتها

كانت الرسالة الاولى التي قدّمها الى الجمعية الملكية خاصة بالمرقب العاكس المعروف بالمرقب النيوتوني وهو المرقب الذي محلّ فيه المرآة بلجم الضوء محلّ العدسة وقد كان هذا المرقب وليد إبداعه الذهني ويراعته اليدوية ومع ذلك لم يجترئ ان يعرض على الجمعية كشفهُ الخاص بالضوء وهو ان الضوء مركب من الالوان المختلفة مع علمه ان هذا الكشف الاساسي مهّد انهُ السبيل الى صنع المرقب العاكس

و... يصح على موقفه من مكتشفاته الفلكية والطبيعية يصح كذلك على ... فقد ... اكتشافاته الرياضية. فقد كان يبدو عليه انهُ كان وهو معنيٌّ باستنباط فرع جديد في الرياضة ... كان مكبٌّ على شرح كبير يدارسهُ في الخفاء لا كأنهُ يبدي خدمة عظيمة لتوسيع آفاق الفكر ... لذلك لم ينشره توصل اليه. ولا أبدى اهتماماً ما بأسلوب نقدهُ الفيلسوف الالماني ليبنز في ... نفسه. ولا كان يهمهُ ان يذاع ويعلم انهُ السابق الى الاكتشف. الاَّ ان الامر الذي ... يطيقه ويصبر عليه، كان الزعم المروي عن نسان ليبنز بأن نيوتن اخذ عنه ولم يعترف ... اخذ ولا عن اخذ. ومع ذلك لم يكن يرغب في الجدال بوجه عام. فقد كان في قدرته ان ... يثبت اشياء انكرت عليه ويصحح اخرى رويت خاطئة، ولكنهُ كان يرى ذلك ضياعاً ...

كان نيوتن في الثانية والاربعين من العمر عندما تم تأليف «المبادىء» الذي قال ... « ان لكتاب المبادىء الذي وضعه نيوتن مقاماً فوق كل ما انتجهُ العقل البشري». ألفهُ ... سبعة عشر شهراً اجابةً لحث اصدقائه ولا سيما هالي الفلكي المشهور. وكثيراً ما اشار ... الى كتاب المبادىء بقوله «كتاب هالي». ألفهُ وكأنهُ خاضع طبقة تلك الشهور ... لا قبل له بمقاومتها. فلما انتهى منهُ أطلق من عقالها وكان انطلاقهُ جامحاً. فقد عاش ... حتى بلغ الخامسة والثمانين ولكنهُ لم يعن في النصف الثاني من حياته عناية جدية بالعلم. ... سبب ذلك على وجه صحيح فقد يكون الاعياء الذي اصابه على اثر الانتباه من المبادىء ... تأثره بوفاة والدته او غير ذلك من الاسباب ولكنها جميعها غير وافية. الاَّ ان الواقع انهُ اصيب ... بضعف نفسي وكاد ان يصاب في سنة ١٦٩٣ بخلل عقلي. بل ان الخلل اصابه مدى سنة تقريباً كما يبدو من ضعف التناسق في رسائله الخاصة ولكنه استرد صحته العقلية في آخر السنة وبقي ... مالكاً لحواسه حتى وفاته لم يشر بحاجة الى النظارات ولم يحتج له الاَّ قبيل ... قبل تمام العمر وكان ضعيفاً عليلاً في طفولته.

قلنا ان نيوتن كان شديد الاهتمام بمسائل الفقه والتاريخ والكيمياء القديمة وهو ... ويدل على تناقض اساسي بين نضوج نظرته العلمية في بحوث الطبيعة والفلك ونظرته التقليدية ... في بحوث الطبيعة الحديثة القائمة على التجرد والتجريب. وقد بدا كأنهُ ... وخلَّت «المبادئ» و«بصرياته» على اثمها. ولكن الكيمياء استرعت عنايتهُ كما استرعت ... عناية اصحابه هوك وبويل ولوك. ولم يكن في نظرة نيوتن الى المادة ما يتعارض ... كما كانت مفهومة في عصره. فهم انهُ لم يسلم بالرأي القائل بان المادة قوامها العناصر ... الاربعة المأخوذة عن قدماء الاغريق وهي التراب والهواء والماء والنار ولكنهُ كان يسلم بنظرية ذرية ليس فيها ما يمنع تحوُّل عنصر الى آخر بل انهُ كان يرى التحوُّل من اوضح الحقائق ...

تتصف بها الطبيعة . ومن اقواله في هذا الصدد « ان تحوُّل الاجسام الى ضوء والضوء الى اجسام يتسق واسلوب الطبيعة التي يبدو انها تغتبط بالتحوُّلات » . والفصل الذي بسط فيه المؤلف هذه الناحية من حياة نيوتن يثبت بلا ريب ان ما كان يعرفهُ نيوتن في علمي الكيميا والاحياء كان اولياً ولكنهُ لم يكن فيه متأخراً عن عصره . فنظرتهُ الصائبة في شؤون الطبيعة والفلك والرياضة العالية هبطت في هذين العلمين الى مستوى النظرة السائدة في عصره . واذا كان هذا غير مثير للعجب لان الرجل لا يمكن ان يكون نافذ البصر في جميع العلوم فان العجيب فيه انهُ لم يدرك سذاجة فكان ينفق من وقته على هذه البحوث وما يتصل بها اكثر مما ينفق على العلوم التي أسلمت اليه مقاليدها . واذا كان نيوتن قد اشتهر في العلوم الطبيعية والفلكية بتلك البصيرة الخارقة في النفوذ الى سرّ المشكلة ولمس اهم عناصرها ثم وصفها وصفاً كميًّا Quantitative هو محور العلم الحديث فان هذه البصيرة خانتهُ في بحوث الكيمياء فأنفق وقتهُ وجهدهُ في الجري وراء اوهام . ولعل مرد ذلك الى تلك النظرة الصوفية الدينية فيه وقد كانت من أهم النواحي في تركيبه النفسي والفكري

فالتفسير العلمي لظاهرات الطبيعة لم يكن في نظر نيوتن تفسيراً للعلة الاولى التي تسبب تلك الظاهرات . ومعرفة العلة الاولى لا يتأتى في رأيه الاَّ عن طريق الوحي الرباني . والعلم لا يستطيع ذلك الفهم الاَّ اذا كمل . فالمسوِّغ الوحيد للعلم هو انهُ يقربنا من ذلك . قال : « لا نسير بنا كل خطوة في الفلسفة الطبيعية توًّا الى معرفة العلة الاولى ولكنها تقربنا منها » والعلة الاولى ليست ميكانيكية ولا يمكن افراغها في قالب العبارات الطبيعية . ان العلة الاولى لحركات الاجسام هي مشيئة الله .... ومن هذا القبيل اسنادهِ الجاذبية الى المشيئة العليا . والواقع ان التفسير الطبيعي والتفسير الالهي طلعان متباينان من عوالم الفكر . فالتفسير الاول يتناول — في نظر نيوتن — ما يمكن ان يحسب تقدماً علميًّا . والثاني خاص بما وراء الطبيعة — بالعلل الاولى . وقد كان نيوتن على خلاف ديكارت يرى العالم الواحد متميزاً عن الآخر . الاَّ ان افتراق بعضها عن بعض مطلقاً يدل على ذلك اعتقاده ان العلم متى كمل استطاع ان يكشف العلة الاولى — العلة التي من وراء الطبيعة . ومع انهُ لم يكن يرى أنَّ العلم في عهده بلغ تلك المرتبة كان يعتقد انهُ سائر في الطريق نحو هذا الهدف . ومن اشهر أقواله المأثورة في هذا الصدد « عندما كتبتُ رسالتي عن نظامنا كان همي ان أبسط الهادىء التي قد تؤثر في المعتبر من الناس لبث الايمان بالله . ليس هناك ما هو أبعث على اغتباطي من ان تكون ذات فائدة في تحقيق هذا »

وما فتىء العلم سائراً . . . نحو ذلك الهدف !

وما فتىء العلماء يعنون بالناحية الفلسفية من علمهم عملُ افراد الاثنين يقرّبهم قليلاً من الحقيقة . فهذا ما يمكنهم من اماطة اللثام قليلاً عن محياها !

تولستوي

وأخلاقيته

لنلي أرقش

يسود عالم الاخلاق نوعان من الآداب ، آداب الارستقراطية وآداب الديمقراطية ، فالطموح وترامي الآمال وجموح المطامع والكبرياء والجبروت وشدة الاعتداد بالنفس وميل الى العدوان وبسط النفوذ واستعمال القوة وامثال ذلك من الصفات ترده الى آداب الارستقراطية أما الديمقراطية فمن شمائلها التواضع وخفض الجناح والقناعة والحلم والعدالة والرأفة والحنان وميل الى التضحية وتكران الذات، وليست هناك حدود فاصلة بين هذين النوعين من الآداب، فمن الناس من تغلب عليه آداب الارستقراطية ومنهم من الآداب الديمقراطية ومنهم من تقسمه المكان الاكبر والقسط الاوفر ، ومنهم من يلتقي في نفسه النوعان ويجتمع الضدان ، وفي بعض الازمنة تنتصر آداب الارستقراطية وفي أزمنة أخرى تفوز آداب الديمقراطية ، ومن الشعوب شعوب آدابُ الارستقراطية أشد تأصلاً في نفسها مثل العرب خاصة والاروبة السامية عامة ، ومنها شعوبٌ آداب الديمقراطية أبين في اخلاقها وأعرق في طباعها مثل الشعب الروسي السلافي

***

وقد ظهر في القرن التاسع عشر — ذلك القرن الذي امتاز بين القرون بالمذاهب والمبادىء — مفكران كبيران هما من صدق السريرة وعمق الروح وقوة الايمان مع تباين فكرهما ما يسمو بهما عن مرتبة الفلاسفة الى مستوى الرسل ، الاول منهما بلغ بالنبيان الجديدان وصلتهما الى العالم ولم يتلعثم لسانهما في تبليغها ولم يقصر بهما في نشرها ، فأحدهما — وهو نيتشه — يعد بحق نبي الارستقراطية المطالب بحقوقها ورافع صوتها في العصور الحديثة، والآخر — وهو تولستوي — هو نبي الديمقراطية ومجدد عهد روسو وأقوى المدافعين عن آداب المسيحية عارضة وأجهرهم صوتاً

والاول من نبت المانيا المفكرة الفلسفية ، والثاني درج في روسيا الساذجة المتدينة ، ولم يمنع

الاول وجوده وسط أوربا المسيحية من ان يسدد سهامه الى صميم آداب المسيحية ويرسل عليها صواعق غضبه بلا رحمة وفي غير هوادة ، وكذلك تولستوى لم يمنعه وجوده في روسيا القيصرية من ان يرسل خطاباً الى القيصر نقولا عند تسنمه عرش الروسيا عقب مقتل القيصر اسكندر الثاني يناشده فيه ألاّ يبدأ حكمه بأعدام القتلة وازهاق الارواح ويلتمس العفو عنهم ، وساءه ان أهمل القيصر خطابه ولم يصغ الى رجائه . وقد تغنى بقتله بأنشودة الانسان الاعلى وملأ بها المسامع ونفض عليها من خياله الخصب أبهج الالوان وأزهى الحلل واستنزف معين شاعريته في تجميلها وترويعها ، واستنفد تولستوى براعته الفنية كلها في رواية « الحرب والسلام » تلك الرواية التاريخية العظيمة والمعجزة الفنية التي يضعها بعض كبار النقاد الى جانب الياذة هوميروس والتي تحمل في مطاويها فكرة ان الجماعات هي التي تلعب أكبر دور في تاريخ الانسانية وأعمالها الجسام لا الابطال والعظماء ، وذلك لان الجماعات في رأيه هي التي تمت على يدها مختلف الاحداث في حرب سنة ١٨١٢ لا نابليون ولا غيره من العظماء البارزين في التاريخ

***

وليس من فذلات الصدف وغرائب الاتفاق ان أخرجت روسيا في الديمقراطية ورسول الحب والسلام في العصور الحديثة ، فان الادب الروسي معروف بانسانيته العالية وحفوله بكنوز الحب والعطف ، ولقد نبغ الروس النبوغ كلهُ في الادب الروائي وسبقوا في مضماره سائر الامم ، ولم تخرج روسيا شاعراً عامًّا يعبر عن خصائصها ومميزاتها مثل دانتي عند الايطاليين وشكسبير عند الانجليز وهوميروس عند اليونان وانما أخرجت طائفة من عبقري الروائيين ونوابغ القصصيين ، ولعل أقرب رجال الادب الروسي جميعاً الى تمثيل النفسية الروسية بمختلف ظلالها ومتنوع ألوانها هو كاتبها الكبير تولستوى ، فان انكبابهُ على المسائل الدينية وشدة تعلقه بالديمقراطية يمثلان فيه أعمق غرائز النفسية الروسية وألزم خصائصها ، فالروسي شديد التدين ولكنهُ بعيد عما يشوب العقائد والنحل من اسباب التعقيد وغريب التخريج وما ينشأ حولها من خفايا الصوفية وغرائب الاسرار ، وهو أميل الى البساطة في تدينه ، وهو بطبيعته نزاع الى الرحمة والعطف ، ولهذا الشيطان في القصص الروسية موضع رحمة لانهُ وان كان عدو الانسان اللدود الذي لا ينفك يعمل على استغوائه وايقاعه في الشرك ولكنهُ لسوء حظه لا يتقن غير هذه المهنة ولا يعرف سواها وهي من أقدم العصور صناعته التي يجيدها ، فهم لاجل ذلك لا يحقدون عليه بل هو في عرفهم شيطان صالح لا بأس به ، والعادات الاشتراكية عميقة الجذور وشيجة الاصول في نفوسهم

وقد قال احد المفكرين « ليست البقرية سوى التخلص الاتم من تأثيرات الزمن والآداب والوطن » وأرى في هذا الرأي شيئاً من المغالاة ، والاصح في اعتقادي ان في كل عبقري ناحيتين ، ناحية انسانية عالمية وناحية أخرى قومية محلية ، وتولستوي مثال لذلك ، ففيه الجانب الانساني العالمي العالي وهو من ناحية أخرى أنموذج تام للنفسية الروسية تلتقي فيه غرائزها الاصيلة وبواعثها المستخفية العميقة

***

وقد كانت المسائل الدينية ومشكلة الحياة والمبدأ والمصير تساور تولستوي من أوليات حياته الفكرية ، ولكن في بادىء الامر تغلب الفنان في نفسه على النبي والمصلح الديني ، وظل الفن له الاثر الاقوى في حياته حتى انتهائه من رواية « حنة كارنينا » تتبدل الحال واشتدت الازمة وغام الجو وتراجع الفنان الى المؤخرة ليفسح المجال للنبي القادم ، قال في اعترافاته يصف ذلك « لما أتممت كتابي « حنة كارنينا » بنع بي اليأس اقصى حدوده ، وصرت أدمن التفكير وأطيل النظر في الحالة الزهيبة المجتواة التي آلمت بنفسي ، وكانت الاسئلة تتقال عليّ وتتكاثر حولي وتطالبني بالاجابة عليها ، ومثلما تتجه الخطوط كلها الى ناحية واحدة كذلك كانت الاسئلة غير المجاوب عليها تتراحم وتتدافع متجهة جميعها الى نقطة سوداء ، وبقيت مستمراً في تلك الحالة وقد استولى عليّ الخوف واستقل مشاعري الاحساس بالضعف ، وكنت اناهز الخمسين من عمري لما ساقني هذه الاسئلة الى هذا الموقف الضنك غير المنتظر ، وانتهيت الى هذه النتيجة وهي اني — وأنا رجل سعيد موفور الصحة — لا املك البقاء ولا اقوى على العيش ، وقد كنت من الناحية البدنية استطيع ان اشتغل في حصاد الدريس كما يستطيع اي مزارع ، وكنت من الوجهة العقلية أستطيع ممارسة الاعمال الفكرية اكثر اليوم مما كنت ، دون أن يعتريني كلال أو مرض ، ولكني برغم ذلك كله انتهيت الى هذه النتيجة وهي اني لا أطيق البقاء ولم أر أمامي الا شيئاً واحداً وهو الموت ، وكنت أرى كل شيء آخر ما خلاه باطلا وعالاً زائلاً »

وأمثال هذه المواقف التي تربد فيها آفاق الفكر وتحلوك ليل النفس وتبدو عليها الحياة وتفزع الى فكرة الموت معروفة في حياة المفكرين من العظماء وأعالي البشرية ، وكأنها جسر قائم بين حياتين ، حياة سابقة وحياة لاحقة ، وسرعان ما عبر تولستوي هذا الجسر ونجا من أخطاره وأهواله ، قال في اعترافاته وقد ظهر له ان المسائل التي أثارت هواجسه وهيجت بلابله قد أجابت عليها الانسانية من آلاف السنين اجابة شافية مقنعة « منذ بدأ الناس يعيشون عرفوا

معنى الحياة وعاشوا الحياة حتى انتهت اليّ ، وكل ما في نفسي وكل ما حولي من منظور وغير منظور ثمرة تجاربهم ، وحتى الوسائل التي أحكم بها على الاشياء ورثتها عنهم ، وقد ولدت وربيت وترعرعت بفضلهم ، وقد حفروا ونقبوا على الحديد وراضوا الجمال والخيل ، وعلموا كيف تفلح الارض وكيف تعيش جماعة وتنظم الحياة ، وعلموني كيف أفكر وأعلل ، وجئت أخيراً وأنا ثمرة غرسهم ولم أحصل على قوتي إلاّ بأفكارهم أحاول أن أستعين بما أخذته عنهم من المنطق والدراية لأقيم لهم الدليل على سخافتهم وخطلهم ، من الواضح انني أسخف ما أحسن فهمه »

وأخذ يفكر بعد ذلك في معنى الله الذي قضى حياته باحثاً عنهُ ، ففي صباح يوم من أيام الربيع انطلق الى الغابة ليتملّى من جمال الطبيعة وبسم الاطيار الصادحة على زواهر الاغصان ويفكر في المسائل التي شغلت خواطره واستأثرت بنفسه في السنوات الثلاث الاخيرة وخاصة مسألة الله ، فأشرقت عليه فكرة ان مسألة الله ليست مسألة ليحكم فيها العقل ، وأحس بأن الله هو الحياة وأن نحيا هو ان نعرف الله

***

ومن ذلك الوقت لم يتطرق الى نفسه الشك بالله ، وذهب بعد ذلك الى الكنيسة ولكنهُ لم يطمئن لتعاليمها ولم تعجبهُ مسيحيتها ، فأدار شراع خواطره الى الرياح وطافت سفينته بحار جديدة ومرت بجزائر عجيبة ورأى من أعاجيب المذاهب الفلسفية وغرائب النحل والعقائد ما هو أهل على الدهشة وأغرى بإثارة الظنون من البحار السبعة التي اجتازها « بلوتيا » على أقدامه وأبحر الى الجزائر المفزعة التي خاض غمارها « جالشاد » في قصة الف ليلة ، وبعد أن طوف ما طوف رست سفينته في مرفأ المسيحية الخالصة المتناة من شوائب الكنيسة والخالية من الحشو والزوائد مسيحية تولستوي التي فصّل الكلام عنها في كتبه الاخيرة ، ولكن أتظن الرجل بعد ان عاد من هذه الرحلة الشاقة الطويلة هدأت نفسه وقرت ثورته واستمرأ الراحة والصفو ؟ كلاّ وانى بعمر كبير من طراز تولستوي أن يستريح في هذه الحياة التي كتب عليها فيها الجهاد والتعب فبعد ان اجتنى مرة ثمرة الفكر انتهى عليه فكرة ان هناك مجاهل لم تعرف ومشكلات عدة لم تحل عقدتها ، فكيف الراحة والطمأنينة ونحن نسعى في مناكب المجهول والكمال البعيد أمامنا ؟ والراحة في هذه الحياة سراب لماع يخص الانسانية بريقها وخبر كاذب يخدعها بضوئه ويقذف بها في أتاليم أشد ظلاماً . وليست الراحة غرض الحياة وانما غايتها اشداد الكمال الادبي والفكري

وقد نستريح اذا بلغنا الكمال ، ولكن أين منا الكمال ونحن أفراد زائلون تتلقاها سرمدي !

كذلك تولستوي من بعد عودته من سياحته الفكرية أخذ يتدلع في نفسه لهيب ثورة داخلية لم تنطفئ نيرانها وتهدأ ثائرتها الا بموته ، وبواعث هذه الثورة العنيفة و مأساة المذبحة للقلوب هي عجزه عن تنفيذ ما كان يبشر به ونشله في ان يعيش في ظلال تعاليمه ويقينه الجديد ، وكان شعوره بهذا التناقض بين أفكاره وأسلوب حياته هو الطير الجارح الذي لا ينفك ينقر وجه هذا « البرومثيوس » المقيد بالاغلال والسلاسل ، ولم يستتر مرة عنهُ الشعور بهذا التناقض الرهيب بل كان على الدوام ماثلاً لناظره كما يقع القاتل خيالُ القتيل ، ولم يذهب وقره عن ضميره الفاحص ثلثهم وعينه الداخلية الواعية ، وكان يقض مضجعه في هدأة الليل ويخيم على نفسه في أطراف النهار ، وغير تولستوي قد يقنع بالتبشير بما يعتقده حقٌّ دون ان تتجاوب حياته مع تعاليمه ، وقد يكون من الصعب ان تتصور آلام هذا الضمير الحي وكمد هذه النفس اليقظة ؛ وقد كان تولستوي يعيش عيشة زهادة وخشونة لا من دافع طبيعي — فقد كان بفطرته ايقوري الغرائز شهواني المزاج — ولكن بمجهود غير قليل من ارادته الصارمة ، وكان يخفض جناح الرحمة لمن حوله ويسقيهم من اخلاقه الشريفة العذب النمير ، ولكن ضميره لم يقنع بهذا ولم يرتض الوقوف عند هذا الحد لانهُ كان يطالبهُ ويلح عليه في ان يعيش عيشة طاهرة الى اقصى حدودها وأبعد نهاياتها ، وكان يسرف الى اي حد قد تشل في تحقيق مثله الاعلى ، وظالما لفحته هذه المعرفة بشواظ من النار وجرته على مثل شوك القتاد ، وكانت فكرة ثروته الضخمة المتراكمة في المصارف وضياعه الواسعة التي تغل عليه الاموال الطائلة وهو الذي يحمد الفقر ويدعو الى المساواة ويرفع تسطاس العدالة تتبعهُ في كل مكان وتطارده في كل لحظة وتذكره بنصيحة السيد المسيح لاحد تلامذته بأنهُ اذا أراد ان يتبعه وينتظم في سلك تلامذته فعليه ولا أن يبدأ بتوزيع امواله بين الفقراء ، اما تولستوي المكروب الحزين فكان يمشي وراء المسيح مثقلاً بحمول الثروة وبأس غيره دون ان يبدأ بنفسه ويقف امام الانسانية والتاريخ هذا الموقف المتناقض الغريب وما اشد وقع ذلك على نفس تولستوي النبيلة الحساسة !

وقد نتساءل هنا هل كان تولستوي حقيقة حريصاً على الدنيا [illegible] يبشر بما يراه حقًّا مع الاحتفاظ بثروته ، ويقول مع صاحبه الفيلسوف شوبنهاور « ان الذي يرسم الصورة الجميلة لا يشترط أن يكون هو أيضاً جميلاً » ويملك ملك المتنبي الشاعر في اتساع الجود والكرم مع شدة الحرص والبخل ؟ والجواب عن هذا التساؤل ان الرجل لم يكن شيئاً من ذلك ؛ وكان مخلصاً في دعوته اخلاصاً لا تشوبه شائبة ؛ ولم يمنعهُ من أن يبدأ بنفسه في اتباع تعاليمه سوى زوجته

وباقي أفراد أسرته ، وكانت أسرته قانعة بأن ترى اسمهُ قد طبق الارض وان تشاهد الوفود تفيض اليه من أقاصي البلاد ولا تود أن تفقد ثروتها وضياعها لأجل ألاّ يقع التناقض بين مذهبه وحياته ، ولم يستطع تولستوي ان يكسر أغلالهُ العائلية وعاش أسيراً لسلطتها ، وكانت أشد أفراد الاسرة قسوة عليه ومقاومة لتنفيذ تعاليمه زوجته ، ولست أحب أن ألوم تولستوي وأعنفهُ لهذا الضعف والتخاذل فكفاه ما لاقامن وخز الضمير والالم المبرح ، وقد حاول في آخر سني حياته أن يهرب من أسره ولكنه لم ينفذ الفكرة . وكتب الى صديق له ما ينم على السبب الحقيقي لذلك قال : « لقد تركت فكرة الفرار لانه خطر بفكري ان صوفيا اندريفنا (زوجته) لا بد ان تكرهني بعد ذلك ويصير كل شيء امراً مما كان » وهنا نقف امام عاطفة سامية من العواطف الانسانية التي يسمو الانسان في وصفها وينضم من جلالها ، على انه فر من منزله بعد ذلك الحادثة فضرب على ذكرها وأراد ان يلاقي الموت منفرداً مع خالقه ، ولكن لم تتحقق امنيته اذ لحقته اسرته حيث كان يسلم الروح في غرفة حقيرة باحدى محطات السكة الحديد ويستعد ليتبوأ مكانه في ملكوت الخالدين

***

وسأعرض على القارئ طائفة صغيرة من أحاديثه وهي على قلتها صحيحة الاسناد وقد تكون لخواتيم الجادثات أدل على الرجال وأهدى الى نفوسهم من مخبوءات الاسفار

كان تولستوي يحب من المؤلفين الروس الشاعر بوشكن والروائي جوجل وديستوفسكي . قال عن الاخير : « عندما نختبره عن قرب نرى انهُ يكتب بأسلوب رديء وتتقصهُ القدرة على التعبير ، ولكن لا أظن بأنه قال أكثر مما يقوله لنا » . وقال عن ترجنيف الروائي الروسي الشهير : « انه يتمتع بشخصية رائعة ولكني لا أحبهُ في مكانه عالية بين الكتاب » . وكان قليل الاكتراث بآراء الكاتبين الذين لهُ حظوة لدى القارئ الفرنسي ، وفي وقت ذيوع شهرة موليير كان تولستوي يعتبرهُ مهرجاً ثقيلاً . وقد أثار هذا الاستخفاف من قيمته وذلك برغم اعجاب موليير الشديد بشكسبير . وقال لهُ مرة أحد أصدقائه « لقد استمتعت بمولير وتولستوي » فضحك تولستوي مستهزئاً وقال لهُ « اذا كانت كتابة فكاهة لم يقلدها ويضرب على غرارها ؟ » وسأله مرة أحد الناس عما اذا كان يريد موفقاً له (من روايات مولير) فأجابهُ « ولم أقرؤها ؟ هل اقترفت اثماً ؟ »

وكان يعد الانجليز والانجليز أشد المقت ويثير غضبه إذا ذكر ذلك بحضرته قال مرة « لا شيء في الدنيا يثير الأعصاب الا اذا ترك بضعة من حلمه في الدواة كلما غمس فيها القلم »

وقال عن المرأة « النساء على العموم شريرات الى حد ان الفرق ضئيل بين المرأة الصالحة والمرأة السيئة »

وجذب مرة صديقه جوزف تورايز من ذراعه وهو يودعه — وهو الذي أروي عنه هذه الأحاديث — وقال له هذه النصيحة الغالية « إني أريد ان أقول لك انه مهما عظمت مواهبك الموسيقية وهي كان الوقت والمجهود الذي ضحيت به لهذا الفن فتذكر ان أهم شيء هو ان تكون رجلا ، ومن اللازم ان تعمل دائماً لصب عينك ان الفن ليس كل شيء ، وفي علاقتك بالغير أبذل جهدك في ان تقدم لهم اكثر مما في طوقك وان تأخذ منهم اقل ما يمكن اخذه ، وأرجوك معذرة لهذا القول »

وقال له مرة ان « الانا » شيء زماني يضد جوهرنا الخالد وأرى ان الاعتقاد بخلود النفس يدل على نقص في الفهم »

وفي بعض الاوقات كانت تغلب عليه السوداء فييأس من الدنيا وصلاحها ، وقال مرة وقد اعترته احدى هذه الحالات « ان خطأ التاريخ الرئيسي هو اعتقادهم اننا نستطيع ان نسيطر على الحياة الانسانية ونخضعها للنظام »

وقال مرة اخرى « تمر بي اوقات يحس فيها اليأس من كل ما يحدث في الدنيا وأعجب كيف استطاع الناس ان يحتملوا الحياة مع توالي تلك الكبائر والفظائع ، وطالما هزني وحيرني تفوق الانسان بأضأل التهم حتى لو اعتبرناه مجرد حيوان نافع ، والحصان الذي يجر العربة يساوي قيمة معينة في نظرنا ونحن ندفعها عن طيبة خاطر ، ولكن الانسان يستطيع مثلاً ان يصنع احذية وأن يعمل في احد المصانع ويعزف على البيان ، ولكن مع ذلك كله فان خسين في المائة من البشر يقضون نحبهم دون ان يكون هناك ما يستدعي ذلك ، واتذكر اني عندما كنت ربما ... عن كثب مضرب رأسهم الخدم بالتتصير اذا بلغت نسبة الوفيات خمسة في المائة ، ولكن خمسين في المائة من البشر يزهق ارواحهم بدون مبرر ولا ضرورة »

***

وتحدث عن رأيه « ان كل تقدم يقابل قانون التقدم ، وهي تقاوم الرجل وتعارضه معارضة شديدة لكي تحاول أن يتخلى من بين أطلال حياته السابقة وأنقاضها المحطمة الى حياة جديدة أرحب وأسمى ، وفي المرأة ثانية غريزة ترتكب أكبر الفظائع باسم الحب »

وقال مرة لاحد اصدقائه « ان أسعد أيام حياتي هو اليوم الذي أعلم فيه أني فقدت كل وكل ما أملك بدين »

ولم يكن مسيح تولستوي هو آلهة الشدة والعنف وانما كان آلهة الحب والعطف ، مسيح عظة الجبل ، وأحد حدث مرة أن شقيقته ماريا نيكولايفنا عارضت فكرة ان رحمة الله تتسع للخير والشر ، وبعد ان أصغى اليها تولستوي طويلاً في صبر وأناة قال لها في لطف ورقة « التفتي الآن في دورك ، أن الفرق بين حياة أكثر الناس تقوى وصلاحاً وحياة أشدهم شراً وخطيئة فرق طفيف جداً بالنسبة لكمال الله ، وكيف أسلم بان الله وهو ليس سوى الحب يمكن أن يكون منتقماً جباراً ويُنزل بالناس صارم العقاب وشديد العذاب »

فاجابتهُ « ولكن افرض ان بعض الناس عاش طوال حياته في الخطيئة ومات بدون ندم »

فقال له تولستوي « اي الرجال يريد ان يكون شريراً لا امل في صلاحه ؟ ان الرجل الذي نحكم عليه بانهُ شرير شقي منكود الحظ ويثير فينا ان نحبه ونرثي لآلامه ، وليس هناك احد يود ان يكون شريراً ، فالشرير انما يرثى له لانهُ لا يبصر الحق »

وكان « اله الحب » هذا يسير قلب تولستوي بشعور قوي نحو الطبيعة ويوحي لهُ بكلمات من أسطع حكمه وأبهر آياته ، قال في بعض أقواله المبثوث فيها شيء من هذا الشعور « كل ما في الوجود نابض بالحياة وما نراه ميتاً يظهر لنا كذلك لانهُ إما ان يكون جد كبير على الفهم أو جد صغير عليه ، ونحن لا نرى الميكروبات والجراثيم فنحسبها غير حية وكذلك الكواكب تتراءى لنا مسلوبة الحياة لنفس السبب الذي نبدو فيه نحن للنمال غير احياء ، ولا نزاع في ان الارض خافقة بالحياة وان الحجر الملقى على الثرى هو بمثابة الظفر من الاصبع ، والماديون يجعلون المادة أساس الحياة ، وكل النظريات عن أصل الانواع والذرات ومادة الحياة لها قيمتها الى الحد الذي تمكننا به من فهم القوانين المسيطرة على الطبيعة وتكشف لنا عن كنهها ولكن علينا ألاَّ ننسى أنها مجرد فروض وليست أكثر من ذلك . والفلكيون يفرضون لاجل ان يتم حسابهم ويتسق تفكيرهم ان الارض ثابتة ، وكذلك الماديون يبدأون من مقدمة غير صحيحة ولكنهم لا يعترفون بذلك ولا يعودون محاولة حل مشكلاتهم على أساس صادق صحيح ، ومذهبهم في الحقيقة أشد المذاهب اسفافاً في الغرابة ، ذلك لانهُ يفرض مادة عجيبة الشأن تخلق كل شيء من ذاتها وهي أساس كل شيء وترجع كل شيء اليها ، فليس يسير لنا ان نتصور كذلك الوثوث نفسه »

***

وكان في نية تولستوي أن يتبسط في شرح هذه الفكرة ويفصل منها ما أجمله في حديثه بكتاب خاص فأعجله عن ذلك الموت الذي يلهو بالمخلوقات ، ويعصف بالاحياء ، فذهب وفي نفسه منها شيء

مبدأ النسبية

الكلاسيكية

لاسماعيل احمد ادلبي

— ١ —

تقوم مبدأ النسبية الكلاسيكية على مفهوم أولي في ان الحوادث تقع في عالم الطبيعة وكأنها تحدث في الخلاء بدون ان تتأثر بحركة الاجسام التي تصدر عنها ، وهذه الفكرة قائمة على أساس أولي في ان النظم المادية سيان كانت ثابتة بالنسبة لمحاورها الوضعية أم كانت متحركة حركة منتظمة مستقيمة فالقوانين التي تنبعها واحدة لانها ترجع لمعادلات التحويل الغاليلية التي تقرر وحدة الاشكال والقوانين في مختلف النظم

ومن المهم ان نلاحظ ان قوانين التحويل قائمة على أساس تستمده من تحويل شكل من الاشكال الى صورة أخرى وفقاً لمبدأ معين ، وهذه التحويلات ترد لوجهين في الهندسة :

الاول : بالنسبة لسطح او منحن ومن هذا الوجه مبادىء الرسم المرقاتوري ، وكذلك ترد اليها الصور التي تصورها الجغرافيون من وجهة نظر العين لسقوط شعاع الناظرين على سطح الكرة الارضية مثل سطح منتور . وهذه الصور ليست الا النسب والعلاقات بين الصور المرتسمة وسطح الناظر الكروي

الثاني : بالنسبة للتباديات الرياضة على اعتبار ان الاشكال مركبة من المتباديات [illegible] اللامتناهية ، وأكثر المبادىء التي يرجع اليها في هذا الشأن ، تلك التي تعتبر المكان مكوناً من عناصر بسيطة تشكل النقطة منها النقطة ، وهي اصول التحويل على هذا الاساس . وهذا يكون تحويل شكل من الاشكال معناه تحويل النقط التي تكون هذا الشكل الى صورة أخرى وفقاً لقانون معين . فاذا فرضنا ان شكلاً ما أريد استخلاص صورة جديدة منه عن طريق التحويل ، فذلك يكون عن طريق تحويل النقط المكونة لذلك الشكل وفقاً للقانون الذي يراد تحويله تبعاً له . وهذه القواعد تعرف في الاصطلاح الرياضي بقاعدة « تحويل الشكل من صورة الى اخرى عن طريق نقل النقط المكونة للصورة الاولى وفقاً لقانون معين »

ولنا ان نستفيد من المبادىء التي بنى عليها ديكارت (١٥٩٦ — ١٦٥٠ م) عن نظام المتعامدات في كتابه « الهندسة » عام ١٦٣٧م والتي توسع بها الفيلسوف الرياضي ليبنتز (١٦٤٦ — ١٧١٦م) في كتابه Acta Eruditorum Lipsiae ص ١٧٠ عام ١٦٩٢م والتي قامت من عليها الهندسة التحليلية في تحديد موضع نقطة على سطح ما محصور بين مستقيمين مثل (ع — عَ) و (س — سَ) قد تقاطعا في النقطة (م)، فاذا فرض ان النقطة (ن) واقعة في المستوى المحصور بين الخطين (ع — عَ) و (س — سَ) ورسمنا خطين متوازيين الاول يصل (ن) بالنقطة (نَ) المفروضة على المستقيم (ع — عَ) موازية للمستقيم (س — سَ)، والثانية تصل (ن) بالنقطة (نَ) المفروضة على المستقيم (س — سَ) موازية المستقيم (ع — عَ) فيمكن بذلك تحديد موضع النقطة (ن) بتحديد هذه الابعاد والخطين المتوازيين (ن — نَ) و (نَ — نَ) بمرفقاتهما بالكميات الرمزية coordinate للنقطة (ن). واستناداً الى هذه القواعد يمكن بكل سهولة استخلاص الاصول التي يرجع اليها في تحديد موضع نقطة في الفضاء إذ يكفي تصور خط ثالث من (ص — صَ) المار بالنقطة (م) ليكون معنا ثلاثة متعامدات على المحور (م)؛ وتكون كل واحدة من هذه المتعامدات ترتيباً لهذه الكميات الرمزية. واستناداً الى مبدأ التقابل تكون المحاور الثلاثة متحدة في النقطة (م)، وهذا النظام الاتجاهي يكون معنا المحاور القائمة الزوايا الديكارتية او بتعبير آخر نظام المتعامدات الديكارتي

هذا المبدأ مستعمل في اميركا في الحياة العملية؛ فلو أردت أن تعرف عنوان شخص لوجدته مثلاً (مدام إيمي خيرت ٢٠ : ٢٥ : ٨) أعني مدام إيمي خيرت بالشارع ٢٠ بالمنزل ٢٥ بالدور ٨ وبهذا التفسير يتحدد عنوان الشخص تماماً كما هو الحال في تحديد نقطة بنظام المتعامدات الديكارتية. ويكون تحديد العنوان كتحديد النقطة واجباً لثلاثة خطوط ليست على مستقيمات محددة من موضع النقطة بل منتظمة بمضامع بعض في شكل مطرد ordre لتعيين موضع النقطة في الفضاء. ولهذا كان تعامدها بعضها على بعض محدداً لنقطة واقعة بين انفراج زواياها

واستناداً الى هذه القواعد في الهندسة التحليلية يكون الفضاء من حيث يتألف من نقط، خاضعاً لنظام ثلاثي، تمتد فيه ثلاثة محاور من كل نقطة فيه. وهذه محاورها بعينها هي أصول المجسمات المستمدة من نظام المتعامدات المنظورة. ويكون بذلك تحويل شكل من الاشكال راجعاً للاصول التي تتبعها النقط المكونة لهذا الشكل في تحولها، أعني بذلك للقوانين التي توفق تبعاً لها نقطها أثناء التحويل. ولما كان أي شكل تبعاً لمحاور نقطه المكونة له وكان محاور كل نقطة ثلاثة خطوط متعامدة كانت قواعد التحويل متصلة بمحاور النقطة أعني كمياتها الرمزية. فلو فرضنا شكلاً كميات نقطه الرمزية (س)، (ع)، (ص) كان لنا بناء على قواعد التحويل

$$س = ا (س ، ع ، ص)$$
$$ع' = ب (س ، ع ، ص)$$
$$ص' = ج (س ، ع ، ص)$$

وهنا كل من (ا) و(ب) و(ج) التوابع التي يخضع لها الكميات (س ، ع ، ص) و (س' ، ع' ، ص') التي تعرف عادةً بالكميات الوضية او المحاور الوضية اعني التي تحدد من وضع نقطة في الفضاء . وهذه التوابع (ا) و(ب) و (ج) عبارة عن القوانين التي تلزمها الكميات الوضية

فنحن لو تصورنا نظامين الاول النظام (نه) والثاني النظام (نه') وعزمنا على ان نستخلص النسب والعلاقات بين هذين النظامين وان نكيف كل نقطة في النظام (نه) وفقاً لما يماثلها في النظام (نه') . وفرضنا ان نقطة (ص) في النظام (نه) كمياتها الوضية اعني التي تحدد من وضعها في ذلك النظام هي (س و ع ، و ص) كان تحويلها وفقاً لوضع النقطة (ص') في النظام (نه') والتي يحدد من وضعها في ذلك النظام الكميات الوضية (س' ، ع' ص') يرجع لتناظر وتوازن هذه الكميات والنسب والعلاقات هي التوابع بين هذين النظامين وخط التوابع يعينه سرعة الانتقال ، أعني المدة التي تستغرق الانتقال من وضع النقطة (ص) التي تحددها الكميات الوضية (س ، ع ، ص) في النظام (نه) الى وضع النقطة (ص') التي تحددها الكميات الوضية (س' ، ع' ، ص') في النظام (نه') . فلو رمزنا بالرمز (ت) للزمان وبالرمز (ر) للسرعة كان لدينا :

$$ص = ص' \qquad X = X'$$
$$ع = ع' \qquad Y = Y'$$
$$س = س' - رت \qquad ن = Z'$$

هذا اذا كان خط التحول موازياً لاتجاه المحور (س) . وهذه المعادلات تعرف بمعادلات التحويل الغاليلية . وهي تؤدي بالفكر الى ان الحوادث تحدث في الاكوان متشابهة وكأنها بالنسبة للظلام . سيان في ذلك أكانت ساكنة بالنسبة لمحاورها الوضية أم كانت متحركة حركة مستقيمة ، وسيان كان الخلاء خلواً من كل مادة او حيزاً مشغولاً بمادة لطيفة كالأثير

هذه هي قرارة النظر الميكانيكي الكلاسيكي في اطلاق حدوث حوادث الطبيعة . ومن هذه النظرة تشتد قانون الحركة النسبية كل قوتها وهي التي تقرر ان النظم المادية سيان كانت ثابتة بالنسبة لمحاورها الوضية أم متحركة حركة منتظمة مستقيمة فان القوانين التي تسيطر على النظم واحدة ذلك لان مقدار تعجيل هذه النظم يتبع القيمة المطلقة لحركة هذه النظم نظراً لان القيمة النسبية بين هذه السرع المحددة للحركة تتبع اتم المفاضلة بين المحاور الوضية

صفات الادب

الفارسي الحديث

للدكتور عبد الوهاب عزام

[لا يصدر هذا العدد من المقتطف وتتداوله ايدي قرائه حتى يكون مشتركوه قد تلقوا هديتيه السنويتين واعظمها كتاب « في نواح مجيدة من الثقافة الاسلامية » : ومن فصول هذا الكتاب بحث نفيس وسمه الدكتور عبد الوهاب عزام استاذ الادب الفارسي بكلية الاداب بجامعة فؤاد الاول موضوعه « الصلات بين العرب والفرس وآدابها في الجاهلية والاسلام » وقد اخترنا الصفحات التالية من ختام هذا البحث الممتع : المحرر]

*

(صفات الادب الفارسي الحديث) — بعد هذا يحق لنا ان نسأل ما صفات هذا الادب الفارسي الاسلامي شعره ونثره ؟ وما علاقته بالادب العربي؟

نشأ الادب الفارسي الحديث في رعاية الأدب العربي وتحت سلطانه وطبع على غراره في أكثر الاساليب والموضوعات :

أخذ الأدب الفارسي عن العربي معظم موضوعات الشعر والنثر وكل صور الشعر والنثر وأساليبها من الوزن والقافية والسجع وانواع البديع الخ . ثم امتاز الادب الفارسي بخصائصه في الاسهاب والقصص وغيرها . وقد اتصل الادبان اتصالاً وثيقاً . وترجم من الفارسية الى العربية شذرات ادبية كما ترجمت الكتب الفهلوية من قبل . نجد في ديوان المعاني لعسكري امثالاً معربة وجملاً من بلاغات العجم » . وفي اليتيمة امثال معربة كذلك . وفي كتب الادب اخبار عن المنشئين بالفتين والمترجمين شعراً فارسياً الى العربية كما يجيء الكلام عن ابن المقفع .

وأما الترجمة من العربية الى الفارسية فكانت أوسع وأنفع . وقد ذكرنا بعض المترجمين وما ترجموا من الكتب آنفاً

وكان كثير من المؤلفين والكتّاب والادباء والعلماء يكتبون بالفتين ومعنى هذا ان تكون الفتان اداتين للابانة عن افكار وأخيلة وصور متفقة . وفي هذا من التقريب بين الفتين ما فيه

وكانت اللغة العربية لغة العلم والادب في ايران منذ الفتح الاسلامي فلما ترعرعت الفارسية

وصارت لغة علم وادب استعان المنشئون في الادب الفارسي بالالفاظ والعبارات الاعجمية المأنوسة في العربية التي تعوّد الناس التعبير بها زمناً طويلاً

ونفصل هذا القول تفصيلاً قليلاً فيما يلي :

فأما الشعر فيشارك الشعر العربي في موضوعاته من هجاء ومدح وغزل وفخر ووصف — في ميل الى المبالغة والاطناب — ويمتاز بأشياء .

(١) ذكر ملوك الفرس القدماء وابطالهم مثل فريدون ، ورستم ، وزال ، وجمشيد ، وقد يرى هذا الى الشعر العربي الذي نظم في بلاد الفرس كشعر بديع الزمان وامثاله

(٢) ويمتاز الشعر الفارسي بميزتين عظيمتين : الشعر القصصي والشعر الصوفي

فأما الشعر القصصي فقد أولع الفرس به في كل عصر . وقد رأينا أن آذن بن عبدالحميد نظم كتاب كليلة ودمنة بالعربية ، وأن الرودكي اول شعراء الفرس الكبار نظم هذا ايضاً . ومن الادلة على ولع الفرس بالقصص قصة يوسف وزليخا . فهذه القصة مأخوذة من القرآن ، ولكن شعراء العربية لم يتناولوها . وأما الفرس فقد نظموها مراراً . نظمها من كبارهم الفردوسي وجامي . ونظمها آخرون — ورواية وامق وعذراء التي قيل انها قدمت لعبد الله بن طاهر فأمر بطرحها في الماء نظمها العنصري شاعر محمود الغزنوي ، ثم القصيحي في رواية كيكاوس الزياري ، ونظمها اربعة شعراء آخرون . وقصة ليلى والمجنون نظمها كذلك غير واحد من شعرائهم

وحسبنا شاهنامة الفردوسي التي حاكاها شعراء كثيرون فنظمت شاهنامات أخرى لم تنل ما نالته من القبول والصيت . ومن القصص المنظومة رواية خسرو وكل ، وبهرام ولعله لفريد الدين العطار وسلامان وأبسال لمولانا جامي ، وغيرها مما لا يتسع المقال لتعديده

وأما الشعر الصوفي فقد بدأه ابو سعيد بن ابي الخير من بلدة ميهنة في خراسان ، وأبو عبد الله الانصاري من هراة . فنظم فيه قطعاً ورباعيات ، ولكنه لم يكثر فيه التأليف الا بعد نصف قرن اذ نبغ طليعة فرسانه سنائي الغزنوي ثم فريد الدين العطار ثم فحول الصوفية على الاطلاق جلال الدين الرومي صاحب المثنوي الذي يسمى القرآن في اللغة الفارسية . ويقال لكل بيت من ابياته [illegible] وتوجد كتابات ومن بعد غارات التتار نبغ بسنان نظم [illegible] الرحمن الجامي الذي يعد آخر شعراء الفرس العظام

والحق ان اللغة الفارسية تفوق سائر لغات العالم بعدا تتميز من الشعر الصوفي الاسباني الفلسفي الذي يرتفع عن جدال المذاهب وعصبيات الآراء ويتغلغل الى بواطن الاشياء فيصف النفس الانسانية في اسمى منازعها ، ويرى الحقائق الالهية في اجلى مظاهرها

وأما الفاظ الشعر ففيها كثير من الالفاظ العربية ولكنها طابع عربي في تركيبها . ولكن اثر

العربية في الشعر أقل منه في النثر . وأما قوافيه وأوزانه فلا يمكن تفصيلها في هذا المقال . وحسبنا ان نقول أن الفرس يكثرون من الشعر المزدوج الذي يسمى المثنوي وهو شعر التقصص كما . وأكثروا كذلك من الدوبيت او الرباعي . وعندهم ما يسمونه ترکيب بند او ترجيع بند وهو قريب من الموشحات العربية — وعندهم الشعر المردف وهو الذي تكرر في آخر ابياته كلمة واحدة ويعتبر الروي والقافية ما قبل هذه الكلمة . وجملة القول انهم لم يسهلوا القوافي العربية وان اخترعوا ضروباً فيها

وأما الوزن فجدير بالتدقيق جداً . فان الفرس حاكوا العرب في اوزانهم وان الامر ليستهم سرطان ما تبذوا اشهر الاوزان العربية . فالطويل والمديد والبسيط والوافر والكامل وهي أشهر الاوزان في الشعر العربي . لم ينظم فيها الفرس الا جاءا من المتقدمين او دون اظهار براعتهم كما يتول شمس قيس . ونظموا في الرمل والرجز والخفيف والمضارع والمجتث والمتقارب (وهو وزن المتطامسة) وأولعوا بالهزج ولعاً شديداً حتى حملوه اصلاً فرعوا منه الرباعي وخرجوا به عن اصله العربي

ويلاحظ انهم لم يقفوا بالبحور عند المقادير العربية . فالرمل قد يأتي ثمناً والرجز كذلك وما جاءا كذلك في شعر العرب قط والهزج — مثلاً — الذي هو سداسي الاصل عند العرب ومجزوء وجوباً ينظم منه الفرس ثمناً . ثم تصرف الفرس في الزحاف والعلل تصرفاً كثيراً جداً واشتقوا من الدوائر العربية بحوراً أخرى قريبة من البحور الاصلية مثل القريب والمشاكل والقريب

وقد اراد بعض المستشرقين ان يعلل الخلاف بين الاوزان العربية والفارسية بالفرق بين طبائع الامتين من اختلاف . ويقول شمس قيس ان سبب ثقل الطويل والمديد والبسيط ان أجزاءها غير متناسبة في حركاتها وسكناتها ويحيل في بيان ذلك . ولا يمكن القول في هذه المسألة الا بعد بحث مفصل في أوزان الشعر العربي وعلاقة الاوزان العربية بالاوزان الفارسية وبين الاوزان العربية في الشعر الفارسي وبين ما بين هذه البحور وبقية البحور من صلة

وينبغي ان يذكر هنا ان وزن الرباعي نقل الى العربية وانشئ العروضيون له اوزاناً بالهزج ثمانية ليس لها اوزان فارسية تطابقها العربية

وأما النثر الفارسي فأثر العربية فيه أبين . الالفاظ العربية فيه كثيرة والتراكيب العربية كثيرة . ويمكن الاشارة الى الفرق بين النثر الادبي — فن الرسائل والمقامات — وبين النثر في الكتب . فأما الاول فقريب من الشعر . وأما الكتب فقد اكثروا فيها كلها في كثير من الاحيان العربية بحيث يخيل ان يفرق فيها بين كتب التاريخ التي هي قصص يسهل فيها الكلام الفني . فأما بعض المؤلفات العلمية مثل كتب الفقه والتوحيد والفلاسفة والطب وهلم جرا فان العلم فيها يجيء بلغة

يكتب بألفاظ عربية ، وتستعار فيه كل الاصطلاحات العربية ، فاصطلاحات البلاغة وضروب البديع واصطلاحات العروض أخذت برمتها . وما زادوه فيها اشتقوه من العربية ايضاً . ثم المؤلفات كلها علمها وأدبها يتخللها كثير من المقتبسات العربية ، ففي كتب الدين الآيات والاحاديث ، وفي كتب الادب والتاريخ كثير من الابيات والامثال والمأثورات . وقد نجد من ذلك أسطراً متوالية

وخير ما يفعل لمقارنة النثر العربي والنثر الفارسي ان ننظر الى كتاب عربي وترجمته ، لنرى كيف توافق الترجمة الاصل وكيف تخالفها مراعاة لاسلوب اللغة وذوق اهلها . فاذا قارن الباحث كتاب كليلة ودمنة العربي بالترجمة الفارسية التي كتبها نصر بن عبد الحميد والترجمة الاخرى التي كتبها الكاشفي من بعد وسماها أنوار سهيلي عرف كيف تشترك اللغتان في كثير من الالفاظ والعبارات وضروب البديع وكيف تختلفان في الاطناب والتفصيل والمبالغة

مقام العربية في ايران من الفارسية

قد عرفنا حال اللغة الفارسية في ايران اجمالاً ، كيف بدأت وكيف تطوّرت وكيف شاركت في فنون كثيرة . وقد يتردد في نفس القارىء هذا السؤال : ما ذا أصاب اللغة العربية في هذه البلاد بعد ان صار لها لغة أدبية خاصة ؟ هل استبدت اللغة الفارسية بالآداب والعلوم ولم يبق للعربية فيها مجال ؟

قد تغلبت الغير باللغتين ولكن يمكن ان يقال ان العربية احتفظت بالسيادة في الاطوار كلها فيما عدا الشعر . فأما بيان هذا ففي هذه الكلمة الموجزة :

لا ريب ان المؤلفات العربية التي ألفت في بلاد الفرس ما بين أول القرن الرابع وغارات التتار أكثر جداً من نظائرها الفارسية ، ولكن ينبغي ان نفرق بين النثر والشعر وغيره فان الامر فيها لا يجري على سنن واحد

فأما العلماء المؤلفون فلا حرج على باحث ان يقول انهم كلهم كانوا يعرفون اللغتين ، وقد كانت بعضهم فيها ولكن المؤلفين بالعربية أشهر ذكراً وأعظم أثراً . وحسبنا ان نذكر ابن مسكويه وابن سينا والبيروني والعتبي والغزالي والرازي والزوزني والتبريزي والنسفي والبيضاوي والسلمي

وأحسن مقياس في هذا ان نعمد الى جماعة ممن ألفوا باللسانين لنرى مؤلفاتهم العربية أكثر وأعظم أم الفارسية . ولا أحسب الامر يحتاج الى عناء . فيكفينا ان نذكر الغزالي الذي نعرف مؤلفاته العربية وليس له في الفارسية الا رسالتان : كيمياء السعادة ونصيحة الملوك .

وقد صرّح في الاول انهُ ألفها بالفارسية ليُفهم العامة — وفخر الدين الرازي لهُ زهاء ثمانين وثلاثين مؤلفاً يعزو منها في الفارسية واحد فقط هو اختيارات علائي . وناصر خسرو القبادياني على تأخر زمانه لهُ نحو خمسين مؤلفاً قليل منها الفارسي ، والبيضاوي ألف تفسيره المشهور بمنع الفارسية الا كتاباً صغيراً أسماه نظام التواريخ

وأما الشعر وما يتصل به فلا ريب ان النبوغ كان لشعراء الفارسية ، فبين قسم شعروا بالعربية ببلاد الفرس كثير أمثال الفردوسي او الانوري أو العنصري ، وفيهم أكثر العلماء الذين اتخذوا العربية لغة علم كانوا ينظمون شعراً عربياً . وكثير من شعراء العرب نظموا شعراً عربياً كذلك . وحسبنا ان نعرف ان الثعالبي وهو من رجال القرن الرابع ذكر في الجزء الثالث والجزء الرابع من اليتيمة واحداً وخمسين ومائة من معاصريه الذين نظموا الشعر العربي في أرجاء بلاد الفرس . وهم أكثر من كل شعراء الفرس الذين ذكرهم عوفي في القرن السابع ولكنهم لا يبلغون درجتهم في الشعر . وقليل منهم يعدّ شاعراً عظيماً في العربية

ومن الشعراء الذين نظموا بالفتين بديع الزمان الهمذاني وابو الفتح البستي وقد ضاع ديوانه الفارسي . والبديع البلخي الذي مدح أحد الامراء بشعر ملمع . وعطاء بن يعقوب الكاتب . وكان لهُ ديوانان عربي وفارسي، والباخرزي ، وابن سينا والشيخ السعدي ومن الكتّاب رشيد الدين الوطواط صاحب حديقة الشعر ولهُ رسائل عربية نشرت احداها في رسائل البلغاء

ولم يكن حال الفتين سواء في العصور كلها فقد كانت الفارسية منذ ظهرت في صور بينما كانت العربية في هبوط — وهذا الهبوط كان أبين في الشعر منهُ في النثر ، فالرسائل التي مؤلفو راحة الصدور ينقل أبياتاً عربية بليغة لاحد وزراء السلاجقة ثم يأسف على ذلك الزمن ويقول : ان وزراء زمنه لا يفهمون مثل هذا — وصاحب المعجم من رجال القرن السابع يقول ان شعراء زمانه يعرفون الفتين ولكنهُ لما ألّف كتابه في العروض بالعربية لم يفهم عليه أحد فاضطر حتى قسم الكتاب قسمين المعجم والمعرب

وعوفي يقول : فان كل مستعرب يعرف الفارسية وليس كل شاعر فارسي يعرف العربية ومع هذا كلهُ نرى ان اللغة الفارسية نفسها لم تكن قد ضبطت قواعدها واحكمت كما ضبطت العربية حتى نجد شمس الدين الرازي في القرن السابع يشكو من هذا ويشرح القواعد شرح المستنبط الذي لم يُسبق

والخلاصة ان العربية فيما عدا الشعر حلت مكانة فوق الفارسية حتى عارضات الفنون عصفت بالحضارة الاسلامية واصبحت العلوم والآداب بشرقيات لم تفق منها حتى اليوم . ويضيق المجال عن الكلام في طور الفتين بعد سقوط بغداد . وعسى ان تتاح له فرصة اخرى ان شاء الله

دراسات

في آثار الاقدمين الروحية

لناشر سيفين

(تمهيد) — قيل عن قدمائنا انهم كانوا يعبدون الحيوان لما أثر عنهم من تقديس بعض أجناسها . وعرف الى جانب هذا انهم اعتنوا قبل سائر الأمم التي عقيدة البعث والحياة الاخرى

والمرء اذ يرى هذا التناقض في اتجاه الفكر ليتولاه العجب من أمرهم وتملكه الحيرة دون ان يفهم كيف صح عندهم ان يسموا من ناحية في عالم الروح الى غير المنظور وان ينحدروا من الناحية الاخرى في عالم المادة الى عبادة الحيوان

وفي هذه المقالات سأعرض لدرس آثارهم الروحية سواء منها ما انتقل الى الديانات الاخرى وما بقي منها في عاداتنا وتقاليدنا القومية وأرجو أن أوفق الى تفهم رموزهم والقاء بعض من النور على بعض الأركان المظلمة من معتقداتهم تبدد ما غشيها من شبهات انصافاً لهم

وبالنظر الى تردد ذكر توت بمناسبة الكشف في منطقة توته الجيل عن معابد ومومياءات الطائر أبيس والقرد وهما الحيوانان المقدسان له فقد رأيت ان أبدأ هذه الدراسات به

المعبود توت

توت أو تحوت رب الحكمة والسحر عند الاقدمين وآلة العلم ومخترع الكتابة ومستنبط علم الحساب وواضع الاسس لسائر العلوم والمعارف

وكانوا يزعمون ان له كتاباً من صفحتين كتبهما بيده وضمنهما العلوم السحرية فمن يقرأ الصفحة الاولى يصبح له سلطان على السماء والارض ويفهم لغة الطيور ويتنبأ بالاحداث في أعماق البحار ومن يقرأ الصفحة الثانية يمكنه ان مات وانتقل الى عالم الارواح ان يعود الى الارض ويأخذ فيها الهيئة التي كان عليها أولاً . وان يرى الشمس في كبد السماء ومن حولها البدر والنجوم وبقية الآلهة

وقد لبث هذا الكتاب يشغل حيزاً من تفكير المشتغلين بالمسائل الروحية الى أوائل العصر

المسيحي . وقد وجد البرديُّ الذي فيه خبر هذا الكتاب في قبر راهب قبطي بطيبة

ولا يزال لتوت الى أيامنا هذه ذكر عند الشمونين فان أحدهم اذ يبتدىء امر من الاعمال على الجمهور يرفع صوته بقوله « توت حاوي » كأنهُ يستنجد برب السحر

وكان أهم مركز لعبادته مدينة الاشمونين وهذا الاسم تحريف خمنو وهو اسمها باللغة القبطية وأطلق عليها في العصر اليوناني اسم هرموبوليس أي مدينة هرمس وهو آلهة الحكمة عند اليونان

وقد تردد ذكر هذه المدينة في الايام الاخيرة متصلاً بالابحاث التي تجريها بعثة الجامعة المصرية برآسة الدكتور ساي جبره في هذه المنطقة للكشف عن آثارها . وقد وفقت في هذا العام توفيقاً عظيماً اذ كشفت عن اشياء كثيرة تتصل بعبادة توت من معابد ومومياوات للطائر أبيس والقرد وهما الحيوانان اللذان كانا الاقدمون يقدسونهما لتوت ويتقربون اليه بأهدائه مومياء احدهما الى المعبد . وقد عثر من بين مئات منها على مومياء قرد زينت رقبتهُ وصدره بلئ من الذهب ووجدت على ظهره وقدميه عمائم من الخرق

وهنا يسأل المرء ما علاقة الطائر أبيس او القرد برب الحكمة . واية فضيلة اختص بها هذان الحيوانان واستحقا من أجلها التكريم والتقديس باسم توت. وهذا يتطرق بنا الى موضوع عبادة الحيوان ومن ثمَّ الى دراسة الانسان من الناحية النفسية في حالة الفطرة . ولنقصر بحثنا على مصر منعاً لتشعب الكلام واستفاضته في نواح لا تتسع لها هذه الصحائف

من الامور التي ازعجت الانسان في بداءته توفر الاثمار حيناً وقلتها حيناً آخر واشتداد الحر فترة تعقبها فترة من البرد القارس . واستمرار الجفاف والقيظ زمناً يعقبهُ ارتفاع ماء النهر حتى يغمر الارض جارفاً امامه كل شيء من اكواخ واقوات أدخرت بشق النفس . وقد ظل الانسان أجيالاً في جهالته قبل ان يدرك ان للشتاء خُلُقاً فيستعد له وللجفاف امارات فيأخذ أهبته وللفيضان علامات تنبيء به قبل اغارته فيهرب بأقواته الى حيث لا يدركه الغرق وكان هذا الكشف اول انتصار للانسان على الطبيعة

وكان مفتاح هذا الاكتشاف الظاهرة التي أشار اليها المسيح في سياق احد الامثال التي كان يخاطب بها الشعب وتلاميذه ويضنها تعاليمهُ لتكون أدنى الى افهامهم اذ قال (انظروا الى شجرة التين وكل شجر . اذا اخرجت تنظرون وتعلمون في انفسكم ان الصيف قد قرب) فقد عرف الانسان ذلك كما عرف ان الشتاء يسبقهُ اصفرار الاشجار وتساقط أوراقها ولاحظ ايضاً ما يصاحب هذه التغيرات من ظمو وبعض انواع النبات او الحيوان ومهاجرة غيرها او اكتنانها في جحورها

وفي فصل الفيضان تفد الى مصر طوائف من ابيس وهو طائر مائي من فصيلة ابي قردان واذ لاحظ القدماء مع الزمن هذا التلازم المحدود علامة على قرب هذا الحادث السنوي العظيم وتوهموا انه اذا لم تجيء طوائف منه لا يكون فيضان . فصاروا يحتفظون في اكواخهم

بأفراد منه واختصوا بعضهم تيمناً به واستجلاباً للخير الذي يصاحبهُ

ثم خرج الناس من ذلك الى النظر في السماء فعرفوا ان تقلب الجو انما يرجع الى اختلاف سير الشمس من الافق واصبح في امكانهم ان يعرفوا الفصول بالنظر الى ذلك واهتدوا بمراقبة اختلاف وجوه القمر الى تقسيم الزمن الى اسابيع وشهور. ووقفوا علاوة على ذلك الى كشف نجم له شأن خاص في مصر. فقد لاحظوا انه لا يظهر في نقطة بينها في الافق مع الشمس الا مرة قبيل انبعاث الخضرة بشراً به وآية من السماء على اقترابه وسموه سوثس وهو كوكب الشعرى. وقد مكن هذا الكوكب لمصر ان تخترع العالم اول تقويم شمسي معروف. وسيجيء الكلام عنه في موضعه بعد

ويرى الانسان في الملاحظة واستقراء الاسباب حتى انتهى الى القول في تعليل مشاهداته بأن هناك روحاً عنده على كل شيء ومحيط بأسرار الكون. وهو انما يتخذ الطير والشجر والكواكب مما يتبع تحت ابصار الناس وسيلة لكشفها لهم لينتفعوا بها في شؤونهم من الرحمة واخذوا في سذاجة الفطرة يصورون لانفسهم ذلك الروح ويلتمسون له في بيئتهم شبيهاً لانهم لم يكونوا قد مارسوا بعد صناعة التماثيل ولا اية صناعة اخرى فشبهوه بالفرد لذكائه وقدرته على توجيه انظار الناس اليه بتتبع حركاتهم على نحو ما يصف احدنا الولد الذكي اليقظ بالقرد

واختاروه رمزاً لذلك الروح الذي عنده علم كل شيء ولا يضن بعلمه عن الناس ووسيلة التخاطب معه والشكاية اليه

ولما عرف الانسان الزراعة وتركز اعتماده عليها وارتبط بقاؤه ببقائها وكان ذلك رهيناً بعوامل كثيرة لا سيطرة له عليها ولا علم له بأكثرها اشتد شعوره عندئذ بضعفه وانه لا يملك من امره شيئاً وقوي يقينه بعجزه امام قوى قاصرة غير منظورة لا يستطيع بوسائله المادية دفع شرها او استجلاب خيرها. فكان اذا حزبهُ امر او ضاقت به الحيل في شأن من شؤونه او [illegible] كان يجلس وعيناه الى ايبس او الفرد مستلقياً الى الهواجس [illegible] الروح الذي يتراءى له في الماضي في ظلمات الجهل وعلمه كثيراً مما لم يكن يعلم ان يأخذ [illegible] بكتائب قربه [illegible] الى معونته ورفده التي اعتماده عليه. ولتيسير توجيه الخطاب [illegible] آخر ترك

وهكذا صبح الوهم بقيمة وتطور الروح الذي فرض الانسان في جهالته وجوده فرضاً لتعليل [illegible] عنهُ أمرها وتفسير ظاهرات أخفي عنهُ تعليلها فصار الهاً. واصبحت الكلمات التي كان يناجي بها نفسه وهو في حيران من الهم او يخاطب بها الايبس او القرد وهو مكتئب [illegible] أصبحت عنده الكلمات صلاة

وأخذ [illegible] التطور على الايبس والفرد حرمةً وتقديساً وصار شأنهما عند الناس كتمثالين [illegible] الا انهما سبقا من صنع انسان

نوت اول شهور السنة المصرية

اتخذ المصريون منذ القدم الفيضان مبدأ لتقويمهم وقد حسبوا الفترة التي تنقضي بين ظهور النجم الذي يليه فوجدوها تستغرق اثني عشر شهراً . ولما اكتشفوا سوثس (سيريوس) أن شروقه مع الشمس يتوافق مع ارتفاع ماء النيل جعلوه مبدأ لدورة السنة الشمسية . ولما تحققوا ان هذه الدورة تزيد عن اثني عشر قمراً بضعة ايام وعالجوا ذلك بجعل الشهر ثلاثين يوماً كما تقدم واضافوا خمسة أيام تجيء عقب تمام الاثني عشر شهراً وهي المعروفة بأيام النسيء وبذلك تكون السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوماً . وللاقدمين أسطورة طريفة في سبب اضافة هذه الايام اعتقد المصريون ان رع منذ الازل دعا على نوت ربة السماء بألا يولد لها ولد في أي يوم من ايام السنة فاستغاثت نوت وهمت الى توت رب السحر والعلم والحكمة وقد كان يحبها ويشفق عليها

ونهض توت للاخذ بثأرها بالرغم من انهُ بعد استحالة رد قضاء قدري نافذ حكم لطفت به شفقاء ، وأمكنهُ بحكمته تلطيف القضاء . ذلك بأنهُ تحدى اله القمر يساجنهُ في لعبة تسمى الشطرنج . وقبل اله القمر تحديه مراهناً على نوره . وحالف الحظ توت مراراً بعد مرار فكسب اله القمر عن اللعب مقراً بالهزيمة . عندئذٍ أخذ توت ما ربحهُ من نور القمر وبقدرته أنشأ خمسة أيام . ومنذ ذلك الحين لم يعد نور القمر يكفي لظهوره في الافق الشهر بتمامه . لكن يتناقص نوره يوماً فيوماً ثم يمحق ولما يتم ثلاثين يوماً

وجعل نوت هذه الايام بين السنة المدنية والتي تليها من غير أن يلحقوا بأحداها . وفي تلك الايام الخمسة وضعت نوت أبناءها أوزوريس وحورس وست وإيزيس ونفتيس على التوالي وتقديراً لفضل توت في معرفة تنسيق الزمن وانشاء التقويم سمي أول الشهور باسمه

واستمر العمل بهذا التقويم أجيالاً الى ان وجد مع توالي السنين ان الفارق في الفصول المقررة لها . فكان فرضاً على الكهنة وهم الحفاظ على الاعياد ضبطها وقد جاء على شذرة من رسالة موجهة من أحد رؤساء الكهنة الى مرؤوسيه يطلب اليهم اعتبار عيد رأس السنة سيوافق اليوم الخامس عشر من الشهر الثامن ويطلب اليهم اعتبار هذا اليوم أول توت والرسالة مؤرخة في السنة الثالثة والعشرين من حكم الاسرة الثانية عشرة . ويرجع هذا التاريخ بالتوافق سنة ٢٨٨٠ قبل الميلاد . وعيد رأس السنة الذي تشير اليه الرسالة هو أعظم أعياد مصر القديمة وكان يحتفل به احتفالاً لا يحدى الا بالاعياد الكبرى

وحكاية ذلك كما روتهُ الاسطورة ان الناس تمردوا على رع رب الارباب وخرجوا عن طاعته وعصوا أوامره وأخذوا بنواهيه فثار رأيه على تأديب العصاة وردهم الى صراط مستقيم . فأعطى هاتور سيف انتقامه وأرسلها حرباً عليهم فكانت المذبحة العظمى التي أخذت يوم أول توت

وأهلكت منهم خلقاً كثيراً فسالت الدماء الى النهر فتحوَّل أحمر قانياً . ولما رأى رع من علائه ذلك أخذته الشفقة على جنس الانسان ومال الى الصفح عنهُ وغفران ذنبه . لكن كيف السبيل الى ذلك ورع لن ينقض حكماً بعد ابرامه وهاتور لن تنثني عن عمل وجهت اليهِ وجهة نيطت بها حتى تتمها . وقد ذلل رع ذلك بوسيلة هي بالحيلة أشبه

أمر رع النساء ليعجنَّ من الشعير شراباً وأرسل في الوقت نفسه رسلاً الى اسوان ليجلبوا من هناك عنباً من كل ذي لون أرجواني وقرمزي ليتخذ منهُ عصير أحمر هو النبيذ . ثم اشار بمزج الشراب المصنوع من الشعير بالنبيذ فكان مزاجهما شراباً سكراً أحمر بلون الدم. وعندئذٍ أمر فاريق الشراب في الاماكن التي اجتازتها هاتور للانتقام . ولما جاءت هاتور في الصباح لاستئناف المذبحة تلفتت يمنة ويسرة فلم تجد أحداً من الناس الاَّ هذا السائل الاحمر فتسلكها الغضب وزارت تعطشاً الى القتل وانحنت على الارض وولغت في ذلك السائل وهي تحسب انهُ دم الخلق الذي سفكت فثقل رأسها من المسكر ونامت فنجا الناس بذلك من فتكها . وتلقاء ما كان لهذا الشراب من فضل في خلاص الناس شرع لهم رع ان يشربوه كلما جاء عيد رأس السنة للذكرى

أما السبب في ان أول توت لم يكن يتوافق مع ظهور سوذس طبقاً للقاعدة التي رضعت لهُ منذ انشاء التقويم بل كان يسبق ظهوره سنة بعد أخرى حتى بلغ الفرق بتعاقب الاجيال المبلغ الذي أشارت اليهِ الرسالة وهو سبعة شهور ونصف فهو ان السنة بحسابها ثلثمائة خمسة وستين يوماً تنقص ربع يوم عن المدة التي تستغرقها الارض في دورانها حول الشمس من نقطة افترانها بسوذس . وبناء على هذا فالسبعة الشهور والنصف هي مقدار ما تجمَّع من أرباع اليوم في سنين عددها يساوي عدد أيامها وهو مائتان خمسة وعشرون مضروباً في اربع أي ثلثمائة سنة ولو كان ذلك بدون تعديل لتوافق اول توت مع ظهور سوذس بعد تمام الف واربعمائة وستين سنة وهو الحاصل من ضرب عدد أيام السنة في اربعة

فلو فرضنا ان حادثة ضبط التقويم التي نحن بصددها هي الاولى من نوعها وقد حصلت على ما حققه العلماء المختصون في عام ١٨٨٠ ق.م. فيكون عام ٢٧٨٠ ق.م. من الاعوام التي توافق فيها اول توت مع ظهور سوذس ومن حيث ان الاسرة الاولى تولت احكم حوالي عام ٤٤٠٠ قبل الميلاد فيمكننا القول بأن التقويم انشيء قبل عام ٢٧٨٠ بدورتين على الاقل اي ٢٩٢٠ سنة وعلى هذا فيكون التقويم انشيء سنة ٥٧٠٠ قبل الميلاد على أقل تقدير

جرى العمل بهذا التقويم على ما به من نقص أجيالاً ولم يفطن أحد الى الطريقة المثلى لاصلاحه حتى ولي الملك بطليموس الثالث الملقب بأبيرجيت الاول وكان محبًّا للرعية مخلصاً للدين فصدر المكنة اقراراً بفضله واعترافاً بما آثره ان ينشئوا باسمه عيداً يقام كل سنة أربعة أيام متتابعة

ولكي يقع العيد على سرّ السنين في الموعد المقرر له رأوا اصلاح التقويم بإضافة يوم الى كل سنة رابعة . وكان ذلك قبل الميلاد بثلثين ثماني وثلاثين سنة

ولما دخلت مصر في حكم الرومان بعد البطالسة امر اغسطس قيصر في السنة السادسة والعشرين قبل الميلاد بتعديل التقويم المصري بحيث توافق شهوره دائماً مع التقويم اليولياني ويقتضي هذا التعديل اصبح اول توت يوافق اليوم التاسع والعشرين من شهر اغسطس

وقد اسخط تعديل التقويم على هذه الصورة المصريين وكان من مظاهر احتجاجهم عليه احتفالهم بمهرجان اول توت في موعده القديم وهو يوافق على ما سنتقدّم الفلكيون ١٩ يوليو وهو وقت اقتران سوثس بالشمس في خط عرض هليوبوليس . ولبثوا على ذلك الى ان دخلت المسيحية مصر فكان في انتشارها القضاء على الدين القديم والقضاء على كل ما يمت اليه بصلة من اخبار الآلهة وآثارهم . وانبثقت من ثمّ الاعياد التي استبدلت التقويم بهم والاشادة بذكرهم

ولما لم يكن قد رتب للمسيحية بعد أعياد تأخذ مكان الاعياد القديمة ، فقد حنّ الشعب الى احياء هذا العيد والاستمتاع بمباهجه ولاسيما انهُ في ظاهره لا يتعارض مع المسيحية اذ كان لذكرى الخلاص وهي العقيدة التي أسس عليها هذا الدين . وفيه تشرب الحرّ لذكرى الخلاص وهي بعينها الحر التي قال عنها المسيح انها دمه الذي يسفك من اجل خلاص العالم وارضى بشربها للتذكار فصار المصريون يجرونهُ كل سنة ولا يرون في ذلك حرجاً او اثماً . ولما أنشأت الكنيسة عيداً للقيامة جعل هذا المهرجان في أثره ولا يزال الى الآن وهو عيد شم النسيم

وفي رأيي ان السبب في هذه التسمية ان العيد في الاصل كان يقع في بداية فصل الفيضان فكان يطلق عليه اسم هذا الفصل باللغة القديمة وهو شمّو فلما تغيّر المصريون وتم ذلك تغيّر اللفظ أصبح هذا الاسم لفظاً بلا معنى . ولمقاربته في النطق اللفظ العربي شمّ أخذوه على أن لفظ النسيم لا يطابقهُ ويتم بمثله . وبذا اصبح الاسم المصري القديم عربياً لفظاً ومعنى

وكثير من العادات المتصلة بهذا العيد ترجع الى عصور ما قبل التاريخ ، ولها من القدم ما جعل الشعب يحافظ عليها منذ القدم للتنويه بمعنى يستفاد منه . فمن النوع الاول عادة شرب الخمر والتمتع من الشجر كالبرتقال والتسوبيا في شم النسيم وقد كان المصريون القدماء يشربون الخمر في عيد الخلاص والنبيذ التي شرعها وقت لذكرى الخلاص

ومن النوع الثاني عادة شم البصل في صباح يوم شم النسيم . وهذه العادة تأخذ بها الاطفال عقب وضعهم البصل لنفسيهم ليصيحوا وتتلى رؤاهم والطوفان . ولا تزال هذه العادة عند القرويين الى هذه الايام . وقد أريد بها في مناسبة العيد الاشادة بفضل الماء الذي عنه الخير واستجاهم وكتب لهم عمراً جديداً أوله ذلك اليوم

﴿ أصل بعض العادات المتصلة بشهر توت ﴾ ومن العادات المستغربة ان كثيراً من نساء القبط يسرعن اذا كان اول توت الى سطوح المنازل في الصباح ليرين على زعمهن رأس يوحنا المعمدان في السماء

وفي اعتقادي ان هذه العادة ابتدأت لما كان سرفس من كواكب الين عند الاقدمين اذ كان مطلعهُ في الصباح مع الشمس يحمل النهاء بأول توت والبشائر باستهلال فصل الفيضان. فكان الناس يترقبون شروقهُ في الاماكن المرتفعة وألسنتهم تلهج بالدعاء ان يكون مطلعه مطلع خير وبشيراً بعام جديد تتحقق فيه الآمال . فلما دخلت مصر في المسيحية نسي الناس سوتس لكنهم لم ينسوا العادة التي غرسها في الاجداد استبشارهم به واحتفالهم برؤيته . وكان لا بد لبقائها من صبغها بصبغة الدين الجديد فلما قررت الكنيسة عيد ذكرى مقتل يوحنا المعمدان وجعلت موعده في اليوم الثاني من شهر توت أضاف الشعب المحافظ على عاداته الموروثة عادة التطلع الى الافق في اول توت الى ذكرى هذا الرسول الذي تقل ووضعت رأسه في طبق

وشهر توت عند اكثر الناس، لاسيما من القبط غير موافق للزواج ومن اقوالهم في هذا المعنى «عروس توت لفوت» اي الترك. ولم استطع ان أقف على سر هذا التشاؤم حتى كنت في ذات يوم أقلب صفحات كتاب لبديع العالم بالآثار المشهور فاستوقفت نظري عبارة في سياق الكلام عن المسبودة أريس تفيد انهُ كان للاقدمين ايام سعود وأيام نحوس وتقويم يرجعون اليه اذا كانت لاحدهم حاجة يريد قضاءها لمعرفة اليوم الموافق لذلك . وقد جاء فيه عن اليوم السادس والعشرين من توت ما يأتي : (لا تعمل عملاً البتة في هذا اليوم فانهُ احتدم القتال بين حورس وست وحورس ابن اوزيريس الذي علم المصريين الزراعة وهداهم الى عبادة الآلهة . وست اخوه وكان شريراً فنفس على اخيه ما احرزه من نجاح وما صار له من المكانة والسلطان عند الناس فاحتال عليه حتى قتله . ولما بلغ حورس اشده أقسم لينتقمن لابيه من ست . فناصبهُ العداء وكانت الحرب بينهما سجالاً . ومن حيوانات تلك المعركة التي يصفها التقويم التي أتاها تدمست ايزيس وهي ام حورس واخت ست وتدخلت بينهما الربة ماعت فخلق عليها أبوها الاله نوم فرقدت فضربها ضربة اطاحت رأسها فكان من ذلك تشاؤم الاقدمين من هذا اليوم . ولا يزال هذا التشاؤم خلقاً يخيم على الشهر كله الى الآن

يقسم [illegible] الى قسمين من حيث الفكرة فقد قسموا الى نوعين : الاول [illegible] يرجع تقديسه الى التفاؤل ويشمل هذا النوع ما يعرف بالتوطم ويعنون به الامم التي على النطرة ذات مقدسة من الحيوان او النبات ومن هذا القبيل عند قدماء الاقدمين . ولا يزال التفاؤل عند الناس شأن عظيم فكم من مريض يعلق الحجر او حلية لا يدلك بطبه كم خبر في ذلك من شفي اذا سها عنها مرة انقبضت نفسه وتوقع السوء من التشاؤم

والنوع الثاني الحيوانات التي يرمز بها لصفة من صفات المعبود او معنى يستفاد من اخباره. ويشمل هذا النوع سائر الرموز في الديانات القديمة وسأزيد هذا الموضوع بياناً في المقال الثاني

زهرة

« الى التي تعطر طريق كل صباح »

ابسمي للصباح وهو سنى السماح
وازدهي بالقراح فهو روح وراح
للهوى والمراح

***

عطّري لي الطريق بالشذى والرحيق
ان قلبي الطليق مدمن لا يفيق
تحت سحر الاقاح

***

أي روض يباك أي نسيم يرواك
أي أرض يحاك نفحة من شذاك
أطلقت لي السراح

***

ان تموج الغدير مثل موج الشعر
قد نشرت الصخور والقصور في الغدير

وازدهي بالقراح
فهو روح وراح
للهوى والمراح

محمود قاسم الصيرفي

الانتخاب الطبيعي

واصلاح النسل

للدكتور شريف عسيران

إن أول من استنبط نظرية الانتخاب الطبيعي وجعلها عاملاً من عوامل تنوع الاحياء ورقيها وتغلبها على غيرها واستمرارها بقوة تنازع البقاء هو العلامة الاشهر داروين مؤلف كتاب «أصل الانواع» وغيره من المؤلفات النفيسة في التاريخ الطبيعي . وقد بين ان الكائنات الحية من أصل واحد تنوعت بعامل الانتخاب الطبيعي وعرّف الانتخاب الطبيعي بأنهُ حفظ التباينات النافعة ونبذ الضارة [1] وقال اذا حصل التباين فمن المؤكد ان يتغلب الافراد الذين يتسلم هذا التباين على غيرهم بعامل تنازع البقاء وتنتقل صفاتهم بحسب ناموس الوراثة الى نسلهم وعزا عدم زيادة النسل وازدحام السكان الى صعوبة الحصول على الغذاء اللازم وتغلب الاعداء وتأثير المناخ [2] وزعم انها من العوامل التي تعيق تكاثر النسل . فالاحياء التي تتغلب على هذه العوامل تنتشر أكثر من غيرها وتخلد نفسها والعكس بالعكس . وتتضمن نظرية الانتخاب الطبيعي ثلاثة أمور :

(١) حصول التباينات الوراثية (٢) تنازع البقاء (٣) بقاء الانسب

وقد حصل تغيير كبير في هذه النظرية بدل أوضاعها فلم يعد الانتخاب الطبيعي العامل الوحيد في اخراج الانواع الجديدة وليست قلة الغذاء سبباً في تقليل النسل وتنازع البقاء [3] وليس بقاء الانسب هو بقاء الاصلح ولا نخوض هذه الموضوعات الزاخرة بل نقتصر منها على مالهُ علاقة بموضوعنا

يظن البعض ان نظرية الانتخاب الطبيعي أضارت وان تأثيرها اضمحل وقد تمكن البشر من التغلب على مجلهم تقلاشى كثير من الامراض التي كانت تفتك بهم فتكاً ذريعاً كالهيضة والطاعون والجدري والبرداء والدودة الشصية وغيرها ونقص غيرها نقصاً بيناً كالتيفوئيد والسل

---

(١) أصل الانواع : Origin of Species p. 72

(٢) أصل الانواع : 109 " " "

(٣) يبتسط في تمهيد هذه النظرية في مقالنا الآتي تحديد النسل ومشكلة السكان

الرئوي والزحير وغيرها وغيرها. وقد تلاشى كثير من هذه الامراض في بعض الاقطار التي تعتني بالتلقيح الصحية الاعتناء اللازم. وتمكن الانسان أيضاً ان يعيش في مختلف الاقاليم بفضل التدابير الصحية والمستشفيات العصرية كالمدفئة والتبريد وتحسين الماء وغيرها من الوسائل المعلومة التي تساعد بها الانسان على الطبيعة الى حدٍّ ما. وقد استطاع ان يطيل حياة ملايين البشر الذين كانوا في قبضة الموت المحتم كالمسولين والمصابين بداء الكساح ونقص مفرزات الغدد الصم والسكري والزلال وغير ذلك من العلل والامراض. ورغماً عن هذا النصر المبين لا تزال هناك علل وراثية لم يستطع التغلب عليها. فالمصابون بنزف الدم الوراثي Haemophilia أكثر تعرضاً للموت وأقصر عمراً من غيرهم. وقد ظهر من احصاء ٣٧ وفاة من عائلة مامبل الاميركية ان ١٧ منها نشأت عن هذا الداء. وضحايا المصابين بالصرع والجنون والبله وغيرها من الامراض العقلية أكثر من ان تحصر وهي عامل كبير في قصر عمر المصابين بها. وقد أحصى ٦٢٥ Bar وفاة من المصابين بالنقص العقلي فوجد ان اكبر عدد يموت بين سن ١٠ — ٢٠ ووجد كلارك وستول ان المتوفين من ناقصي العقول في مستشفيات مدينة بوبورك ومداوسها ضعف وفيات الاولاد الاصحاء. وكثرة وفات اسرتي [1] Kallipops & Jukes من الامور المعروفة في تاريخ هاتين الاسرتين

ان كثرة وفيات الاطفال ملازمة على الاغلب للفقر والجهل والانحطاط العقلي. وقد درس الدكتور Stevenson وفيات انكلترا وويلز بالقياس الى المهن فوجد ارتفاعها وانخفاضها تابعين لارتفاع وانخفاض المهنة فكلما كانت المهنة رفيعة كان معدل الوفيات اقل والعكس بالعكس. وقد وضع جدولاً بذلك لا نرى حاجة الى إثباته.

***

هذه ادلة قوية تثبت ان الانتخاب الطبيعي لا يزال مستمراً بعمله لدرجة ما. ومن رأي الدكتور هربرت ان الانتخاب الطبيعي زاد بتقدم المدنية عوضاً عن ان ينقص [2]. ولنأخذ البغاء مثالاً لتأثير الانتخاب الطبيعي وعلاقة ارتفاع الوفيات بوضاعة المهنة. ان البغي معرضة للامراض الزهرية وهي تصاب بها اكثر من غيرها لان [illegible] بحكم عملها فتسهر كثيراً وتأكل في أوقات غير منتظمة وتتعرض لمختلف الامراض السارية غير الزهرية كالسل الرئوي وغيره. فجميع هذه العوامل تؤول الى قصر عمرها. ولكن ضريبة الموت الكبرى تقع على نسل

(١) هما اسرتان اميركيتان يضرب بهما المثل في الانحطاط العقلي الناشيء عن الوراثة

(٢) The Eugenic Predicament [illegible]

هذه الفئة وهناك عاملان رئيسيان يمنعان تأصل هذه الصفة الاول ارادي فالبعض يمتنع عن النسل بطرق مختلفة والثاني عامل اجباري ناشيء عن اصابتهن بالامراض الزهرية او غيرها الاكثرية الساحقة منهن كالبلان الذي يسبب العقم والزهري الذي يسبب موت أولادهن عاجلاً او آجلاً . ولولا هذه الظروف الملازمة لمهنهن لكن أخصب انتاجاً . ويروعنا ان نعلم ان البغاء من صالح تحسين النسل. فقد ثبت ان حاصل ذكاء البغايا وظهر من تقرير اللجنة التي نيط بها البحث عن المتاجرة بالرقيق الابيض في ماستشوستس ان بين ٣٠٠ بغي درسوهن ضعيفات العقل وذكاء الباقي دون المعدل العادي . ويظهر من ارقام Bonlatter عن ٣٠٠ بغي في سجن برسلون ثلثيهن كن ناقصات العقل او ضعيفات غير ان هذه الملاحظات . وبها اختلفت الآراء فهن كن فان نسل مثل هؤلاء غير مرغوب فيه

ومن رأي الدكتور فرنز لنز في كتابه الوراثة البشرية ان للامراض الزهرية تأثيراً سيئاً وسيئاً فهي من وجهة تخلص النسل من ضعاف العقول والمجانين وغيرهم من الامراض العقلية من الزهري وتبقي أقويه الارادة والاذكياء وتحدث عقماً في ضعاف الارادة العاجزين عن مقاومة لشهواتهم ومن وجهة أخرى تفسد النسل بما تحدثه فيه من العاهات[1]

وجد الدكتور فرنز ان طول العمر وقصره وراثيان لدرجة ما فقد أحصى الكسندر بل مائتين وثلثون عدة أسر في اميركا فوجد طول العمر وقصره وراثيين فيها فكلما طال عمر الآباء طال عمر الابناء طويلاً والعكس بالعكس . وأحصى Plaetz عدة أسر ملكية وهي كما تعلم من اكثر الاسر لافرادها المحيط الملائم للحياة وتوصل الى نفس النتيجة كغيره وأثبت ذلك بالارقام القاطعة[2]

يرث الفرد في كثير من الامراض استعداداً وراثياً كالسل والسكتاح وغيرها ويرث ضعفاً في مناعته ايضاً بحسب رأي Davenport يعرضه لانواع الامراض الساراية الخ فهذه العوامل تساعد في تنقية النسل بالانتخاب الطبيعي لازالة الفئة التي فيها استعداد وراثي معرضة للتلف اكثر من غيرها . ثم ان في بعض اصناف البشر استعداداً لاتقاء المناخ اكثر من غيرهم فالسود يستطيعون مقاومة المناخ الحار اكثر من البيض والبيض المناخ البارد اكثر من السود وهلم جرًّا

فالانتخاب الطبيعي لا يزال يؤثر تأثيراً محسوساً في اصلاح النسل

---

(١) The Eugenic Predicament p. 114

(٢) Applied Eugenics p. 89

العلوم المبسطة[1]

العطور والغازات

استخراجها من قطران الفحم

واستعمال الغازات الحربية إبان السلام

١ — العطور الزكية

اذا ذكرت لكم ان عطر البنفسج الزكي ، الذي تتباعونهُ في قوارير فخمة ، بثمن غالٍ ، مستخرج من قطران الفحم الحجري ، فقد تحملون قولي على محمل المبالغة . ولكنهُ قول لا مبالغة فيه . لان العلم الحديث قد كشف الطريق ، الى استخراج الاصباغ الزاهية ، والعطور الزكية ، من قطران الفحم . وهذا من عجائب العلم والصناعة في هذا العصر

وقبل ان أقصَّ عليكم قصة العطور الزكية وكيف تستخرج من أزهار النبات وأوراقه وعيدانه وطائه ، وكيف جاء الكيمياوي يناقسها ، فاستغنى في كثير منها عن ملكة النبات قاطبة ، وصار يستخرج العطور من قطران الفحم ، بل كيف بذّ العطور الطبيعية بعطوره الصناعية وزاد أصنافها ، أريد ان أشير في صدر الكلام ، الى ان الانسان في العهد الماضي من حضارته ، كان يعتمد على الطبيعة في استخراج ما يحتاج اليه . نعم كان في مكنته قبلاً ، ان يختار ، مفضلاً هذا الزهر على ذاك ، او يختص بعض الشعوب على خصب تلك ، ولكنهُ كان عاجزاً عن الابداع . فكان اذا طلب السكر ، أرسل الى حيث يكثر زرع قصب السكر في جزائر الهند الغربية . واذا طلب الافاوه سعى في سبيلها الى جزائر الهند الشرقية . واذا احتاج الى النيلة أتى بها من الهند . واذا وجب عليه استعمال السماد استوردهُ من شيلي ، او المغاط بذل شجر المغاط في الكنغو . هالابا وأخذ سفنهُ . كذلك كان اذا طلب عطر الورد ، أتى بهِ من وادي الزيز في تركيا . وهي احدى المناطق التي يزرع هذا الورد ويستقطر . فالانسان كان في العصر الماضي ، اشد الى أقدم العصور ، غير مسيطر على بيئته

---

(١) من الاستاذ اللاسلكي التي يديرها رئيس تحرير المقتطف من محطة مصر الحكومية

ولكنهُ ما كاد يكبُّ على دراسة العلوم الطبيعية ، حتى أخذ يتبين قواعدها ويعرفها رويداً رويداً ، فتفذ الى أسرار التركيب والبناء ، وخاصة بعد كشف أصول الكيمياء وتوسعها . الا ماسيفه فصار في مكنته الآن ان يصنع النيلة والسكر وعطر الورد من قطران الفحم الحجري ومن دون ان يلجأ او يحتاج الى نبات النيلة في الهند او قصب السكر في كوبا او حدائق الورد في تركيا . كذلك استطاع ان يصنع من الهواء والامونيا سماداً جيداً فاستغنى عن سماد نيترات الصوديوم الطبيعي ، وقد توصل اخيراً الى صنع نوع لا بأس بهِ من المطاط من غاز لا اكثر ولا اقل

***

نعود الآن الى حديث العطور الطبيعية والصناعية ، وهو من أفكه الاحاديث الكيميائية وأدقها لانهُ في ناحيتهِ الطبيعية ، حديث المروج والحدائق ، فيها الازهار على اختلافها في ألوانها وزاهيتها ، يخيّم عليها جوٌّ عبق بعطرها الزكي ، فهو حديث الطبيعة على أجمل وأروعها ، وهو في ناحيتهِ الصناعية ، حديث العبقرية والابداع ، يبعث في النفس نشوةً ناشئة عن الشعور بالقدرة والسيطرة والمقدرة على مباراة الطبيعة ومنافستها في ابداعها

***

لا يخفى عليكم ان حاسّة الشمّ لم ترتقِ بارتقاء الانسان ، بل على الضد من ذلك أنها ضعفت ، فكأنها كانت لازمة في البداوة وقبل البداوة ، فعادت غير لازمة في الحضارة . فالكلب يميّز بين الصديق والعدوّ بالشم ، ويستطيع ان يقفو اثر انسان اذا شمّ رائحة ملابسهِ . ولذلك يستعملهُ رجال الشرطة في احوال كثيرة في اقتفاء آثار المجرمين ، او في اقتفاء آثار الذين اختفوا نتيجة لعملٍ اجرامي . وهو عمل كثيراً ما نراهُ على لوحة السينما ونقرأ حوادثه في الصحف

اما الانسان فقد فقد دقة حاسّة الشمّ او كاد . اعني انهُ يستطيع ان يميّز الروائح النفيسة من الروائح الكريهة . ولكن اللغة تصوغ اقوى دليل على ضعف هذه الحاسة فيه . فليس يحتاج احد ، الى بلاغة نادرة لكي يصف جسماً من الاجسام ، او شيئاً من الاشياء ، وصفاً يمكّنك من معرفته اذا رأيتهُ . فالأمّي يستطيع ان يصف حيواناً غريباً رآهُ بالفاظ تمكّنك من معرفة ذلك الحيوان اذا رأيتهُ أنت . فيذكر لونهُ وحجمهُ وشكلهُ وما يمتاز بهِ من ... أنياب او قرون او اذنين عريضتين او ما اشبه . فاذا رأيتهُ قلت في نفسك ، هذا هو الحيوان الذي وصفهُ فلان . ولكن ذلك متعذّر في وصف الروائح . حاول انت ايها البليغ ، ان تصف رائحة معينة ، ولتقل انها رائحة الورد ، من دون ان تستعمل لفظ الورد في وصفها ، بطريقة تمكّن صاحبك من معرفة الرائحة التي تقصدها . ان اللغة في الغالب تقصر دون مرامك ، ولو كنت من البلغاء

العطور محلولات من زيوت معينة او مواد عطرة ، في كحول (سپرتو) مخفف . أما عطور

القدماء فكانت المواد العطرة نفسها غير محلولة في كحول او مادة أخرى

فالزيوت العطرة تستخرج من مصادر نباتية من الازهار او الاوراق او السرق او الجذور او اللحاء (قشرة الساق والغصان) بأساليب دقيقة كل الدقة . وقد عرفت بالزيوت لانها في الغالب مواد دهنية او زيتية ، أخف من الماء وتطفو على سطحه من دون أن تمتزج به . وهي تشبه زيت الزيتون وزيت بزر الكتان ، في انها تحدث بقعة دهنية اذا وضعت على الورق ، ولكن بقعة زيت الزيتون تبقى هناك ، وأما بقعة الزيت العطري ، فلا تبقى ، لانها في الغالب زيوت طيارة أي سريعة التبخر

فعطر الياسمين والنارنج والورد والبنفسج (الكلام هنا على العطر الطبيعي) يستخرج من أزهار هذه النباتات . وعطر الخزامى والنعناع يؤخذ من الازهار والاوراق . وعطر الصندل يؤخذ من الخشب . وهناك عطر يعرف بعطر حشيشة الملك يستخرج من الجذور . وعطر البرجموت والليمون والبرتقال يؤخذ من الازهار والاوراق والاثمار . وعطر اللوز المر والياسمون وجوز الطيب يؤخذ من البزور وعطر البلسم المعروف ببلسم بيرو يؤخذ من الصمغ

وهناك عطور أخرى مصدرها يرتد الى الحيوان . فتعرف بالطيوب . وهي أغلى العطور قاطبة وأندرها . فالعنبر يستخرج من حيوان بحري ، وهو من قذف الحيتان المريضة . والمسك يستخرج من أحد الاياثل وقد أشار المتنبي في مدح أحد الامراء الى ذلك بقوله

وان تفق الانام وانت منهم فان المسك بعض دم الغزال

والزباد طيب نادر يستخرج من حيوان يعرف باسم سنور الزباد . ومن يواعث الاسف ان أياثل المسك وسنانير الزباد تكاد تنقرض لجد الناس في صيدها طلباً لطيبها

***

أما الاساليب المستعملة لاستخراج العطور من مصادرها فبعضها قديم كالتقطير والنقع ، في الادهن والكحول ، وبعضها حديث كاستعمال بخار البترول . ومن النادر ان يكتفى باستعمال طريقة واحدة في استخراج العطر من نوع واحد من الزهر او الخشب بل يستعمل أكثر من أسلوب واحد . على انه يثبت ان كل العطر قد تم استخراجه

ففي طريقة التقطير ، توضع الازهار في انبيق كبير ، وتغمر بالماء ، ثم يبدأ عمل التقطير المعروف المستعمل في تحضير ماء الزهر من زهر النارنج او ماء الورد من زهر الورد . أما طريقة النقع في المواد الدهنية ، فيعمد فيها الى وضع الازهار فيها ، حتى تشبع وتصير كالمرهم (المرهم) والغالب ان يوضع عدد معين من الازهار في دهن نقي او زيت زيتون نقي ، ثم يوضع الاناء في اناء آخر فيه ماء مغلي ، وبعد وقت معين تخرج الازهار ويوضع غيرها مكانها ، حتى يتشبع

الدهن او الزيت بعطرها . ثم تُعرَّث الازهار ، التي نفست رائحتها في مكابس مائية حتى يعصر منها كل ما تبقى فيها من العطر . ويؤخذ الروح ويمتزج بالكحول بنسبة تكفي لتكسير العطر الذي فيه ويمتصه فيصبح بعد التصفية والتبريد ، خلاصة عطر الزهر المستعمل

او قد تستخرج المادة العطرية باستعمال بخار البترول الذي ، ومن أحدث الاساليب ومن أفضلها وطريقته ان تعرث الازهار اولاً ، فتسرق العصارة التي تحتوي على المادة العطرية ، وتفصل هذه المادة ببخار البترول . وتبقى الازهار المعروثة على حالها ٤٨ ساعة . ثم يبرد البخار ويستقطر فتبقى منه مادة شمعية ، ذات رائحة عطرة زكية ، وبعد عمل الاستقطار مراراً فتصبح المادة الشمعية خلاصة العطر التي تباع في الاسواق . وقد رأيت ذلك في ٥ حزيران ٩ البلدة المشهورة باستنطار العطور في جنوب فرنسا

هذه الاساليب مما يمكن استعماله في الازهار التي تستخرج رائحتها بسهولة ، اذا عرثت . ولا تزول رائحتها اذا مضى عليها وقت طويل بعد قطفها . ولكن ما كان من الازهار كالياسمين والزنبق ، لا يستخرج عطره الا بالحيلة لأن مقدار العطر قليل — ولا يستخرج زيت طيار من الزهر الا اوقية او اوقيتان من العطر — فلا يصلح التقطير لاستخراجه . ولا يستخرج بالنقع ولا ببخار البترول لأنهما يتلفان الازهار . لذلك يستخرج عطرها باستعمال الدهن البارد . وآية ذلك ان الازهار الغضة توضع في اطباق مبطنة بالدهن . وتقام هذه الاطباق بعضها فوق بعض وتبدل الازهار الذاوية بغيرها مرة كل ٤٨ ساعة ، وكذلك يمتص هذا الدهن عطر الزهر الفاتح فيصبح كالروح في الطرق السابقة ويعالج كما تعالج لاستخراج العطر منه

***

ولا يخفى ان خلاصات العطور المركزة لا تباع الا في زجاجات العطور الصغيرة . وتختلف سعر الاوقية من جنيه الى عشرات الجنيهات ، وذلك بحسب العطور التي تعالج في استخراج العطر ومقدار الزهر الذي ينفق في الاستخراج . وصناع العطور يمزجونه ثم يخلونه في الكحول ويبيعونها في قوارير أنيقة مختلفة الاشكال والالوان بأسعار غالية . والغالب ان لا يحتوي العطور المركز من خلاصة عطر واحد في الغالب كحولاً

وسرّ صناعة العطور هو مزج الخلاصات الزيتية بعضها ببعض بنسبتها وبمقدارها . وهذا المزج فن دقيق ، توارثته سرّاً بعض الاسر القديمة التي اشتهرت بهذه الصناعة . فالعطار الكبير الفلاني ، لا يباح سرّ صناعته ، حتى لأبنائه . وكان الكيماوي الالماني قد صنع العطور سماً كالسم الفوسفوري ، جعل في أسفله العطور الشرقية القديمة ، مثل عطر خشب الصندل ، وفي أعلاه العطور الخفيفة ، مثل عطر الهليوتروب . فالجيد يستطيع ان يميز بين درجات

هذا السلم العطري، كما يمزج الموسيقي بين درجات السلم الموسيقي ؛ فيخرج الاول عطراً زكية ، كما يخرج الثاني أنغاماً متآلفة شجية . فاذا كان غير خبير في الحالين ، كانت النتيجة عطراً متنافرة الاجزاء تؤذي حاسة الشم ، وأنغاماً غير متسقة تؤذي حاسة السمع . والخبراء في معامل العطور الذي يشمّون العطور المركبة ، ويحكمون لها او عليها ، يتقاضون مرتبات ضخمة

***

هذا شيء عن العطور الطبيعية واستخراجها والتأليف بينها . وقد نظر الكيماوي الى ميدان العطور فرآه مجالاً واسعاً للابداع والكسب . رأى مثلاً عطر البنفسج . فهو من اندر العطور وأغلاها ثمناً . فانت اذا زرعت فداناً كاملاً بزهر البنفسج لم تستطع ان تستخرج من أزهاره الا بضع قطرات من العطر الزيتي البنفسجي المعتق . ومن أشق الامور حفظهُ لانهُ طيار سريع التبخر . فلما حلّل الكيماوي هذا الزيت وجد ان عنصره الاساسي مادة تدعى «أيونون» فلما استفردت هذه المادة نقية من الشوائب ، ظهر انها تبلغ من قوة الرائحة ما يدلُّ عجب الشمّ ، فلا يستطيع الانسان ان يحسَّ رائحة ما لها . فعمد الكيماوي الى محاولة تركيبها تركيباً صناعيًّا في المعمل ، من دون ان يعمد الى زهر البنفسج على الاطلاق ، بل اعتمد على بعض المواد المستخرجة من قطران الفحم الحجري . فأفلح في ما حاول . فأصبحت العطور المحتوية على رائحة البنفسج رخيصة الثمن الآن بفضله . حتى ليتعذر على أحد الآن في الغالب أن يبتاع عطر البنفسج الطبيعي ، لان العطر الطبيعي لا يستطيع ان ينافس العطر الصناعي ؛ فلا يصنع الا في النادر لانهُ لا يفي بنفقته ، وما يصنع منهُ تمزج منهُ مقادير صغيرة جداً بالعطر الصناعي

وما تمَّ للكيماوي في عطر البنفسج تمَّ لهُ مثله في عطور وطيوب مختلفة مثل عطر الورد وعطر الليمون والمسك وغيرها مما ان بعض الازهار كان مما يتعذر استخراج عطر منهُ بأحد الاساليب المعروفة مثل زهر « زنبق الوادي » و « الليلج » فصنع الكيماويون عطراً صناعية لها نفحة العطر الطبيعي

ولعلَّ أعظم انتصار أحرزتهُ الكيمياء في ميدان العطور كان في صنع عطر المسك التركيب الكيماوي . فالمسك أهم مادة في صناعة العطور لانهُ مثبت للعطور موحِّد لها . فقد تمزج عدة عطوراً مختلفة بعضها ببعض كان لا بدَّ من استعمال المسك لكي يوحدها ويثبتها ويضفي منها عطراً واحداً منسجماً لا تنافر بين اجزائه . وقد بلغ من اشتداد الطلب على المسك الطبيعي المستخرج من غدد غزال المسك التبتي (نسبة الى بلاد تبت) ان كاد هذا الحيوان ينقرض حتى بلغ ثمن الرطل من المسك غير النقي ١٠٣ جنيهاً والنقي الخالص من الشوائب ثمانية آلاف جنيه . فعمد الكيماوي الى التركيب فتمَّ له ما أراد

٢ — الغازات الحربية واستعمالها في ابان السلام

أما وحديث الحرب يشغل كل ذهن ، فانه موضوع الغازات السامة وما اليها يفوق سائر الاحاديث العلمية في استيقاف النظر واستدعائه للعناية . وبوجه خاص ما يقال عن بناء الابنية التي لا تخترقها الغازات ، وصنع الكمامات التي تقي منها ، وتمرين الناس وتعويدهم استعمالها ، حتى اذا نشبت حرب ، وأمطرت الطائرات المدن بقنابل الغاز ، عرف الناس كيف يدرأون اخطارها بعض الشيء .

ولكل حديث البتة لا يتناول هذا الموضوع من ناحيته الحربية ، بل من ناحيته العلمية . وقد يكون أول سؤال يخطر لكل منكم : هل ثمة فائدة للغازات السامة والخانقة في ابان السلام . والجواب عن هذا السؤال بالايجاب لا ريب فيه . ولكنني بدلاً من أن أروي لكم طريقة استعمالها ، بوصف خواصها وتركيبها ، سأروي لكم بعض حوادث استعملت فيها هذه الغازات ، تبينون منها مدى فائدتها ولا يفوتكم في خلال الحديث متعة القصة ورواؤها

فالحادثة الاولى حدثت في بنك . وهي حادثة طراز . أي انها حادثة تمثل مئات الحوادث التي تقع في أميركا . ففي أحد الايام ، هجم فريق من الاشقياء على بنك في مدينة في احدى الولايات الاميركية . ولم يكن الهجوم مجهولاً بالمعنى المألوف من فجأة وصياح يصحبانه . بل أن فريقاً من الاشقياء رقب ، على ما تشاهدون أحياناً في الصور المتحركة ، امام بنك ونزل منهم رجلان وبقي اثنان في السيارة ينتظران . ودخل الرجلان ساحة البنك ووقفا أمام الصراف وهو يعد ربطة كبيرة من الفرود الورق ، فالقت اليها وقال في بساطة مثل لكما خدمة : فنبها في وجهه وأبرز أحدهما مسدسه وأشار اليه أن يتخلى عما في يده من المال . فكان منه الا ان ضغط زر على زر صغير تحت منضدته ، فلم يحدث ضجيجاً هذا صحيح ولا صوتاً ولا صفيراً ، كما تحدث الاجهزة المنبهة ، ولكن ما لبث ثواني حتى ظهرت في جو البنك غازاً من الدخان قاتم فسعل الشقيان سعالاً شديداً وأغرورقت عيونهما بالدموع ، فالقيا حينئذ مسدسيهما جانبا وأخذا يمسحان عيونهما وهما يسعلان ، وما حاولا الفرار تسكعا في الطريق لما كادا يبلغان الباب حتى كان رجال البوليس قد وصلوا والقوا القبض عليهما . فلما افاقا بعد نصف ساعة من عزلهما ، كان كل منهما يشعران به ألماً طفيفاً في عيونهما [1]

---

(١) يعرف هذا الغاز بغاز الدمع وقد يكون مادة « بروم استيون » او « بنزيل بروميد » وهو يهيج أنسجة العين فتدمع ويحدث العطاس فاذا استعمل بخفة كان تأثيره مؤقتاً واذا استعمل قوياً أحدث ضرراً في النفس وسعالاً تشنجياً والتهاباً في الشعب الرئوية

فالفوز على هؤلاء اللصوص نتيجة مباشرة لاستعمال الغازات التي تعدّ للحرب ، في فضاء اوطار العلا آمنة والسلام

وقد شرع اصحاب البنوك وحوانيت الجوهريين الكبيرة في اميركا يركبون المعدّات اللازمة لاستعمال هذا الغاز او ما كان من قبيله لدرء خطر اللصوص. وثبتت الانابيب التي تنطلق منها هذه الغازات في الجدران ، ولكن مركبها يتفنون اخفاءها ، فلا يمكن ان يتبينها المجرم ولو كان خبيراً ، لان اخفاءها في البنك الواحد يختلف عن اخفائها في البنك الآخر

***

ومن هذه الغازات غاز يثير العطاس وقد استنبط في خلال الحرب العالمية ، ومن اذا استعملت منهُ مقادير يسيرة لا يسبب ضرراً ما . ومن فوائد هذا الغاز في اميركا ان الشركات التي توزع الغاز الصناعي المستعمل وقوداً في الحمامات عندنا مثلاً ، شرعت تضيف الى كل الف قدم مكعبة من غاز الوقود مقداراً يسيراً من الغاز الذي يثير العطاس . ولا يخفى انهُ اذا ترك انبوب غاز الوقود مفتوحاً في غرفة مقفلة ، كغرفة الحمام ، او حجرة المطبخ أفضى ذلك الى استنشاقه ، وهو سام في انهُ يمنع الاكسجين عن الرئتين فيموت من يستنشقهُ اختناقاً اذا لم يكشف في الحال ويُمدَّ بالاسعافات اللازمة

فوجود الغاز المثير للعطاس في غاز الوقود ، ينبّه النائم في غرفة فتحت فيها انبوبة الغاز ، او ينبه السيدة التي تطبخ ولكنها تترك انبوبة غاز في موقدها مفتوحة من دون ان تشتبه ، لان الغاز المثير للعطاس يحمل الرجل النائم ، والسيدة الهيئة بطبخها على العطاس عطاساً شديداً ، فيتنبهان للخطر المحدق بهما ، فيفتحان النوافذ اولاً للتهوية ويبحثان ثانية عن حنفيات الغاز المفتوحة فيقفلانها

وثمة بين الحيوانات حيوان يدعى بالظربان . وهو كريه الرائحة . وقد عمدت بعض شركات الغاز الى صنع غاز كريه الرائحة جدًّا ، وبثّت مقادير يسيرة منه في الغاز المستعمل للوقود . فاذا شمت سيدة في مطبخها هذه الرائحة الكريهة ، عرفت ان احدى حنفيات الغاز تسرب بالغاز فتعمل كل ما يجب أن تعمله فور الخطر . ولذلك سمي هذا الغاز بالظربان اي الكريه الرائحة ومن عجائبه انهُ اذا احرق الغاز في موقد المطبخ او في موقد الحمام فقد الرائحة الكريهة التي يتصف بها . فانتشار الرائحة الكريهة لا يكون الا اذا كان هناك خطر

ولا يخفى أن هناك بعض ضعاف النفوس يعمدون في أثناء ثورة نفسية الى الانتحار باففال حجرة واطلاق الغاز فيها بفتح حنفيته . فالغاز الذي يحتوي على هذا الغاز الكريه الرائحة يؤثر في انوفهم ، قبل ان يؤثر الغاز في رئاتهم ، فيعجزون في النائب عن الصبر على الرائحة الكريهة

فيقضون الحنفة ويفتحون النوافذ وينجون كذلك من الموت . وقد [illegible] أدعا لهم في المستقبل عن الاستسلام للضعف والتذرع بالشجاعة والعزيمة في [illegible]

***

وقد تذكرون ان هناك غازاً يدعى غاز الخردل[1] . وهو من أشد الغازات [illegible] رئتي من يستنشقه بتجفيفها . وقد استنبط واستعمل في الحرب الكبرى . ويمكن [illegible] استعمالاً في وقت السلام يفيد الزراعة والزراع . ومن آيات استعماله ، ما روي عن حصانة [illegible] في أميركا ، إن موجة من الارانب ، اكتسحت منطقة من المقاطعة فالتهمت أخضرها [illegible] وعجز رجالها عن مقاومتها لكثرتها وسرعة توليدها ، فعمدوا الى المصلحة الحكومية [illegible] مقاومة آفات الزراعة ، فاستعمل غاز الخردل الخانق برشه في الحقول بمرشات خاصة [illegible] برش باشراف الخبراء الحكوميين . وما سقط الغاز على الارض حتى تحول قطرات [illegible] كقطرات الندى وجاءت طوائف الارانب تسير في الطرق التي طرقتها قبلاً — وكان الغاز [illegible] فيها — فسلقت هذه القطرات بقوائمها فلعقتها بألسنتها ، فهلكت ، وكذلك تغلب رجال [illegible] غاز حربي على آفة زراعية فتكت وأتلفوا الزراع ما قيمته مبالغ طائلة من المال

ومن الغازات التي استعملت في الحرب العامة الفتاك غاز الهيدروسيانيك وهو غاز سام تركب من الهيدروجين والكربون والنتروجين . وقد رأى الكيماويون ان يستعيدوا من استعماله في ايام السلم ، في ابادة الفئران والجرذان وما يعلق بفرائها من البراغيث القاتلة للطاعون وحمى التيفوس وقد نجحوا في ذلك

ولكن من خصائص هذا الغاز ، انك لا تستطيع ان تستدل عليه برائحة أو أثر خاص في الانسان . وكذلك يتعرض البحارة للموت به عند استعماله [illegible] الداخلة الى الفرقاء من الفئران وما يعلق بها من البراغيث . وفعلاً مات به غير واحد [illegible]

فما السبيل الى منع هذا الخطر على حياة البحارة ، من دون ان ينقص [illegible] العاملون والتيفوس كل ما تم في هذا الصدد ، ان الغاز الهيدروسيانيك القاتل [illegible] سلاح [illegible] جرب [illegible] . فكان الغاز الاول يمتنع بهذه الخيرة [illegible] وجوده فيتلي مستعمله شره

---

(١) غاز الخردل يسبب في الكحول وماء ويعمل الغازات [illegible] رائحة الخردل الحقيقية او البصل . وهو بطيء الفعل ولكن شديده لا يؤثر في [illegible] يتعرض له بحكة او حرق في جلده الا بعد [illegible] الغاز فقد [illegible] شكل القطرات الدقيقة على الطرق بالماء . واذا استنشق الفرد ٠٠٠ [illegible] الرئتين . وتأثر العيون فتفيض وتتلف [illegible]

وليس يخفى على حضراتكم أن غاز الكلور كان من أول الغازات السامة التي استعملت في الحرب الكبرى . وكان الالمان بادئين باستعماله . ثم جعل بعدئذٍ أساساً لمركبات غازية مختلفة سامة الفعل . والكلور غاز ثقيل أصفر اللون او ضارب الى الحمرة لهُ رائحة خانقة . فاذا استنشقت منهُ مقادير يسيرة أثر في أنسجة الحلق والرئتين وشعابهما ، واذا استنشقت منهُ مقادير كبيرة كان سبباً للموت ، ولذلك استعمل في ميادين القتال لابادة الاعداء

على ان لغاز الكلور خواص أخرى مما يجعله من أنبذ العناصر الصناعية . فهو من أقوى المطهرات اذا أضيف الى الماء قليل منهُ قتل ما فيهِ من المكروبات المرضية . واذا أضيف الى الماء الذي ترشُّ بهِ الشوارع قتل ما يكون فيها من الجراثيم كذلك

وقد اتيح لي من بضع سنوات ان ازور محطة شركة الماء بروض الفرج ، ورأيت فيها الاجهزة الدقيقة التي تخلط بالماء الذي تشربهُ كل يوم ، مقادير يسيرة معينة من غاز الكلور ، تنقضي على ما يكون باقياً فيهِ من المكروبات بعد ترشيحه بالمرشحات الاخرى . ومع ذلك لا تترك اي أثر كريه في طعمهِ . وهذه الخاصة في غاز الكلور قد جعلت الاقبال عليهِ عظيماً جدًّا في تطهير مياه المدن الكبيرة في العالم . ففي اميركا الآن اكثر من ٣ آلاف مدينة تستعملهُ لتطهير مياه الشرب فيها . ومجموع سكان هذه المدن يزيد على خمسين مليوناً من الناس . فقلَّت بعد استعمالهِ وفيات التيفود نحو ٧٠ في المائة عما كانت عليهِ قبل استعمالهِ . أما حيث لم يستعمل فلم تقل وفيات التيفود الا عشرة في المائة فقط وهذه القلة ناجمة من استعمال وسائط الوقاية المختلفة

ويستعمل هذا الغاز كذلك في المدابغ فتزال بهِ روائح الجلود الخبيثة . وقد يضاف الى مجاري المدن قبل اطلاقها في نهر او على شاطئ بحر فتؤمن أخطارها ، وخاصة على السواحل التي تستعمل أجوانها لاستحمام المستحمين . ولا يخلو أي مستشفى حديث من أسطوانة تحتوي على غاز الكلور مضغوطاً ضغطاً عالياً فيستعمل في تطهير الجروح . وتجرب التجارب الآن لاستعماله في حفظ اللحوم والاثمار بمنع الفساد من التطرُّق اليها

وهناك غازات أخرى تستعمل لمكافحة بعض الآفات الحشرية التي تصيب المزروعات او لوقاية دعائم أحواض السفن من نخر الديدان البحرية او رشِّها من الجو لاطفاء الحرائق

وكذلك ترون ان العلم يفتح العالم بمواد جديدة يلجأ اليها البحث فتستعمل لتقتيل الناس والفتك بالارواح من ناحية ولابادة الحشرات وتطهير المياه وعرقلة اعمال المجرمين من ناحية اخرى . فالعلم لا يتحمل اللوم في اساءة استعمالها وانما مردُّ ذلك الى اخلاق الناس وتربيتهم الروحية والاجتماعية .

السرطان والمرأة

للدكتور فيليب الدبس
كلية الطب بجامعة بيروت الاميركية

— ١ —

أقدم هذه الصفحات المختصرة إلى طبيب العائلة أولاً والى مرضاه من السيدات ثانياً

أما الطبيب الاختصاصي فله من اختباره وما يجده في المؤلفات المطولة وبطالعه في الجرائد الطبية ما يغنيه عمَّا فيها من الحقائق الاولية والعامة . والقصد من تقديمها الى طبيب العائلة تذكيره بما هو معروف لديه وتوجيه نظره إلى كل ما يتعلق بسرطان الرحم في أدواره الاولى كي يدقق في الفحص ويشجع النساء على مراجعته عند ظهور الاعراض الاولى في أعضائهن

وقد بذلت الجهد أن ابسط هذه الاوليات لكي يفهمها غير الاطباء من الناس فيزول الخوف المتسلط على بعض السيدات من هذا الداء موجهاً عنايتهن الى أن النجاح في محاربة داء السرطان يتوقف عليهن فالجانب الاكبر من هذه الاورام الخبيثة اذا عرف باكراً وعولج علاجاً تامًّا كان الشفاء منهُ تامًّا ولا يمكن أن يتعاون المريض والطبيب في شفاء علته ما لم يعلم المريض ولو بعض العلم شيئاً عن المرض وهذا ما حدا بي الى كتابة هذه الصفحات

— ٢ —

لممارسة الطب وجهتان فردية وعمومية . فمن الوجهة الفردية يقصد الطبيب طبيبه بشكو علة ما فيفحصهُ الطبيب ولا يترك وسيلة الاَّ ويستعملها ليصل الى معرفة اصل الداء وحل جميع اسراره ليتمكن من معالجته حسبما يقتضيه الفن وحسبما يوحي اليه ضميره واجتهاده

اما الوجهة العمومية فهي درس سبب المرض وطرق انتشاره واستعمال الوسائل الفعالة التي تمنع تفشيه . وفي كل حكومة من حكومات العالم دوائر تعنى بدقائق هذه الامور ويفضل هذه

المعرفة اصبح أكثر مدن العالم المتمدن خالياً من الاوبئة والامراض المعدية

والتعاون بين الطبيب الذي يمارس صناعتهُ من الوجهة الفردية وادارة الصحة العامة ضروري جدًّا وبفضل هذا التعاون اصبح بعض الامراض نادر الوقوع والبعض الآخر منحصراً في نطاق لا يتعداه والشعب هو الذي يستفيد من هذا التعاون . وقد غدا للرأي العام قيمة كبرى في مكافحة الامراض وهذا حمل الدوائر الصحية المختصة على إثارة الرأي العام بما تنشره بين الناس من المعلومات عن الامراض وعن كيفية الوقاية منها

من الامراض التي يعالجها الطبيب بكثرة وتعنى بدراستها الاوساط العلمية والدوائر الحكومية في العالم اجمع درماً دقيقاً داء السرطان. وذلك لانهُ كثير الشيوع وعدد الوفيات به تعد كل سنة بالالوف. وهذا الداء لا يزال في منطقة الطبيب المعالج فدوائر الصحة العامة لا تعمل الاَّ في تسهيل وسائط معالجته ومساعدة الاوساط العلمية مساعدة مادية وأدبية للوصول الى حقيقة هذا المرض وسببه ووسائل تجنبه وطرق معالجته

وبفضل هذه الجهود قد توصل الخبراء الى حقائق كانت مجهولة مع ان سبب الداء لم يزل سرًّا من الاسرار

***

ومن هذه الحقائق أن السرطان اذا عرف في أوله وعولج علاجاً تامًّا كان الشفاء منه أكيداً فمكافحة السرطان في الوقت الحاضر تنحصر في أمرين: الاول: أن يفحص الفرد فحصاً عامًّا في فترات معينة . والثاني : أن يكون الطبيب ممن يقدر أن يشخص المرض باكراً. وهذا أمر عسير اذا كان السرطان في الأعضاء الداخلية. ولكن اذا أصاب الاعضاء الخارجية فتشخيصه في أدواره الاولى ليس أمراً عسيراً . ومن الاعضاء التي تكثر اصابتها بالسرطان الرحم في النساء. ولما كان هذا العضو مما يسهل فحصه فحصاً دقيقاً كان في وسع الطبيب الخبير بالامراض النسائية أن يشخص الداء في بدئه . هذا اذا جاءت اليه المصابة حال شعورها بتغيير في أعضائها

وحسبنا إثارة الرأي العام عن هذا الداء وحثًّا على استشارة الطبيب عند ظهور الاعراض الاولى أقدم هذه الرسالة على أمل أن يتعاون الطبيب ومرضاه لمعرفة الداء في ابتدائه ومعالجته علاجاً أكيداً وبذلك ينقص عدد الوفيات بداء السرطان العضال

— ٣ —

﴿ داء السرطان ﴾ الجسم الانساني مجموع أعضاء مركبة من أنساج مختلفة وهذه مركبة من خلايا تختلف بعضها عن بعض باختلاف الانساج ولهذه الخلايا أعمار تقوم في أثنائها بواجبها ثم

تموت ويعوض عنها بخلايا أخرى وذلك بفضل خاصة الانقسام التي تتحد بواسطتها الخلايا ويتركب منها النسيج . وهذا الانقسام له قوانينه وأنظمته يسير دائماً بموجبها . غير أن بعض الخلايا في بعض الانسجة ينقسم ويتكاثر خارج الحدود الطبيعية

وهذا الانقسام والتكاثر يولدان ورماً يعرف بالسرطان . فالسرطان إذن ، مرض في خلايا الجسم فتكاثر الخلايا وتنمو نمواً غير سوي فيسبب هذا التكاثر تسمماً عاماً في الجسم أو تترك الخلايا مقرها الاول وتجري في الاوعية الدموية أو الليمفاوية وتستقر في محل آخر حيث تتكاثر وتنمو وهذا ما يجعل الداء إذا لم يعالج في أول الامر صعب الشفاء أو مستحيله ويؤدي حتماً الى موت المصاب به . أما السبب الرئيسي الذي يجعل هذه الخلايا على أن تنمو وتتكاثر فلم يزل مجهولاً غير أن هناك في بعض الاعضاء أسباباً مهيئة تجعل وقوع السرطان فيها أكثر احتمالاً من سواها وهذه الاسباب هي النسيج بأنواعه في الانسان وقد يكون هذا النسيج التهابياً او كبياوياً او رضياً . وأكثر الاعضاء عرضة لتأثير هذا النسيج ما كان منها بين نسيجين متقاربين — خلايا النسيج الواحد تتقارب شكلاً كلما قربت من خلايا النسيج الآخر كالغشاء المخاطي القريب من النسيج الجلدي كما في الشفتين ، وغشاء الرحم المخاطي حيث يتصل بغشاء المهبل المخاطي وغشاء المعدة المخاطي حيث يداني غشاء الاثني عشري المخاطي وهلم جرًّا

***

﴿ معنى كلمة سرطان ﴾ أول من وصف هذا الداء طبيب يوناني وسماه سرطان لان الاوعية الدموية التي كانت منتشرة حول الورم الذي وصفهُ تشبه أطراف هذا الحيوان . وقد قبل أطباء الرومان هذه التسمية غير أنهم أعطوه الاسم الروماني لهذا الحيوان وهو السرطان . وهذا هو الاسم الذي يعرفهُ العامة ويستعمله الاطباء عندما يتكلمون عن هذه الاورام الخبيثة . أما في الاوساط الطبية الخاصة فتستعمل مصطلحات يستدل منها على تركيب الورم الباثولوجي أي نوع الخلايا التي يتألف منها هذا الورم

***

﴿ أنواع السرطان ﴾ يسمي الاطباء السرطان باسم الانسجة والخلايا المركب منها . فان كان من الابثليوم سمي « ابثليوما » والابثليوم موجود في الجلد وغشاء الفم والحلق والمريء والمثانة وعنق الرحم . وان كان من الغدد سمي « الاندوتليوما » كسرطان الثدي والغدة الدرقية والمعدة والامعاء والبانكرياس والكبد والكليتين والبروستات وقبيلين وجسم الرحم . وقد يكون السرطان مركباً من الغدد ومن الابثليوم

أما نوع السرطان المعروف بالساركوما فيصيب العظام والغضاريف والنسيج الدهني والعضلات والنسيج الليفي والليمفاوي وما شاكل

وسرطان الجهاز العصبي معروف باسم كلايوما وفي الاورمة الخبيثة قد يكون السرطان مركباً من عدة أنساج وخلايا

قلنا سابقاً ان السرطان مركب من خلايا تتكاثر وتنمو بصورة غير طبيعية غير مفيدة بقانون التقاسم متعدية النظام السوي. وهذا التكاثر ان لم يعالج باكراً ادى الى موت المصاب. وهو درجات فمن الخلايا ما ينمو بسرعة عظيمة ومنها ما ينمو ببطء كلي لايشعر صاحبه بوجوده حتى ولو كان ظاهراً للعيان. ومما يلاحظ في تكاثر هذه الخلايا ان البعض منها بانقسامه يبقى مشابهاً للخلية الاصلية والبعض الآخر يختلف عنها كل الاختلاف . ومن هذا القبيل يمكن ان يقسم السرطان الى اربع درجات او أربعة أنواع

القسم الاول ما كانت خلاياه مشابهة للخلية الاصلية وهذه يكون نموها محدوداً وهذا النوع اقل الانواع خبثاً واقلها استعداداً للوصول الى الاعضاء البعيدة بواسطة الدم والاوعية الليمفاوية

الدرجة الرابعة حيث تكون الخلايا المركب منها الورم السرطاني عديمة الشبه بالخلية الاصلية وهي سريعة التكاثر والانقسام والانتشار وكثيراً ما تسير بواسطة الاوعية الدموية والليمفاوية الى الاعضاء المجاورة حتى والبعيدة كذلك

وبين هاتين الدرجتين نوعان النوع الثاني يقارب النوع الاول والنوع الثالث يقارب النوع الرابع. وهذه الانواع او الدرجات لا يعرفها الا الطبيب الخبير المدقق في التشريح الباثولوجي وأهمية معرفة هذه الدرجات هي معرفة انذار الداء ومبرء وتأثير العلاج فيه فالنوع الاول مثلاً بطيء النمو قابل للشفاء بعكس النوع الرابع

— ٤ —

سرطان الرحم

ان السرطان في النساء اكثر ما يصيب رحمهن وهو سبب وفاة العدد الكبير منهن كل عام وقد لوحظ ان معدل الوفيات بالسرطان بين ٤٥ — ٦٥ من عمرهن يقارب عشرين بالمائة الثلث منها اصابت في الرحم . والسرطان يصيب عنق الرحم وجسمه بمعدل ثلاثة

في علاقة السرطان بالعمر سرطان عنق الرحم اكثر ما يصيب النساء في العقد الثالث فما فوق وهذا لا يعني ان من كان سنهن اصغر سناً لا يصبن بالسرطان بل رحمه في ابدا

الثاني فما دون ليس كثير الحدوث . وسرطان جسم الرحم يصيب المرأة بعد ان يتقضى الثلث اي في العقد الرابع فما فوق

﴿علاقة السرطان بعدد الولادات﴾ من المشاهدات السريرية (الكلينيكية) ان السرطان اكثر ما يصيب النساء اللواتي حملن وولدن اولاداً وكما ازداد عدد الولادات ازداد الاستعداد لوجود السرطان ولكن ليست الولادات بحد ذاتها هي التي تهيء الاسباب لوقوع السرطان بل التمزق والالتهابات الموضعية التي تحدث على اثر هذه الولادات

﴿علاقة تمزق والتهاب العنق بالسرطان﴾ ليس هناك براهين قاطعة تمكننا من الجزم بأن السرطان يبتدىء اولاً في ندبة جرح قديم في عنق الرحم فالسرطان عند ما يظهر بوضوح يكون قد مرّ على ابتدائه زمن ماحتى ليصعب على الفاحص ان يعرف اين كانت بدائته . ولكن من الاختبار السريري (الكلينيكي) يمكن الترجيح بان التمزق والالتهاب في عنق الرحم يمهدان للتغيرات الهستولوجية التي تفضي الى نشوء الاورام السرطانية . وهذه المشاهدات شاهدها الكثيرون من الاطباء الذين يعالجون الامراض النسائية مع ان سبب السرطان الحقيقي لا يزال مجهولاً يمكن القول — اعتماداً على هذه الاختبارات — بان التمزقات والالتهابات الرحمية قد تؤدي الى نموّ غير طبيعي في الخلايا نتيجة تهيجات مستمرة ومزمنة

هذه هي درجات السرطان الاولى والتهيج المستمر والمزمن في اي جزء من اجزاء الجسم قد يؤدي الى ورم سرطاني . هذه الملاحظة قد أيدها معهد السرطان في جامعة كولومبيا في مدينة نيويورك ومن المهم ان يعرف ان التهيج الموضعي لا يولد سرطاناً بين ليلة وضحاها بل قد مرّ اعوام قبل ان يصل الى الدرجة التي يصبح فيها الشفاء صعباً فسرطان الثدي مثلاً حيث يظهر بوضوح يكون قد مرّ على ابتدائه أعوام لا تقل عن العشرة

﴿علاقة الوراثة بالسرطان﴾ إذا درسنا السرطان من الوجهة الوراثية درساً علمياً لم نجد أدلة صريحة على ان السرطان مرض وراثي ولكن عدة احصاءات تدل على ان السرطان كثيراً ما يقع في افراد العائلة الواحدة فهل يرث الخلف عن السلف الاستعداد للاصابة بالسرطان او يرث الخلية التي مرّ عليها السرطان بسبب ما

لحد الآن لم يتمكن العلماء من الاجابة عن هذا السؤال ولكن الحقيقة الواقعة لا يمكن انكارها

***

(المقتطف) — وفي الفصل التالي يتناول الكاتب الطبيب اعراض سرطان الرحم وتشخيصاً وسيره وعلاجه

حديقة المقتطف

بعد الشباب

للدكتور ابراهيم ناجي

الغفران

للشاعر الفرنسي سيبر سليم الفرنسي

مقتل الحصان

للشاعر البترى الانساني فكتور هوجو

السيد ربيع

هو الشاعر الفرنسي المعروف بروسيد للاشعب

[نقلها احمد أبو الخير مشرفي]

بعد الشباب

للدكتور ابراهيم ناجي

ذهب الشباب فلتبكِ بعد ذهابهِ تذكين ما أطفأته بيديكِ

إني لتفحمني الفسائم كلما خلتها حُرّق الشوق لديكِ

ألقى لها وهجاً على خديكِ وأرى لها جمراً على شفتيكِ

لا تدمعي نظراً اليها فهي التي جعل الهوى قدراً على كفيكِ

ما كنتِ تبغين لعينك ملعباً إلّا رأيتُ صباي في عينيكِ

الغفران

للشاعر القروي بشير سليم القوسي

أمسِ عند الصباح أشدو حبوراً ... لا أرى علّة لفرط حبوري

مرسلاً وحشةَ الفضاء كأني ... نبأٌ طيّبٌ سرى في الأثير

رعشة وجنتي للورد خجلٌ ... عائمٌ فوق موجة من نور

أتهادى بين الغصون كغصن ... وأُغنّي العصفورَ كالعصفور

صحتُ: ربي! أزال عهدَ شقائي ... أم أراني في عالم مسحور

وإذا وردةٌ كوجنة طفلٍ ... جنبها شوكةٌ كناب هصور

[illegible] ... [illegible] المرور

[illegible] ... بالعفو غلفات في سريري

[illegible] ... بشرة من ضميري

[من مجلة الاخاء ٢ الناصرية]

سقوط الحصان

(الشاعر العبقري الانساني فكتور هوجو)

الحجلة الثقيلة من فوقها جلمود [1] حجر عظيم .
والحصان من تحتها قد اقتحمه بثقله الثقيل ،
يجر ، والحديد يسحقه يسحل ضرباً ، والحصباء الملساء
تطوح تحت ، والحصان المكروب ذعر الفؤاد
يجر ، ويرسف [2] ، ويئن ، ثم يجر ثم يقف .
والسوط الأسعم [3] فوق رأسه يصفر
هذا يوم الاثنين ، أمس كان الرجل يحسو الخمرة في البورشرون [4]
خمرة تغرّه صخباً واهتياجاً وسباباً .
ياعجباً ! مايكون ليت شعري ذاك القانون الرهيب الذي يُسلم
الحي الى الحي والبهيمة المذعورة الى خمرة من الناس !

***

والحصان المسكين لا يستطيع أن يحطو بقدميه ،
يشعر بطائفة من الآلام تنهش فؤاده نهش الذرى ،
تحت هذا الجسور الذي يركبه ، والسوط الذي يلهبه ،

---

(١) حجر كبير الى مستدير تحدره الجبال ويتخذ منه المقذف المثقل (٢) الشديد السواد
(٣) أسم حالة محذوفة

مريني منه الجلد ، وما عسى يبقي منه الرجلُ

والحوذي ليس سوى وابل من سياط

تنهمر فوق السجين [٤] الذي يسحب مِقْوده ،

المعذب الذي لا يعرف راحة ولا يوم أحد .

إذا السوط تمزقت خيوطه يضربه بمقبضه ،

وإذا السوط تكسر يركله برجله .

والجواد مرتعداً ، زائغ البصر رازحاً ،

يخفض عنق حزين ورأس منذهل .

ويُسمع لبطن الحصان الصامت المسكين تحت ضربات نصل الرجل ذات الحديد ،

يُسمع لبطنه الجاري رنين شديد .

* * *

يشهق ، ومنذ قليل كان لا يزال يتحرك ،

ولكنه لم يعد يبدي حراكاً وقواه تبددت .

والضربات متساقطة عليه ملهبة . يحاول لدى النزع

آخر جهد ، ولكن رجله زلقت

فهوى فاذا هو تحت « الشريش » جاثم

[نقلها احمد أبو الخضر منصور]

---

(٤) شبه الشاعر الحصان المحكوم عليه بالاشغال الشاقة المؤبدة من شاق الاحصان وصور تعسفه

السيد ربيع

منظومة بديعة في وصف الربيع

بقلم الشاعر الفرنسي المعروف برنسيير بلانشمين

السيد ربيع شيخ مسن ،
لا يفتأ متهرجاً متهجاً ذا مرح ،
يرتدي ثوباً جبلاً اخضر
ولست تلقاه في راحة ابداً
يطل من النافذة
اذا شهر ابريل اقبل ،
ويقول بصوت مرتفع : « كيف حال الجو ؟ »
آن ان نظهر ... »

يا سيد ربيع يا سيد ربيع
عد الينا وليطل مكثك بيننا !

***

ها هي لآلىء الندى
تتألق في كل موضع فوق الكلاء ،
في الغابات حيث تغرد الشحاريز
والاوراق تفتح سجونها
والعصافير تشدو بالغداة شدوها
وتقول لي صباحاً أيها الشمس ،
وهي تصيح : « حا ساعة اليقظة قد حانت .
فلتضحك ، ولتغرد ، ايها الرفقاء ... »

يا سيد ربيع ، يا سيد ربيع

عد الينا وأطل مكثك بيننا !

***

والسيد ربيع من حجرته ،
يقول لها : «لا تصحن اني خارج
يا عجباً لكن ! اني آخذ زينتي :
بعد هنيهة اكون خارجاً ،
اني البس ثوب الاحد ،
جديداً من يدي الخياط تسلمته
ومطرزاً من كل لون
لدى الطوق وعلى الاكمام »

يا سيد ربيع ، يا سيد ربيع
عد الينا وأطل مكثك بيننا

***

هاهو السيد ربيع يتحرك
ما أشد مرحه ! ما أصفى دخيلته !
لكم تطابق صدرته المخملية الحمراء
ثوبه الاخضر !
يداه مملوءتان بالازاهر
يطلقها في رؤوس المؤمنين !
له بيض الاقاحي
[illegible]

ياسيد ربيع ، ياسيد ربيع
امكث لدينا أيضاً واطل مكثك بيننا !

نقلها أحمد أبو الخير مكي !

سير الزمان

يقظة العرب

ألفهُ بالانكليزية جورج انطونيوس

طلائع اليقظة الفكرية

الجمعية السرية الاولى

مراسلات مكماهون : حسين

الوعود ونقضها

مصير فلسطين

يقظة العرب[1]

ألفهُ بالانكليزية جورج انطونيوس

تمثل مشكلة فلسطين الآن في الصميم من عناية الحكومة البريطانية وتتأثر بعناية الصحافة في الشرق والغرب ، وتتصل عن طريق اضطهاد اليهود في المانيا وأوربا الوسطى بحلبة السياسة العالمية ، ومن ناحية الشعور العربي القومي المتنبه الغيور على كرامته وحقوقه بالبلدان العربية المستقلة جميعاً في الجزيرة ومصر وسورية والعراق . والمشكلة الفلسطينية على ما فيها من عُقَد وعلى ما جرَّتهُ فيها السياسة الخاطئة من خسائر في الاموال والرجال ليست الاَّ جزءاً من مسألة أعمّ وأوسع نطاقاً هي مسألة النهضة القومية العربية منذ نشأتها في مستهل القرن التاسع عشر . فقضية العرب ومشكلة الوطن القومي في فلسطين لا يمكن ان تفهم على وجهها الصحيح ولا أن يدبر لها حلٌّ معقول يتفق ومنطق الجغرافية وحقائق الاقتصاد والاجتماع وتوازع النفوس الاَّ اذا ربطت يقظة العرب من جميع نواحيها

لذلك لا يتردد كاتب هذه السطور في ان ينبِّه على المستر مكدونلد وأقطاب دوينهول قراءة هذا الكتاب قبل عقد مؤتمر لندن المرتقب

ان كتاب الاستاذ جورج انطونيوس يعالج موضوع نهضة العرب او يقظة العرب معالجة سداها العلم ولحمتها الانصاف . فهو دقيق في تحرِّي الحقيقة متزن في عرضها صريح في اصدار الحكم محافظ على النظرة الشاملة عند عنايته بتفصيل الشأن الخاص نافذ النظر في الناحية النفسية والاجتماعية التي من وراء العهود والمعاهدات السياسية والعسكرية . وكل ذلك في أسلوب انكليزي جمع بين الفكاهة والجزالة والقوَّة حتى ليخيَّل اليَّ ان « يقظة العرب » يجب ان يوضع بين أبلغ ما كتب بالانكليزية عن العرب وبلادهم

أقبل المؤلف على عمله ولهُ من علمه وخبرته وتوقه الشديد الى علاء الحقيقة أيَّما كانت عدة وافية للاضطلاع بمهمته ، مهمة تأريخ النهضة العربية

فهو أولاً عربيٌّ تفتح أمامهُ ابواب من العلم موصدة في وجوه كتَّاب الفرنجة . فالصحف العربية والوثائق العربية والاتصال بأقطاب العرب بوصف كونهِ رجلاً منهم يكلمهم بلسانهم ويبين ما بخاطرهم في ثنايا الكلام لانهُ صدى لما يموج في صدره ، مباحٌ لهُ متعذر على غيره من

(1) The Arab Awakening, By George Antonius, Hamish Hamilton, London. 15/-

بناء الغرب . وغنيٌّ عن البيان انهُ يستحيل على المؤرخ الانصاف والعدل في وصف رأي العرب الاَّ اذا استطاع ان يعرف كل ما يقولون في تعزيزه والدفاع عنهُ

وهذا ثابت في غير صفحة واحدة من صفحات الكتاب . فالرسائل التي تبادلها السر هنري مكماهون والشريف حسين من الاصول التي لا غنى عنها في دراسة القضية العربية ، ولاسيما قضية فلسطين ، من ناحيتها السياسية . ومع ان هذه الرسائل نشرت كلها او جُلها في الصحف العربية الاَّ انها ظلَّت محجوبة عن كتَّاب الغرب لان الحكومة البريطانية أبت ان تذيعها . فكيف يستطيع كاتب ان يقول ان فلسطين لم تكن داخلة في النطقة التي شملتها تلك المراسلات وهو لم يطلع عليها ؟ وقد ردَّ الاستاذ انطونيوس في كتابه هذا الزعم ردًّا لا سبيل الى الطعن فيهِ . ولهذا حديث آخر في ناحية اخرى من هذا المقال

ثم ان المؤلف عاصر لجلَّة حوادث العهد المتأخر من النهضة العربية ، متصل باقطابها من الفريقين — فريق العرب وفريق الانكليز. مشترك في بعض المفاوضات الخطيرة مع الملك حسين والملك عبد العزيز آل السعود بعد انتهاء الحرب الكبرى. فمهَّد له ذلك ان يجيء في كتابه باشياء لم تعرف قبلاً او هي لم تعرف معرفة تامَّة فاستوفاها فألقى عليها ضوءاً جديداً او كانت معروفة فلم تنشر مستندة استناداً لا مطعن فيهِ . مثال ذلك اقوال وآراء للحسين وعلي وفيصل وغيرهم من الاقطاب. ولعلَّ اهمها شأناً ذلك التصريح الشفوي الذي ذهب بهِ السكوماندر هوجارث الى الملك حسين بعد ما سمع الملك بمعاهدة سايكس بيكو — وهي تالية لعهود الانكليز لهُ مناقضة لبعض نصوصها — وطلب تفسيراً لما سمع ، فدوَّنها الملك حسين في مذكراته واذن للمؤلف الكتاب بنقلها فنقلها وترجمها وضمَّها الى ما جمعهُ في الشام والعراق والجزيرة من الحقائق التي مكنتهُ من الوصول الى حكم لا يُردُّ في حقيقة وعود الانكليز وحنثهم بها

ثم انهُ راجع المصادر الرسمية المباحة للمؤلفين في مكتب الوثائق بوزارة الخارجية بلندن حيث عثر في جملة ما عثر عليهِ على رسالة طال تشدادهُ لها ، وهي منشورات الجمعية السرية التي انشئت في بيروت سنة ١٨٧٥ للسعي في سبيل تحرير العرب من نير الترك . ذلك بانهُ عثر في تلك الاضابير على تقارير القناصل الكثيرة في بيروت لذلك العهد فوجدها تحتوي على نص منشورين من منشورات تلك الجمعية وعلى منشور اصلي . وقد يقال ان البحث عن نصوص هذه المنشورات امر لا شأن لهُ يطلبهُ المؤرخ ليزين بها ما يقول لا لان لهُ قيمة حقيقية في سبيل ما يؤرخ . الاَّ ان هذه النصوص كانت فعلاً كثيرة القيمة عظيمة الشأن . فالجمعية كانت سرية . وما يعرف عنها كان يسيراً يؤخذ بالتناقل . وأغلب اعضائها ذهبوا الى لقاء ربهم . الاَّ ان الدكتور فارس نمر باشا ، وهو احد اعضائها الاصليين روى للمؤلف قصة نشأتها وبيان اغراضها فلما سئل في نصوص تلك المنشورات

التي كانت تعلّق على جدران المدينة في الليل خانتهُ الذاكرة ولم يشأ ان يقول شيئاً ليس بمستوثق منهُ . ولكن المنشور على هذه النصوص لازم لانها تبين مدى الاهداف السياسية التي كان اعضاء تلك الجمعية يتطلعون الى تحقيقها، فوجدها المؤلف في لندن . وقد كان احدها بيتاً من الشعر من بائية الشيخ ابراهيم اليازجي المشهورة وهو : —

لِنطابنٌ بحدّ السيف مأربنا فلن يخيب لنا في جنبهِ طلبُ

والمنشور الآخر يحتوي على برنامج سياسي اساسه استقلال سوريا المتحدة والاعتراف باللغة العربية لغة رسمية والغاء المراقبة وغيرها من القيود المفروضة على حرية الرأي والاعتماد على المجندين السوريين للخدمة العسكرية المحلية

***

ولم يقتصر المؤلف على تأريخ العهد الحديث من نهضة العرب اي منذ اعلنت الثورة العربية في الجزيرة في يونيو سنة ١٩١٦ . بل ارتد الى نشأة النهضة في مستهل القرن التاسع عشر ، وتتبع الجداول الصغيرة من منبعها الصافي في نفوس المتعلمين الى حيث تفيض في ظل الاستبداد ، ولكن الجداول ما لبثت ان تلاقت وتجمع ماؤها فتحولت غدراناً ثم اصبحت الغدران في اثناء الحرب العالمية أنهاراً متدفقاً يشمل العرب في سوريا والجزيرة والعراق

لكل نهضة من النهضات القومية اصول فكرية ترتد اليها وتنبثق منها . وكذلك نهضة العرب. فؤرخها الذي يهمل ذلك يضل السبيل ويبني على الرمل . إن الثورة الفرنسية لا تفهم بغير ديدرو وروسو وفولتير، والثورة الارلندية لا تدرك حقيقتها بغير هايد ورولير بطلر ييتس وغيرهما من اقطاب الاحياء الادبي باللغة الارلندية . وكذلك النهضة القومية في بلدان البلقان جميعاً . فقد سبق كلاً منها او صاحبها تنبه فكري وبعث ادبي

وقد عني الاستاذ انطونيوس بهذه الناحية من يقظة العرب عناية خاصة . فاحسن واجاد. فكتب تاريخ حقبة من البعث الفكري في لبنان وسوريا ، اصبحت حقائقه غامضة على الجيل الجديد لبعده عنها مع ان تيارها القوي لا يزال يجري في عروق حياته اليومية . فتتبع نهضة الاعمال العلمية في لبنان وسوريا في مستهل القرن التاسع عشر كما تبدو في اعمال المرسلين الاجانب الاول من اميركيين وفرنسيين وفي اعمال الوطنيين وقد خص بالذكر في ذلك احمد فارس الشدياق ونصيف اليازجي وبطرس البستاني واثرهما واثر تلاميذهما في احياء الارث الادبي العربي، وانشاء المدرسة الوطنية وتأليف الكتب المدرسية باللغة العربية وتأليف الجمعيات العلمية والادبية فكان من اثر ذلك كله ايقاظ الضمير القومي العربي

هذه الحركة العلمية الادبية « نبّهت أذهان القوم الى أهوال جمودهم المنوي وأشعلت نار الحماسة في نفوس الذين كانوا يرون ان مردّ مصائب البلاد الى البغضاء المذهبية التي ترتع في الجهل فأفضى ذلك الى تجديد السعي لانشاء المدارس وعقد العزم على تحطيم الحواجز حواجز الجدال المذهبي العقيم وليس أقل تأثيرها شأناً ان دفعت جماعة من المفكرين الشبان الى الشروع في تحريك الهمم لتحرير بلادهم من الحكم العثماني . كانوا تلاميذ اليازجي والبستاني ، الجيل الاول الذي ترعرع على التراث الثقافي المستردّ . وفي تأملهم جماله وروعته اقتربت أذهانهم من الروح العربية فأحسّوا بحرارة شبوبها للحرية . كانت بذرة الوطنية قد بذرت ، فقامت حركة مصدرها وحيها عربيٌّ . واهدافها قومية لامذهبية . كذلك ولدت الحركة القومية العربية ... » وقد ظلّت خلال الاربعين السنة التالية ضعيفة عاجزة ولكنها كانت « حية سائرة في سبيل النماء الى مصيرها المحتوم على أجنحة الادب المبتعث » .

الاّ أن معاهد التعليم الاجنبي التي نبّهت القوم الى العلم فبذرت بذرة القومية العربية ، مالبثت حتى تعدّدت رُطبُها ومذاهبها ، من روسية وانكليزية وايطالية جنباً إلى جنب مع الاميركية والفرنسية ، فسرى الضعف الى النهضة القومية في بعدها عن طريق الانقسام بين المتعلمين في هذه المدارس ، فانتقل لواء النهضة العربية الى مسلمي البلاد وفي مقدمتهم في ذلك العهد عبدالرحمن الكواكبي صاحب « أم القرى » و« طبائع الاستبداد » وما فتىء في أيديهم يعاونهم في رفعه واعلاء شأنه فريق كبير من المسيحيين

***

يقسم الكتاب بوجه عام ثلاثة أقسام عامة أولها يتناول النهضة العربية منذ نشأتها الى نشوب الحرب الكبرى وحديثها في هذا العهد هو حديث النهضة العلمية والادبية في البلاد والجمعيات السرّية التي اشترك فيها المسيحيون والمسلمون والدروز وكيف واجه الضمير العربي القومي المتنبه استبداد عبد الحميد وتحكم رجال تركيا الفتاة — بعد فترة قصيرة لمعت فيها بوارق الامل بامكان التعاون بين العرب والترك على أثر الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٨ واسقاط عبد الحميد سنة ١٩٠٩ — وفي ماتقدم قليلٌ مما يدلك على طرافة البحث في هذه الفصول

***

أما القسم الثاني فخاص بمقدمات الثورة العربية والمكاتبات التي دارت بين الانكليز واقطاب العرب ثم سيرة الثورة الى ان دخل العرب دمشق في اوائل اكتوبر سنة ١٩١٨

هنا قصة يطرب استهلالها وتفجعك خاتمتها . هنا تحليل الوعود التي قطعها الانكليز للحسين منحاً بعون العرب العسكري في مؤخرة الترك ثم قصة الحنث بها

تبدأ قصة المفاوضة بين العرب والانكليز في شهر فبراير من سنة ١٩١٤ إذ كان اللورد كتشنر عميداً لبريطانيا في مصر . وكان الامير عبد الله نجل الحسين في القاهرة في طريقه الى مكة المكرمة فزار الاميرُ العربي العميدَ البريطاني ، وفي خلال الزيارة — وكان السير رونالد ستورس السكرتير الشرقي بدار العميد حاضراً — بسط الامير العربي حالة الخفاء بين السلطات التركية ووالده الحسين شريف مكة وما قاله انهُ علم بأن حكومة الاتحاديين قد عزمت على عزل أبيه ولمح الى انهُ اذا نفذت هذا العزم فالغالب ان تشبَّ ثورة في الحجاز . فكان ردُّ كتشنر مبهماً مشبطاً . ومما قالهُ انهُ يرى أن قاعدة الخطة التي جرت عليها تقاليد السياسة البريطانية هي الصداقة التركيا وانهُ ليس من المحتمل ان تتدخل حكومتهُ اذا نشبت ثورة

الاّ ان كتشنر أدرك ان عند الامير أشياء أخرى يريد البوح بها فعهد الى ستورس في زيارته بعد يومين ليتيح لهُ التوسع في الكلام وكذلك كان

ويرى المؤلف ان الشأن الذي يتعلق بهذه المحادثات مستمدٌّ من كونها جاءت عند ما كان كتشنر نفسهُ يفكر في الموضوع . فما لا ريب فيه ان واجبهُ الاول كان ينحصر في مصر والسودان . ولكن نظره كان يتعدى حدودها . ذلك ان قيادتهُ لحملة السودان ولجيش البريطاني في الهند وفهمه للمشكلات التي تواجهها القوات البريطانية عند حدود الهند الشمالية الغربية كانت قد هيأت له الاتصال بقوة الاسلام المحاربة وأدرك ما للرابطة الدينية الاسلامية من خطر الشأن السياسي . وفي اثناء اقامته في القاهرة كانت عينه متجهة دائماً الى الاستانة مقر الخلافة . فلاحظ استفحال النفوذ الالماني والتقدم الخطير في مد سكة حديد بغداد . فأحس بما في ذلك من تهديد موجه الى مقام بريطانيا في خليج فارس والهند . وكان لا يخفى عن المفرين اليه ان السياسة البريطانية كانت قد اخطأت في تسليمها بقيام النفوذ الالماني السياسي العسكري في عاصمة الدولة العلية ، ولذلك كان دائم التفكير في خير السبل الى مقاومة هذا الخطر

وليس المقام هنا مقام تفصيل للموضوع فمن أراد تفصيلاً فليطلبه في مظانه ، وصفحات هذا الكتاب على ايجازها من خيرها . ولكن المهم ان محادثات الامير عبد الله مع اللورد كتشنر وبمستر ستورس كانت رأس الامرين — على ما يقول الافرنج — التفت من خرائبه دولب الحرب في الاستقلال ورغبة الانكليز في صد الخطر الذي يهددهم من ناحية خليج فارس والهند

فلما نشبت الحرب الكبرى تجددت المفاوضة بموضوع منه على سؤال وجهه السير ستورس الى كتشنر (وكان قد عين وزيراً للحربية) . وؤداه « أتأذن لي في ان اتحقق من الامير عبد الله الى اية جانب ينضمُّ العرب اذا خاضت تركيا الحرب لانا اذا صرفنا النظر عن الاعتبارات العامة يكون انضمامهم الينا معززاً لمؤخرتنا »

ثم أبدأ في نقد مصطلحات العلوم والاحياء دون غيرها وأوجيء الباقي لفرصة أخرى

مصطلحات علوم الاحياء وهي ٣٣ مصطلحاً لم اجدفيها إلا الكرياً واما الفضل الكروي كما قال المجمع في العلوم الرياضية والكري جائز لكنني افضل الكروي ثم ان الكلمة الثانية التي اعترض عليها قولهم القصيبة . ولا يخفى ان الكلمة الانكليزية التي ترجمت بالقصيبة ذات معنيين الاول في شبكة العين ذكرها كل من النجاري بك والدكتور شرف بك وسميناها العُصية وهذا المعنى نادر جداً والمعنى الآخر وهو الشائع جرثوم معروف فلماذا نترك المعنى الشائع ونتمسك بالنادر والمعنى الشائع وضع له اليازجي كلمة الابوبي والابوب على ما في القاموس دبين القضيب ووضع له اساتذة المعهد الطبي في دمشق كلمة عصية ذكرها الدكتور حسني سبسبي في معجمه الملحق بالامراض الباطنية. اما الابوبي فذكره كل من الياس انطون الياس وخليل سعد في مفتته وهذان التفظان اصلح من القصيبة . فهذه معناها العود السريع الانكسار والعصية خالية من ذلك

وقد يسرني قولهم الكلس فهي احسن كثيراً من الجير الشائعة في مصر وقد يكون الجير تصحيف الغير وهذا البحث لا محل له هنا

ثم القسم غير الرسمي وفيه المقالات والاقتراحات ويجب ان لا ينظر الى هذا القسم كأنهُ صادر من المجمع وان كان معظم الناس يظنونه كذلك فالقسم الرسمي فقط صادر من المجمع ومما جاء في هذا القسم ص ١٥٦ في اصطلاحات علوم الاحياء ما نصهُ : طائفة مشروحة عما اقره المجمع في دور انعقاده الثالث عني بشرحها الاستاذ احمد العوامري بك عضو المجمع واسماعيل مظهر افندي الموظف به ولما كان هذا القسم غير رسمي والمداعبة تحلو فيه فاني سأداعب السيد اسماعيل بعض المداعبة او المائة وهو الصديق القديم وطالما داعبني وداعبته ولا سيما في علوم الاحياء

في الصفحة ١٦٠ اصلح ما يأتي ، واما الشحم والدهن فسأعود اليهما في فرصة أخرى بل افترض هو قولك الدهن وكان يجب ان تقول الشحم وهذا ليس فرضاً عليك بل انت مخير فيه اذا شئت او هو واجب او مستحب . ثم قلت هناك في طائفة من الحيوانات البونة انها من التدية واذكر اني في مقتطف يونيو سنة ١٩٣٦ نسبت البونة وبينت الاسباب وانت نضنت التدية . فالبونة قالها وزلل واخذها عنهُ صاحب المقتطف ثم اخذها عن المقتطف جماعة من الادباء منهم طبيب مشهور في مصر اسمهُ الدكتور محمد عبد الحميد بك فقد قالها في المقطم بالامس وطبيب آخر اسمهُ الدكتور نجيب محمود ذكرها في كتاب اصول الطب البيطري والدكتور حسين زكي في الرسالة قالها عن الاطوم في عدن في العدد ٢٥٣ من مجلة الرسالة واظنك قرأتها لان لك مقالة في العدد عينه وقالها ادباء كثيرون في بيروت ودمشق وبغداد ولست في حاجة الى اثبات شيوعها . ثم انهُ ليس لهذه الطائفة

الاداء منها القشر والابوسوم وغيرهما فان لم تستحسن ذكر زلزل فانسبها الى المقتطف واحد منشئيه عضو الآن في المجمع راجعن تحرير المقتطف ذكرها لايام مضت . فلا تقل بعد الآن ندرية نبذه من ايام فلاوون او بن طولون . كذلك طائفة اخرى سميت الزواحف وانا قلت الزحافات بصيغة المبالغة نقلاً عن الاب انستاس المنشور في المجمع ثم تحول الى الصفحة المقابلة فتجد هناك الزلال وهي عامية او مولدة لم اعثر عليها الا في كتاب كامل الصناعتين في الطب البيطري . وقلت ان الصواب الآح او بياض البيض . فغير الزلال اكراماً لي ولصاحب التاج فقد ذكرها في المج وقد كان اماماً في اللغة رحمة الله عليه

ثم انتقل معي ايها الصديق الى ص ١٧٧ فتجد هناك القسيمة الصبية الذكر وقد تقدم انها لاتصلح بتاتاً وان الانبوبي والقصبية اصلح منها كثيراً

أما التصنيف فأنت حرٌ في التصنيف الذي يطيب لك . أما أنا فقد ذكرت تصنيفي في معجم الحيوان وأني لا أرى التصنيف كما يشؤون بجمع اللغة فالاعضاء من جهابذة اللغة ومع شدة احترامي لك ولهم فانهم ليسوا من الاحيائيين أو من علماء المواليد ولا أنت منهم بل ربما لايمرنون عنها شيئاً وانما أقول ان تصنيفي منصوب فيه فكل كلمة فيه مكتوبة بعد البحث الدقيق فلك ان تخالفني فيه أو في بعضه وما يأتي هو بعض مخالفتي فيه وما قلت في معجم الحيوان فالاولى هو ما قلتهُ في معجم الحيوان ص ١٦ وما يليها ثم تصنيفك في أماكن مختلفة من مجلة اللغة أشير اليها بالصفحة

رتبة . مجمع الفصائل المتشابهة (زلزل) Order

هذا ما قلتهُ في معجم الحيوان وقد نسبتهُ الى زلزل لاني وجدت تعريفه أفضل تعريف ولكنهُ ليس لزلزل بل هو أقدم تصنيف فهو الموالبدي المشهور أحد ندى ذكره في كتاب الآيات البيِّنات في علم الحيوانات وأخذه عنهُ بوست وعلي رياض وزلزل وغيرهم فان علماء تلك الايام كانوا أكثر تساهلاً مما نراه الآن فيأخذ الواحد ما للآخر متى كان الاصطلاح صحيحاً . أما انت أيها الصديق فقد خالفتنا جميعاً لا لسبب بل لتقول انك مخالف فسميت الرتبة قبيلة ص ٥٥ من المجلة وسمَّيت القبيلة بعد ذلك . فهل تريد انهُ اذا أتعم عليك جارك الملك بوسام او رتبة ان يقال أنعم على اسماعيل مظهر بالقبيلة الفلانية من الدرجة الفلانية فانهُ يجب ان يكون تناسباً بين الالفاظ المختلفة باختلاف المعاني

قبيلة Phylum

هي في الاحياء قسم من أقسام المملكة أفرادها من أصل واحد والفظة يونانية معناها قبيلة

والقبيل بمعناها وجمع القبيل قبل وهو غير مأنوس بهذا المعنى ويحتاج الى الجهد الفكر وتفسيره في الاستعمال أما القبائل ففي غنى عن ذلك

هذا هو التعريف بنصه على ما ورد في معجم الحيوان . وانك تذكر في السنة التي قبل الماضية انك قلت في المقتطف قبيلة وجمعتها على قبل فداعبتك مداعبة لا أظنك نسيتها فجئتنا الآن بالامة صفحة ١٧٠ من المجلة ولا أدري من أشار عليك بذلك . وسأبين لك في ما يلي انه لا يمكن غير القبيلة فان كلة قبيلة قديمة في اليونانية وكانوا يجعلون كلة ثانية منها هي فلارخ ومعناها رئيس القبيلة او زعيمها وكانوا يستعملون هذه الكلمة أي فلارخ على الطريقة الانكليزكسونية للملك العرب أيًّا كان مثل امرىء القيس وكل ملك من ملوك غسان . أما الملك عند الروم على ما نعلم فهو باسيليوس لكنهم ما كانوا يستعملون هذه الكلمة الاَّ لهم لانهم شعب الله الخاص وكان جميع ملوك العرب فلارخ كما تقدم أي رئيس القبيلة او زعيمها

طائفة Class

جماعة كبيرة من الاحياء دون القبيلة وفوق الرتبة وقالوا أيضاً قسماً وانقسم غيرذلك وقد تقدم . وقال أساتذة يروت صفًّا لان الصف عندهم للتلامذة بمعنى سنة دراسية واحدة . وقال أساتذة الترك صنفاً وهذه لا بأس بها لولا ان الناطقة استعملوها بمعنى آخر سيأتي ذكره . وقال الدكتور زلزل طائفة فاختار المؤلف هذه اللفظة وكنت أود لو قال طبقة ولكن طائفة سابقة لذلك

أما أنت فقلت أولاً في المقتطف الصف ولم تقل ذلك الاَّ لمخالفتي ثم عدلت عنهُ الى الشعب ص ١٧٠ من مجلة المجمع ولعلك أو امل الذي أشار عليك بذلك أحب ان تكون المقولات من الجماعات الواردة في كتب اللغة أو ليست الطائفة من هذه الجماعات ولعلك لما رأيت اسم زلزل واسمي نفرت منها وأنا لا أعهد فيك ذلك أيها العزيز فالطائفة أحسن ولو أن زلزل قالها وأنا اخترتها

باب Category

اصطلح المؤلف على باب كما في بعض الامثلة المتقدمة ولا بأس به قبلنا فصل . أما في المنطق فتقول ومقولة والمقولات العشر أشهر من ان تذكر

قلت وكنت أفضل ان أقول مقول ومقولة كما في المنطق لكن رئيس تحرير المقتطف اعترض على هذه الكلمة لغرابتها فاستعضت عنها بالباب والمقول والمقولة أفضل لانها ترجمة الكلمة المنطقية وقد استعملها زلزل وهو من كبار الموالدين

أما السيد اسماعيل فضرب بهذا عرض الحائط وقال طبقة والكلمة الحقيقية مقول ومقولة

صورة رائعة الزبق — تصوير بريتشاخ

باب الأخبار العلمية

تصوير ما يُشَمّ

من زهر الورد وحب المسك

تضع حبة المسك في غرفة فتشمّ رائحتها في تلك الغرفة يوماً بعد يوم، وسنة بعد سنة وهي لا ينقص ثقلها شيئاً محسوساً. ولا تفوح رائحتها في هواء الغرفة كلّ هذا الزمن الا اذا خرج شيء منها كل يوم وكل ساعة وانتشر في هواء الغرفة المتجدّد فيصل الى الانف ويؤثر فيه. فما هو هذا الشيء الذي يخرج من حبّة المسك؟ أغاز صادرٌ منها أم اهتزاز في الاثير كاهتزاز الضوء أم جزيئات دقيقة تحمل الرائحة او هي الرائحة نفسها؟ هذا ما لم يتفق عليه العلماء إلى ان جاء العالم الفرنسي « ديفو » Devaux فأثبت بالبرهان العملي المصوّر صحة الرأي الثالث

ذلك ان زوار المعرض الدولي للجمعية الملكية للتصوير الضوئي بلندن في الصيف الماضي وقفوا امام صور غريبة لا شكل لها ولا قوام ولا صلة لجسم معروف فكأنها خيالات احلام او اوهام حشاشين. وعندما امعنوا النظر فيها رأوا تحتها وصفاً أحرف دهشة اذ علموا انها صور ضوئية لروائح معينة منها رائحة الورد ورائحة الزنبق وغيرهما وان المصوّر يدعى بريتناخ وانهُ صوّر بها تجارب علمية يقوم بها الاستاذ « ديفو »

والاستاذ ديفو شيخ وقور تجاوز الطلعة قضى اربعين سنة باحثاً عمّا نشمه عند ما نفتح زجاجة من العطر، وعندما نقرب من انفنا قرنفلة او زنبقة او حبة من المسك او قطعة من الكافور أو بيضة نقلة او قيراً مصهوراً. فهو زعيم علم جديد لا يزال في مهده يسمّى علم الروائح ويعرف باللغات الاعجمية باسم « لاوسميكس » واصله كلة اوسميل Osmy التي تطلق على كل جسم له رائحة. وتجاربهُ هذه اثبتت اثباتاً قاطعاً لكل ريب بان ما نشمهُ هو دقائق متناهية في الصغر تنطلق من الجسم ذي الرائحة، فتؤثر في جهاز الشمّ في باطن الانف وتنتقل رسالتها العصبية على اعصاب الشم الى المركز الخاص بها في الدماغ

فما طريقة الاستاذ ديفو التي أفضت الى تأييد هذا الرأي ثم أفضت الى هذه الصور العجيبة؟

هو ذا خوان صغير وعلا قائم على أربع قوائم وفي الوعاء طبقة من الزئبق عمقها أربعة

مليمترات . ثم هوذا الاستاذ ينظف سطح الزئبق بامرار حرف زجاجي عليها إمراراً لطيفاً . وبعد ذلك يضع قليلاً من مسحوق الطلق المتناهي في نعومة دقائقه . ثم يتجه الى خوان آخر فيأخذ منهُ لوحاً من الزجاج يثبت عليهِ بورق اللصق ورقة منتزعة من زهرة ورد او زهرة ياسمين او زهرة ترنقل ثم يضع اللوح فوق سطح الزئبق على بعد قليل منهُ وورقة الزهرة الى جهة الزئبق

***

أنظر الى دقائق المسحوق الابيض وقد أخذت تتحرك وتنتشر بطء . ها هي ذي بقعة صغيرة على سطح الزئبق تحت ورق الورد تماماً قد زال منها المسحوق . لا ريب في ان شيئاً منطلقاً من الورقة أخذ يدفع دقائق المسحوق أمامهُ ليحلَّ محله . فاذا أحللت قطعة من الكافور أو زهرة الليمون او أي زهرة من أزهار أشجار الفاكهة محل ورقة الورد ، رأيت التحوُّل في انتشار المسحوق على سطح الزئبق عيناً ، كأن هناك أعصاراً او زوبعة صغيرة . هذا التبدُّل في انتشار المسحوق على سطح الزئبق فعل الدقائق المنبعثة من الجسم ذي الرائحة حين تراه مصوراً في هاتين الصورتين . وقد عني بريقناخ بتصويره بأجهزة التصوير الضوئي العادية ، وأجهزة التصوير السينمي . ولا يخفى ان الدور الذي يقوم به المسحوق الابيض في هذه التجارب انما هو لاظهار الحركة التي تتحركها الدقائق الصغيرة المنبعثة من الاجسام ذات الرائحة

وقد صرَّح الاستاذ ديفر بأنهُ ثبت لهُ من تجاربه ان الاجسام ذات الرائحة فقط تدفع مسحوق الطلق بالشكل المتقدم . أما الاوراق والازهار والاجسام التي لا رائحة لها فلا تؤثر هذا التأثير فيه . واذا حركت غشاء الزئبق بعد اجراء احدى هذه التجارب انبعثت منهُ الرائحة الخاصة بالزهرة — او غيرها من الاجسام — التي جربت بها التجربة . وفي هذا دليل على ان دقائق مادية انطلقت من الزهرة تحمل رائحتها أو هي الرائحة نفسها . وهذا يعني اننا لا نستطيع ان نشبه الروائح بالالوان . فالالوان لا وجود لها الاَّ في شبكيات عيوننا وأدمغتنا فهي التي تفسر ما يؤثر فيها من الامواج فنقول هذا أحمر وذاك أزرق وذاك أخضر

***

* يموت ألوف من المواشي كلَّ سنة يلمها الدهان الطريّ الذي على شفاني المراتع

* كان قدماء المصريين يصفون مرض الجذام بأنهُ « الموت قبل الموت »

* تدل التجارب على أن الأسماك تشمّ وتستطيع أن تميز الأزواج المتشابهة

* يقول أحد أطباء السفن أن الحفن بالاترويين علاج سريع للدوار وغثيانه

* صنع جهاز تلغرافي جديد يجعل من المستطاع نقل ٩٦ رسالة برقية على سلك واحد في جهة واحدة

صورة رائعة الكافور — تصوير بريتشاح

فوائد النحاس الاحمر والفضة

قتل الميكروب — مقاومة البلهارسيا بمصر

حفظ عصارات الفواكه وطريقة ماتزكا Matzka

النحاس والميكروبات من ٣٠ سنة

كتبت في « مجلة المحيط » لصاحبها المرحوم المأسوف عليه الاستاذ عوض واصف في جزء مايو سنة ١٩٠٧ اي منذ احدى وثلاثين سنة النبذة الآتية وذلك في باب اخبارها العلمية فأردت اعادة نشرها الآن تمهيداً للاكتشاف العلمي الحديث الذي سنصفه فيما بعد . واليك تلك النبذة القديمة الجديدة : —

قال جراح انكليزي في منافع النحاس الاحمر الصحية ما يأتي : —

لمعدن النحاس الاحمر خاصية صحية غريبة وهي اهلاك الميكروبات والوقاية من الامراض ولهذا تنصح الناس بالرجوع الى حفظ الماء في الاواني النحاسية ، وبصنع الاكواز واقداح الشرب منهُ كما كان القدماء يفعلون لكي ينجوا من وباء الحمى التيفودية . واذا اردت ايها القارىء تحقيق ذلك ، خذ فلساً من الفلوس النحاسية والمسه بالميكروسكوب فتجده خالياً من جراثيم الامراض ثم امسح ايضاً قطعة من من النقود الذهبية وغيرها من الفضة فتجدها مغمسين بالجراثيم مع ان النقود النحاسية تتداولها غالباً أيدي الفقراء القذرة الملوثة بأدران الجراثيم ولكن الجراثيم لا تعيش على النحاس الاحمر لانهُ يهلكها فاذا تلوثت تلك النقود بجراثيم الدفتيريا والكوليرا ، ماتت الجراثيم في أقل من ساعتين

النحاس الاحمر والكوليرا

ولا يخفى على القراء أن الكوليرا كثيراً ما تتفشى في بلاد الصين غير أن عدواها لا تسري في بعض البلدان لان أهاليها يخزنون مياه الشرب في صهاريج من النحاس الاحمر . وقد يطمع السياح الذين يفدون على بلاد الصين الى ابتياع هاتيك الصهاريج من الصينيين لجمال منظرها فلا يرضون لان عندهم خرافة فحواها أن صحتهم وسلامتهم متوقفتان عليها فلا يفرطون فيها

قلنا « ليت الخرافات كلها حقيقة وصحية كهذه » . ومن هذا القبيل ان عمال النحاس الاحمر في منطقة الريغيرا نجوا من الكوليرا التي تفشت في مركزهم على حين انها فتكت بين اقاربهم واصدقائهم في جميع الاماكن المحيطة بهم فكيف نجوا ؟ ان الاواني النحاسية وفتكها الذريع بالجراثيم كانت الواقية لهم من الامراض . وعمد بعضهم الى القاء عدة جراثيم حية من جراثيم الكوليرا والحمى التيفودية في وعاء من النحاس الاحمر وضع فيه ماء الشرب على سبيل التجربة وشربوا منه بعد مضي سبع ساعات فلم يعترهم ضرر لان الجراثيم ماتت بتأثير النحاس . (والمقصود بالنحاس هنا المبض بالقصدير)

الشب الازرق وتطهير الماء

ورد في احدى المجلات العلمية في اوائل سنة ١٩٠٥ ايضاً ان الماء المطهر بالنحاس يشرب بأمان وسلامة لخلوه من الميكروبات فان جزءاً من مليون من كبريتات النحاس والشب الازرق « يطهر مليون جزء من الماء ويوفر ألوفاً من الجنيهات لتطهير مياه الاحواض والخزانات من أضرار المياه عليه

وفي هذا الصدد يرى كاتب هذه السطور أن الاواني النحاسية أنقع في البيوت من سائر الادوات سواء أكانت من الالومنيوم أم من الصاج المغطى بالمينا أم غيرها، وهذا نتيجة اختباره الشخصي منذ اربعين سنة . فهلموا أيها القراء الى متاجر « اولاد محمد علي بك الحسيني بشارع النحاسين » المشهورة بالقاهرة حيث تجدون أنفر وأتقن المصنوعات النحاسية بأزهد الاثمان »

أما أخبار الدوائر العلمية العصرية في هذا الصدد فهي كما يأتي : —

حفظ عصارات الفواكه

كانت الوسيلتان العاملتان لحفظ عصارات الفواكه في القناني سليمة من العفن على الدوام قبل اختراع طريقة بتزكير Mixing التي سنصفها فيما يلي ، هما اولاً : المواد الكيميائية الواقية من الفساد وثانياً التعقيم بطريقة باستير وهي تسمية بالمعترة Pasteurization

والمعروف أن تلك المواد الكيميائية يجعل الشراب الذي تمزج به ذا طعم غير مرغوب فيه . وان بسترة الشراب المراد تعقيمه تستلزم تعريضه غليانا شديداً بحرارة عظيمة زمناً غير يسير . وهذا مما يغير طعم الشراب ويفسد ما يحويه من الفيتامينات فساداً كلياً او جزئياً ولا سيما اذا احدثت البسترة مع وجود الهواء

فلاحظ فون ناجيلي Von Nageli العالم النباتي السويسري في سنة ١٨٩٣ ان الماء الذي يلامس النحاس الاحمر المعدني برهة يكتسب منه خاصية مقاومة العفن فكانت تلك الملاحظة العلمية باعثاً على لفت نظره الى المعادن الاخرى عساه ان يكتشف فيها ما عرفه في النحاس الاحمر — فتحقق حدسه في معدني الفضة والزئبق اذ تبين له انهما يكسبان الماء تلك الخاصية عبما اكسباً اشد كثيراً مما يولده فيه النحاس الاحمر مع ان تلك الفلزات الثلاثة عسيرة الذوبان جداً في الماء وكان المظنون اولاً ان دقائق قليلة منها تذوب في الماء ذوباناً فعلياً فتؤثر فيه ذلك التأثير المطهر

تأثير الفضة في السائل

اما الآن فقد ثبت ثبوتاً حاسماً بأن دخول الفضة في السائل الذي تلامسه ينشأ من تأكسد سطح ذلك الفلز ثم ذوبان طبقة التأكسد الرقيقة في السائل ، سيان كانت تلك الطبقة اوكسيد الفضة الفرعي Colloidal silver oxide او ذرات فضية مشحونة بالكهربائية وهي المعروفة علمياً بالمؤينة Ionized

فاذا لم تعرض الفضة للهواء ولا للاوكسجين

أو الحامض الكربونيك ، تجردت من خاصية التعقيم اليسير الذى أشرنا اليه. نعم إن ذوبان أوكسيد الفضة في الماء طفيف جداً ولكنهُ يكفي لاطلاق ذرات فضية جمة مشحونة شحنة كهربائية (أيونات) ، في ذلك السائل . وقد ذهب العلماء (في تعليل تمكن الفضة من قتل البكتيريا) بعض المذاهب ثم أجمعوا على أن طائفة من الأيونات الفضية تلتصق بكل واحدة من البكتيريا الموجودة في السائل فتحول دون نموها وتقضي عليها

الاسلاك الفضية في التجبير

وقد استعملت خصائص الفلزات لقتل الجراثيم حقبة من الزمن ، وكان ذلك قبلما أدرك العلماء العوامل الحقيقية التي تقوم بذلك التعقيم ، فقام الجراحون في انكلترا واميركا وغيرهما باتخاذ صفائح الفضة واسلاكها لتجبير العظام الكسيرة وعلاج المريضة منها ويؤيد ذلك الحادث الآتي وقد اثبتناه بقلمنا في مجلة المحيط لصاحبها المرحوم الاستاذ عوض واصف في حزيران سنة ١٩٠٦ وها هو :

(فتاة ذات جمجمة فضية) اصيبت فتاة اوربية اسمها راشيل روزبرج عمرها تسعة اعوام في لندن بكسر جمجمتها في اسفل المخ فنقلت الى المستشفى في حالة منذرة بالموت العاجل فعالجها الاطباء بأن استعاضوا عن العظم المحطم بثلاث قطع رقيقة من الفضة حجم كل منها يعادل الشلن فبرئت من سقمها على اثر هذه العملية المدهشة في زمن يسير وعادت الى بيتها صحيحة الرأس ، فتوافد الاقرباء على المنزل لعيادتها وزيارة والديها فصارت راشيل تكشف الضمادات عن رأسها لترى رفيقاتها الصغيرات ما وضعهُ الاطباء في رأسها من الفضة »

وفي عصر السذاجة الخشبية كانت صفائح النحاس الاحمر تُثبَّتُ في الهياكل الخارجية للمراكب وذلك تحت خطوط عومها منعاً لالتصاق النباتات المائية — الاضراع — algae والحيوينات الصدفية الدقيقة بها . (الضريع وجمعه أضراع نبات في الماء الآجن له عروق لا تصل إلى الأرض. عن الفيروزابادي)

طريقة مانزكا

وأحدث مانم في هذا الموضوع أن العلماء قد تذرعوا بخصائص الفلزات المهلكة للجراثيم oligodynamic تذرعاً واسع النطاق ، إلى تعقيم المياه وغيرها من السوائل إذ ثبت لهم أن الحرارة المرتفعة إرتفاعاً معتدلاً تزيد تأثير الخصائص المعدنية في إبادة الجراثيم زيادة كبيرة فسموا هذه الطريقة باسم مانزكا Manzka فاستفادوا من هذه النتيجة نقص النفقات الفضية التي يستعملونها للتعقيم نقصاً كبيراً عما تقتضيه الطرق الأخرى إذ اتخذوا جهازاً يسخن فيه السائل المراد تعقيمه حيث يجعلونه يلامس الفضة مباشرة في مساحة كبيرة جداً في باطن الجهاز . وفي هذه الحالة يكون مقدار الفضة الذي يذوب في السائل أقل من جزء واحد في مائة مليون جزء من السائل المرغوب في تطويره . وعلى حين أن المرء لا يكاد يصدق أن

الفضة مركزة بذلك القدر اليسير ، تؤثر في البكتيريا فتبلكما . قد ثبت فوج من الباحثين ان المقادير التي تنتج عن ذلك ذات تأثير عظيم محقق في مثل تلك الحالة الملائمة . وأيضاً عند إحداث هذا التخفيف يكون عدد الذرات الفضية الموجودة في كل سنتيمتر مكعب من السائل كبيراً جداً بحيث أن السائل المحتوي على هذا المقدار القليل من الفضة إذا اشتمل على مائة ألف بكتيريا في كل سنتيمتر مكعب ، استهدفت كل واحدة منها لتأثير الملايين من أيونات الفضة

كبريتات النحاس ومقاومة البلهارسيا

وجاء في محاضرة ألقاها حضرة الطبيب الدكتور محمد خليل بك عبد الخالق على طلبة طب المناطق الحارة : وكبريتات النحاس من أفيد الطرق المستعملة في مصر الآن لمقاومة البلهارسيا وكان أول من اكتشف تأثيرها الناجع في قتل البكتيريا المستر أندر الصيني Ando ويظهر هذا التأثير وإن كانت الكبريتات النحاسية مخففة بنسبة ١ في ٢٠٠٠٠٠ فتقتل القواقع . وللنحاس الأثر الأكبر تأثيراً سيئاً في الكائنات الحية الدنيئة من النباتات والحيوانات (كما تقدم القول) وقد استعمل منذ سنين لقتل أضرار الطحالب الخضراء في صهاريج الشرب وحمامات السباحة إذ تمزج كبريتات النحاس بالماء لتنظيفها وقتل ما عساه يشوبها من الكائنات الدنيئة . وفي صهاريج من مياه الشرب تجعل الكبريتات النحاسية بنسبة ١ في ٢٠٠٠٠٠٠ فتختفي الكبريتات بعد انقضاء ٢٤ ساعة إذ تتحد بالمواد العضوية التي في الماء وترسب في قعر الصهريج . وقد ثبت بالتجارب العملية في ري حقول الذرة والقطن وغيرها بكبريتات النحاس المخففة بنسبة ١ في ٢٠٠٠٠٠٠ بأنها لا تضر المحصولات . وكذلك البذور التي تنقع عدة أيام في هذا المحلول المخفف بالنسبة عينها تزرع وتروى بالماء نفسها فتنمو نمواً طبيعياً . والواقع تتأثر تأثراً تاماً بكبريتات النحاس فاذا وضعت محلول كبريتات النحاس بنسبة أقل من ١ في ٢٠٠٠٠٠٠ في مخبار محتوٍ على القواقع قتلها في ٢٤ ساعة . وعند استعمال ذلك المحلول المخفف في زرع الري يجب أن يكون بنسبة ٥ على مليون فتختفي منها اربعة اجزاء باتحادها بالمواد الاخرى

ويبقى الجزء الخامس لقتل القواقع . وقد جربت هذه الطريقة في بلدة وردان ثلاثة أشهر فأسفرت عن النتيجة نفسها ، غير انها تتلف سمك البياض إذ تبين انه لم يحتمل مفعول الكبريتات النحاسية فنفق ووجد طافياً على سطح الماء

شوقي مصري

***

* ليس في عنق الزرافة من الفقرات اكثر مما في عنق الرجل

* يقال ان الفرد من الملاريا ، تسبب مليون وفاة في الامبراطورية البريطانية كل سنة

* يختلف البرتقال عن سائر الفواكه في انهُ لا ينضج بعد قطفه

تاريخ مديرية خط الاستواء

من فتحها الى ضياعها من سنة ١٨٦٩ الى سنة ١٨٨٩ في ثلاثة اجزاء
تأليف صاحب السمو الامير الجليل عمر طوسون — مطبعة العمل بالاسكندرية

ان سمو الامير عمر طوسون يفخر دائماً بتاريخ الجيش المصري خلال القرن التاسع عشر. ذلك الجيش الذي سجل له بين جيوش العالم أنصع الصفحات في اعمال الفتح المجيد. ذلك الجيش الذي أنشأه محمد علي فأحيل به النظام في مصر محل فوضى المماليك. هذا الجيش الظافر دائماً الذي سجل أعماله العسكرية في بلاد العرب المقدسة ثم في سوريا وآسيا الصغرى وكريت والمكسيك وبلاد اليونان والروسيا وفي أواسط أفريقية. وهو الذي فتح السودان وعمره وأخيراً أعاده في عام ١٨٩٨

يخرج اليوم سمو الامير كتابه الجديد تاريخ مديرية خط الاستواء المصرية فيقدم لمواطنيه الذين يجلونه ويقدرون أعماله الخالدة، تراثاً طيباً عن آثار الفتح المصري في قلب أفريقية — التي تسمى بحق قارتها، فقد أهمل مؤرخونا للأسف التحدث عن هذه النواحي القوية فجهلناها جهلاً تاماً. وإن كان المؤلفون الاجانب قد تحدثوا عنها كل واحد من ناحية مآربه الخاص ومآرب وطنه. فقد تحدث عنها الانجليز صمويل بايكر وكوتفيل وجاكسون وستانلي وروبحت. وألف عنها الفرنسيون والالمان والايطاليون والاميركيون أمثال شايه لونج وأمين باشا وشوينفرت وجونكر وبونولا بك وكازاني وجيسي وغيرهم لكن لم يتقدم لبحث الجهود المصرية أحد من المواطنين

وكان هذا الامر قد عز على سمو الامير العالم فعزم على أن يقوم بنفسه بالعناية بما أهملناه خلال الاجيال السالفة. وحقق لنا أشياء طالما تمنينا تحقيقها وأخرج لنا تاريخ حلقة مفقودة من تاريخ مصر في القارة الافريقية، كانت الى الامس مجهولة ومفقودة بالغة العربية

والجزء الاول من هذا السفر النفيس يشتمل على تاريخ مديرية خط الاستواء من سنة ١٨٦٩ عندما تولى حكمها السير صمويل بايكر باشا بامر المغفور له الخديو اسماعيل الى عام ١٨٧٣ بمرسوم منحه يد سلطة مطلقة لاخضاع النواحي الواقعة في جنوب غندوكرو ولا بطال التجارة ولانشاء تجارة منظمة

والثانية الحملة التي ذهبت لتحقيق هذه الاغراض تألف من ١٤٠٠ جندي مشاة وبطاريتين من المدافع وبعض قوات الفرسان (السواري) التي تركها في الخرطوم

ويصف لنا الأمير المؤرخ مراحل هذه الحملة منذ غادرت مصر ووصولها الى الخرطوم وقاشوده والدبة وما لاقته من الصعاب ، ثم انشاءها محطة النوفيقية لتكون مقراً للاسطول . ثم وصول السر صمويل بايكر الى غرضه الاول غندوكرو واخضاعه لنبائل تلك الجهات واتصاله بملك اوغندة . وبانتهاء خدمته عاد الى القاهرة وحظي بمقابلة الخديو الذي أنعم عليه بالنيشان العثماني من الدرجة الثانية

وبعد سفر السير صمويل بايكر عين الامير الاي محمد رؤوف بك مديراً لمديرية خط الاستواء لكونه كان أرقى الضباط الذين كانوا معه . الا انهُ لم يظل طويلاً في منصبه حتى عين عام ١٨٧٤ غردون باشا بعد مصادفة عجيبة . فقد كان غردون العضو البريطاني في لجنة الدانوب تعمل في الاستانة فتعرّف به الوزير المصري نوبار باشا وسأله هل يعرف ضابطاً من فرقة المهندسين العسكريين يقبل أن يخلف السير صمويل . فطلب التفكير في الامر الى أن كتب له بأنه يقبل هذا المنصب اذا رضيت الحكومة البريطانية !

وكان أن وافقت حكومته على هذا الطلب وجاء الى مصر فقابل الخديو وعين في عمله الجديد واختار انتظام الاميركي غايته لونج ليكون أركان حربه ورافقه مع الحملة اللازم الاول حسن واصف بصفته ياوراً لغردون وهو الذي تقلد مناصب متعددة في الجيش وعين فيما بعد مديراً لاسيوط. وذكر لنا سمو الامير رحلة غردون الى مقر عمله عن طريق سواكن والخرطوم ومنها الى بور وغندوكرو . وبوصوله عاد رؤوف بك الى مصر

ووصف سمو الامير اهتمام غردون في خط الاستواء بإسهاب وافٍ فذكر التجريدات المختلفة التي قامت بها الجنود السودانية والمصرية واحتلاله لبلاد نيام نيام ومكراكا ولادو وجميع الجهود التي بذلها في سبيل نشر النفوذ المصري

وفي عام ١٨٧٦ عاد إلى مصر فرحب به الخديو وخلفه البكباشي بروت من أفراد البعثة العسكرية الأميركية

وفي عام ١٨٧٧ استتب نخلفه على حكمدارية المديرية الامير الاي ابراهيم فوزي بك . ثم الدكتور امين بك (١٨٧٨ — ١٨٨٩) وكان ألمانيًّا عتق الاسلام وفي الفصول الخاصة به وصف لنا سمو الأمير جميع الادوار التي نعم هذا الطبيب في مديريته المفقودة وكانت مدته اطول مدة قضاها أجنبي في خدمة الحكومة المصرية في تلك البلاد. وقد شملها سمو الامير الجليل بعناية دقيقة استغرقت كامل الجزء الثاني من مؤلفه النفيس وعدة صفحات من الجزء الثالث فذكرلنا

كيف انتهت خدمته بل وحياته سنة ١٨٩٢ . فهو يصف بتفصيل دقيق أشهر رحلات الأجانب في تلك الفترة وأهمها رحلة الطبيب يونكر الألماني والكابتن كازاتي الايطالي وقد تناولا وصف تلك البقاع وعادات أهلها وحيواناتها وقد كتابهما عن تلك البلاد مرجعا فاخراً لكتاب العصر الحديث

والجزء الثالث من هذا السفر يشتمل على أهم حوادث الأقليم المصري من عام ١٨٩٠ الى ١٨٩٩ لما قامت حملة المستكشف الانجليزي ستانلي وبدأت الخطوات الأولى في سبيل انتزاع مديرية خط الاستواء من المصريين بعد جهود السنين الطوال وما بذل فيها من دماء مصرية والتمهيد لحوادث السودان التي انتهت بنشوب الثورة المهدية وضياع السودان

وضياع السودان هو الفصل الختامي للكتاب

في هذا الفصل يظهر لنا الأمير الجليل كما عرفناه جميعاً المدافع عن حقوق مصر في السودان بجميع الوسائل. فهو يستشهد بأقوال أقطاب رسميين من الانجليز ووثائق حكومية ورسائل ومجادلات برلمانية .. الخ وقد جمع فيه كل ما كتبه سمو الأمير للحكومة البريطانية من خطابات تتعلق بحقوق مصر في وادي النيل وما كتبه لامهات الجرائد الانجليزية. وهذا الفصل يعتبر وثيقة نادرة في التاريخ المصري بالسودان . وفي ختام الفصل بين سموه اطماع انجلترة في امتلاك مديرية خط الاستواء المصرية والتي كان باحتلال مصر لها قدم وضع يدها على وادي النيل برمته من منابعه في منطقة البحيرات الى مصبه في البحر المتوسط

وقد ذيل الكتاب بمراجعه التي عاونته على إخراج هذا السفر النادر من كتب عربية وانجليزية وفرنسية وألمانية . وهي تربي على الخمسين في عددها

ولا يخلو الكتاب أيضاً من فهرست مفصل للاعلام التي ورد ذكرها ولا سيما القبائل والجماعات . فيسهل به الرجوع الى محتويات الكتاب

ان تزيد كثيراً من صفحات هذا الكتاب التي تربي على الالف لتذكر المصريين بما كانت عليه بلادهم في القرن الماضي . فعليهم أن تذكر دائماً تلك الاقاليم الافريقية الشاسعة التي كانت تأتمر بأوامر الحكومة المصرية والتي كان يرفرف عليها في يوم من أيامنا العلم المصري

وعلينا أن لا ننسى كلمة المغفور له الملك فؤاد طيب الله ثراه

« إن الشعب لا يدرك سر مستقبله حتى يرجع بذكراه الى ماضيه فيقدس تاريخ أسلافه ويقدر أعمال أبطاله »

« كولونيل »

المنسوجات القطنية في الشرق الادنى خلال العصور الوسطى

Cotton in Mediaeval Textiles of the Near East, Cairo Fouad Academy. Librairie Orientaliste, Paul Geuthner, Paris 1937

للاستاذ الدكتور كارل جوهان لام استاذ الفنون الاسلامية سابقاً بمعهد الآثار الاسلامية بالقاهرة

يذكر خريجي معهد الآثار الاسلامية وخلانهُ محاضرات استاذهم القديم الدكتور كارل لام عندما كان يحاضرهم في الفنون الاسلامية منذ عام ١٩٣٣ . كما نذكر له بالاعجاب ابحاثه العميقة في الدراسات الفنية التي ينشرها حيناً بعد آخر في مجلة جمعية الآثار القبطية ومجلة الفنون الاسلامية التي تصدر بامبركا Ars Islamica فان الاستاذ لام في طليعة المستشرقين المتضلعين من تاريخ الفن الاسلامي كما أنهُ يعد بين العلماء القلائل الذين أسدوا أجل الخدمات الى الفنون التي تتصل ببلادنا . ومن هؤلاء فييت وكريسويل وكونيل والمس ديفولشير والدكتور زكي حسن ومحمد أحمد ومايرهوف

وليس الكتاب الذي يخرجهُ اليوم الاستاذ لام نتيجة الدراسة دامت عاماً أو عامين بل هو نتيجة موفّقة لابحاث استمرت اعواماً طوالاً تقصاها يبحث وينقب عن كل ما ذكره المؤلفون القدماء والمحدثون في الكتب والمخطوطات أو ما شاهده من قطع المنسوجات التي وقع عليها نظره في المتاحف المصرية ومجموعات الهواة في مصر أو متاحف البلدان الشرقية باوربا . فان النظرة الاولى التي يلقيها المطلع على صفحات الكتاب تجعله يدرك كيف أستطاع الاستاذ لام أن يجمع شتات هذه المعلومات الفياضة الوفيرة ويقدم على عمل الرسوم الدقيقة التي أستعان بها على شرح مؤلفه . ولكني الذين اطلعوا على مؤلفات الدكتور لام التي كتبها عن الزجاج الشرقي والخزف الاسلامي والمنسوجات الاسلامية وصناعة الخشب في مصر الاسلامية والتي كتبها في باريز وبرلين واستوكهلم والقاهرة وانستردام يعلمون ان مؤلفه الفخم عن المنسوجات القطنية في الشرق الادنى كتبهُ على منوال مؤلفاته السابقة التي تكون جانباً معروفاً في مكتبة الفن الاسلامي [illegible] المطبوع في جزئين كبيرين عام ١٩٣٠ ببرلين سيظل دائماً عملاً قيّماً ينظر اليه الباحث في الفن نظرة تقدير وحب واحترام

***

وأهم نقطة وفق اليها الدكتور لام في كتابه الجديد اثباته ان نبات القطن كان عنصراً

رئيسيًّا شاع استعماله في صناعة المنسوجات بدرجة كبيرة لم يكن أحد يتوقعها قبل اليوم

وفي مقدمة مشتملات كتاب الاستاذ لام الذي أخرجته باتقان مطبعة بول باريد في القاهرة تلك القصة الرائعة التي يبحث كل فصل منها عن بلد من البلدان التي استعملت القطن في منسوجاتها. وهذه البلدان التي تناولها الدكتور ، هي الهند وتركستان الغربية وآسيا الصغرى واليونان وبلاد العرب وسومطرة والصومال وزنجبار والحبشة والسودان ومصر والنوبة وبلاد المغرب واسبانيا

وقد حلى الكتاب بخمس وعشرين لوحة فوتوغرافية جميلة تصور أهم قطع المنسوجات التي فحصها الدكتور لام ، سواء احتوت على نبات القطن أم لم تحتو عليه . ولا يدهش القارىء إذا علم أن هذه القطع النفيسة لا يشتمل عليها متحف واحد من متاحف الفنون بل منها ما وجده في بعض الآثار العربية ومنها ما عثر عليه في المتحف الوطني في استوكهلم أو متحف تاريخ الثقافة بمدينة لند (Lund) أو متحف روهس للفنون والحرف في جرتنبرج . أو ما وجده في مجموعة الدوق فنستر كارول روبرت لام ، وقد توفي منذ ثلاثة أشهر بقصره في رزلاج بفاسي ، كان من هواة الفنون المعروفين في العالم

وفضلاً عن تلك اللوحات المذكورة في الكتاب عشرات الرسوم التفصيلية للزخارف المنقوشة على قطع المنسوجات تلك الرسوم من إبداع والدة المؤلف السيدة دورا لام وهي ابنة أحد مشهوري كتاب الفنون والأمين السابق للمتحف الوطني في استوكهلم . وقد اشتركت السيدة الفاضلة مع ابنها في كثير من أعماله الفنية التي ظهرت في مؤلفاته السابقة

***

ولا بد لنا أن نشير إلى جهود أحد جرد الفن المجهولين في مصر وهو الاستاذ مصطفى كامل إبراهيم الذي اشترك مع الدكتور لام في نقل رسوم المنسوجات بطريقة لا يشاركه فيها أحد فقد قام بالكثير الواضح يعطي لأعماله صبغة واضحة ، وأعماله عنوان طيب على روحه الفنية ومهارته الرائعة في سبيل اعلاء شأن زخارف الفن الاسلامي

لقد أضاف الدكتور لام الى سلسلة مؤلفاته كتاباً وأثراً نفيساً جداً سيزدهي به بيت الكتب التي ألفت عن الفنون الاسلامية . وسيتحقق القارىء عند إطلاعه على ما ورد بذيل كل صفحة من التعليقات وأحواشي كيف أخرج الدكتور لام كتابه بطريقة علمية منظمة . ويحق ان هذا الكتاب الفريد هو للدكتور لام بمنزلة مرآة مصقولة لعقله وتفكيره . ذلك العقل الذي يعرف كيف يحيط بموضوعه من كل نواحيه

عبد الرحمن

السل وعلاجه

تأليف الدكتور فيليب الشدياق — ٣٥٠ صفحة قطع المقتطف بثمن ٢٠ — كتب الصور والرسوم طبع مصر ويطلب من المؤلف وجميع المكتبات بالقاهرة والاسكندرية — ثمنه ٦٠ قرشاً صاغاً

اذا علمنا ان الاصابات بالسل الرئوي التي بُلِّغ عنها في القاهرة بلغت ٢٣٠٠ اصابة وان الوفيات منها بلغت الالف في كل من سنتي ١٩٣٦ و١٩٣٧ ؛ وان عدد الاصابات التي بُلِّغ عنها في الاسكندرية في كلٍّ من السنتين المذكورتين الف والوفيات خمسمائة ، وان مكاتب الصحة أبلغت سنة ١٩٣٧ انها تقدر المصابين بالسل الرئوي بـ ١٠١٤ في المليون اي ما يزيد على ١٦ الف مصاب في البلاد كلِّها ؛ وانهُ اذا اضفنا الى اصابات السل الرئوي غيرها من اصابات سلّ الجلد الذي لا يبلغ عنهُ ابداً وسل الامعاء والعظام والكلى والمثانة وباقي انواع اصابات السل فلا يستبعد ان يبلغ عدد المصابين بها ٣٠ الفاً في القطر المصري والوفيات ١٥ الفاً ، ومعظمهم من الفتيان اهل الغد ورجاء المستقبل

اذا عرفنا هذه الحقائق الاحصائية هالنا ماتعانيه هذه البلاد من فتك الدرن ونبهنا الى وجوب العناية ببث التعاليم اللازمة للوقاية منهُ وانشاء المعاهد الوافية للوقاية والعلاج

فالخدمة التي اسداها مؤلف هذا الكتاب الدكتور فيليب الشدياق كبيرة لا تقوّم بمال سواء من الناحيتين العلمية والاجتماعية

فمن الوجهة العلمية ضمن فصول كتابه اوفى واحدث ما يعرف عن مرض الدرن وانواعه المختلفة بعد درس مسهب وتخصص دقيق في اشهر معاهد السل في بلدان اوربا . فالكتاب من هذه الناحية يصح ان يكون في مكتبة كل طبيب دارس

وقد قرظ حضرة صاحب السعادة الدكتور سليمان عزمي باشا استاذ الامراض الباطنية في كلية الطب المصرية فنصفه وكتب الى مؤلفه الكلمة التالية : « تصفحت مؤلف الدكتور فيليب الشدياق على مرض السل — الذي يهلع كل فرد فكرهُ بالانسان و حيوان — ومما لا شكّ فيه ان مثل هذا الكتاب سد فراغاً كبيراً في المكتبة العربية الطبية . وجدير بالمؤلف الفاضل بموا ضيعه واستفاضته وقد ناقش الكاتب كل نقطة في الموضوع واوضح آراء اساطين هذا الفن . واني اشكر الدكتور الشدياق على هذا السل الشاق لانهُ لم يدخر جهداً في القيام به خدمة للطب العربي »

أما من الوجهة العلمية فاننا نقف عند شهادة الطبيب الكبير عزمي باشا وهي شهادة لها مكانتها العالية من خير

أما من الناحية الاجتماعية فقد وصف المؤلف ما يبذل في بلدان أوربا على أيدي الحكومات

والهيئات الأهلية لمكافحة الداء . خذ مثلاً مايقوله في صفحة ٢٥٥ مثالاً على النقد الانشائي :- هكذا يسير الداء في القطر المصري سيراً حثيثاً وينقاتم ويبث فساداً فما نحن فاعلون ؟ اذ يفنى ٤٠٠ سرير في مصح حلوان . وأهل حلوان يتذمرون من وجودها ويطلبون إعفاءهم منها . وهناك مصح الباسية وسيتم إعداده قريباً (المقتطف : وقد تم فعلاً وافتتح بعد صدور الكتاب) وحتى تاريخ اشر هذا الكتاب ليس في القطر المصري كله سوى ثمانية مستوصفات للأمراض الصدرية مع أنه لو كان فيه مائة مستوصف لما كانت كافية . فالذي عندنا من هذا القبيل ليس سوى نواة لعمل ينبغي أن تتسع دائرته بلا إبطاء . وإذا عدنا في بحثنا إلى أهم نقطة جوهرية في هذه الخدمة الاجتماعية وتساءلنا عما نعلنا لوقاية الاطفال ومساعدتهم في أدوار المرض الأولى ، كان الجواب مع الأسف سلبيًّا . فأننا لم نفعل شيئاً البتة . وعلى الرغم من البرنامج الذي وضعته وزارة الصحة العمومية وطالبت فيه بعمل هذه الانشاءات فليس في هذه الديار مؤسسة واحدة لتدرُّن الأطفال . وكان علينا أن نبدأ بمكافحة السل في الصغار لشدة استعدادهم على نحو ماذكرت قبلاً ، لالتقاط العدوى بأجهزتهم التحفية وتدرج المرض إلى حالة التعقد الابتدائي . فاذا كانت الاصابة قوية وزح الطفل نحتها وبات . وإذا قلت المقاومة بعد سنين عاد المرض إلى الظهور في سن الشباب . ثم .. هل أنشئت مؤسسة واحدة من المؤسسات المعروفة عند الفرنسيين باسم واقيات Preventoria دفعاً عن الضعفاء من الاطفال عادية المرض أو ايقافاً له عند حدّ ... »

فكتاب الدكتور فيليب الشدياق جامع بين الناحيتين العلمية والاجتماعية في دراسة السل ومكافحته أوفى جمع ويجب أن يذيع في مصر وسائر الاقطار الشرقية لان ذيوعه يسدي خدمة عظيمة الى صحة الشعوب العربية

مجلة جمعية الآثار القبطية

المجلد الرابع سنة ١٩٣٨ مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة
في ٢٠٨ صفحة — حجم متوسط

الذين يتتبعون تقدم الحركة الفكرية في مصر يستطيعون ان يقدروا الجهود الكبيرة التي يبذلها الاستاذ شارل بشتلي سكرتير جمعية الآثار القبطية حتى اضطرت في العام الماضي ان تتخذ لها اسماً جديداً بدلاً عن (جمعية محبي الفن القبطي) يتفق مع الاعمال العظيمة التي تقوم بها من تنظيم المحاضرات العلمية التي تدعو لالقائها اعلام المشتغلين بالفنون والآثار الى جمع البيانات عن الآثار القبطية والقيام بالرحلات وتنظيم المعارض وتركيز الدراسات الأثرية واللغوية تركيزاً

يسهل الاستفادة منها ... كل ذلك فضلاً عن إصدار المجلة العلمية السنوية وهي « مجلة جمعية الآثار القبطية »

بين يدينا العدد الرابع وهو يشهد بأن المجلة تسير نمواً سريعاً حتى أصبحت اليوم من خير المجلات العلمية التي تصدر في العالم وخيرها يصدر في مصر على الإطلاق وفيها من آثار جهرة الكتاب الاخصائيين

ويشتمل هذا العدد على إثني عشر مقالاً أولها للأستاذ فرانسيس جريفث من أساتذة جامعة منشيجان تحدث عن « برسمك والدواسات القبطية في القرن السابع عشر الميلادي » . والمقال الثاني كتبهُ الاستاذ لام الذي كان مدرساً للفنون الاسلامية في معهد الآثار بكلية الآداب . وموضوع هذا البحث دراسة المنسوجات الصوفية المطرزة في العصر القبطي . وقد كتب الاستاذ ديلامي أونيري بحثاً عن تخريب المعابد المصرية القديمة على يد المسيحيين ذكر فيه ما كان بعض علماء الغرب يأخذونه على العرب من تخريب بعض الكنائس وتحويلها من بعض الأعمدة والتيجان

وكتب الاستاذ هنري موينيه سكرتير الجمعية الجغرافية الملكية مقالاً في نشوء المسيحية في جزيرة فيلة . ومن أطرف ما في هذا العدد مقال الدكتور جورجي صبحي بك عن بعض العادات والطقوس والكلمات الباقية من العصور المصرية القديمة في حياتنا اليومية الى الآن . وكتب الاستاذ الدكتور كونيل مدير المتحف الاسلامي ببرلين مقالة عن الأساليب الفنية القبطية في المنسوجات الاسلامية . ولسنا في حاجة الى ان نشيد بذكر الدكتور كونيل فهو حائز لواء الفنون الاسلامية في العصر الحاضر . وقد عرف عنه في أبحاثه الدقة والعلم الواسع وحسن الذوق والاطلاع الواسع

وكتب الأستاذ فيت مدير دار الآثار العربية بالقاهرة بحثاً نفيساً عن العلاقات السياسية بين المصريين والحبش في عصر المماليك . وكنا نعلم ان الاستاذ فيت من الاخصائيين في دراسة عصر المماليك والقبط . فلا غرو ان جاء مقاله بحثاً مستفيضاً عن العلاقات السياسية الحبشية يزيح لنا النقاب عن أحداث سياسية هامة

ولا نستطيع ان نلم هنا في هذا العرض القصير بكل ما جاء في العدد الرابع من مباحث . ويكفي أن نذكر أسماء المساهمين في تحريره وهم الاساتذة جرافث وفنا ودريل وسنة وبرفار ويسّى عبد المسيح عدا من تقدم ذكرهم وتمتاز مقالاتهم بالجدة والطرافة

فجمعية الآثار القبطية جديرة بالتهنئة على الجهود العظيمة التي تبذلها وعلى النجاح الذي تلقاه منذ ظهورها ونحن نهنىء القائمين بها من كل قلبنا ونرجو لها التوفيق والتقدم المستمر (...)

ديوان الجارم

في جزأين طبع مطبعة المعارف

لأستاذنا وصديقنا علي بك الجارم رأي في الشعر العربي وجماله . سجله في المقدمة البليغة التي كتبها في الجزء الاول من ديوانه . وهذه المقدمة على ايجازها تعتبر مقياساً جديداً لتذوق الشعر العربي . وان كان هذا المقياس غير محدود الموازين ولا مضبوطها دائماً . وانما هو مقياس ترجع اغلب الوحدات القياسية فيه الى الحس المرهف والشعور الدقيق

لقد حاول كثير من نقاد الشعر أن يشرّحوا القصيدة تشريح الأجسام الحية . فاذا استطاعت أن تقف بعملية التشريح البشعة أمام مباضعهم الحادة ومشارطهم المرهفة فهي تستحق أن تسمى شعراً والا فهي كلام موزون . ويخيل اليّ أن هذا النوع من النقد يضيف الى الاعتساف ، ظلام أشد الظلم . فأن الزهرة الجميلة الناضرة تفقد كل معاني الجمال فيها إذا تناولتها يد بالتشريح والتفتير والتجزيء . وما من شك أن هذه الجزيئات الصغيرة هي اللبنات والملاط والجص التي يتكوّن منها جمال الزهرة وهيكلها الفتان . ولكن هذا الجمال الكلي يضيع إذا جزّيء . ويفقد الحلاوة (وسر الاعجاب) إذا حلل . فجماله في كليته . وحلاوته في هيكله

ولو تابعنا هؤلاء الناقدين في استعمال مقاييسهم الظالمة لخرج أكثر من نعدّ من كبار الشعراء من زمرة الشعر العالي .... فمن السهل أن تمسك فأساً في احدى يديك ومعولاً في الأخرى وتقول : أني ناقد ... والأحرى بالحق أن يقال عنك : أنك هادم ... ولقد مات « شوقي » فاصبح تراثه الشعري في ذمة الزمن ، والزمن أعدل الحاكمين

قضيت شطراً من ليلة من ليالي رمضان مع صديق كريم من رجال الطب ، وله شعر ينشر في الصحف المصرية . ولعل علي بك الجارم يسره أن يعرف انه كان موضع حديثنا في تلك الليلة . ولم يكن حديثنا عن علي الجارم الأديب حديثاً عن شعره . تناولني صديقي الطبيب الاديب الجزء الاول من ديوان الجارم . وأراني المآخذ الكثيرة التي يأخذها عليه ... وهو يعلم حبي لشعر الجارم . وبحكم الطبع لم يكن دفاعي عن شعر الجارم الا دفاعاً عن شعري . فأني أخشى أن يعتسف الناقدون في شعري الى حد قد يضيع معه أمل الشاعر في تقدير الناس ...

ولا يضير علي الجارم كما يقول بعض نقاده — أن قوله في المديح ،، زين الحمى وفخر الحماة من دارج الكلام لا من متخيره ، ولا يضيره قولهم أن كلمة زين في البيت الآتي غير مناسبة ، وكان الاولى أن يقال صبيح أو أنين أو حداه .. والبيت هو

وأنحاز للركب الذي من آدم ما زال يزعجنا زنينُ حداته

ولا يضيره قول النحاة منهم أن الباء تزاد في خبر ليس وما . ولكنها لاتزاد في خبر لا كما يقول في مرثيته لسعد زغلول

وجرى يُخبِّر لا المسير بحاذل أملاً ولا نيل السعى بمحال

ولا يضيره قولهم أن التمييز يجب ان يكون مفرداً دائماً . ويراعى في تذكيره وتأنيثه مابعده : فتقول الرجال خاشعة ابصارهم . والنساء خاشعاً ابصارهن كما يقول الجارم في قصيدة دمعة على صديق

يمشي الرعيل نواكساً ابصاره من بعد ماعبث الردى بحمائه

وكان الأولى والاصح أن يقول ناكسة ابصارهم

ولا يضيره ان يقولوا أن الجارم مولع باستعمال الكنايات عن الموصوفات . وهو ولوع — كما يقولون — لايدل على شاعرية وانما يدل على صناعة عرف بها شعر الجارم . فهو يقول سليل الطين [1] بدلاً من الانسان ، ويقول ابن الليل بدلاً من القمر ، ويقول بنت [2] عدنان بدلاً من اللغة العربية محاولاً بذلك ان يقلد كنايات القدماء الجميلة المنثورة في كتب الادب والشعر

لايضير الجارم الفحل شيء من هذا . فعدي بن زيد لم يضره قول الناقدين ان قوله ويلومون فيك يا ابنة عبد الله والقلب عندكم موثوق

خطأ والصواب موثق . والحارث بن حلزة لم يضره قولهم أن قوله

أجمعوا امرهم بليل فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء

خطأ والصواب أصبح لان الضوضاء مذكرة . وأبو تمام لم يضره قولهم ان قوله

ولو كانت الارزاق تجري على الحجا هلكن اذاً من جهلهن البهائم

خطأ والصواب هلكت لان الفعل لا يأخذ فاعلين . وبالامس أقاموا الدنيا وأقعدوها على شوقي بك لانهُ أنث الرفات والواجب تذكيره في قوله في رثاء سعد

يا رفاتاً مثل ريحان الضحى كلمت عدن بها هام رباها

الجارم شاعر ولكننا لانستطيع أن نقض خاتم السحر في شعره كما يقول هو عن البحتري. وأنا شخصياً لا أستطيع أن أفهم لماذا أحب حبًّا جمًّا شعر شوقي وعلي محمود طه واحمد محرم وعلي الجارم

كنت أتحدث مع أديب كبير عالي الثقافة كثير الانتاج ، عن النقد والأدب والشعر فقال أن النقد العربي فوضى غير مضبوط ولا محدود وليست لهُ عند العرب مقاييس محدودة . وأني

(١) ج ٢ ص ٤٦ سطر ٦ (٢) ج ١ ص ١٥٧ سطر ٦

أرى في هذا المقام أن مقاييس الأدب غير مقاييس الشعر . فليس من الهين أن يضع للشعر — وخاصة الشعر العربي — مقاييس محدودة ممايزة . فمثل هذه المقاييس يذهب بالجمال الشعري .

وليس الجارم شاعراً باعتبار المقياس الذي وضعه هو في مقدمته للجزء الأول . وانما هو شاعر باعتبار كل نفس تحس الجمال وتدركه — تحس به في اللفظ المختار ، وفي الكلمة في موضعها ، وفي المعنى في سموه ، وفي الاسلوب في قوته ، تطرب لكل هذه الامور مجتمعة

وللجارم ميزة ظاهرة في شعره الرصين وهي الانسجام اللفظي او ما يعبر عنه بالانجليزية « Rythm » — هذا الانسجام او الموسيقى اللفظية هي بلا شك — كما يقول « Inscolles Abercrombie » في كتابه أصول النقد الادبي — أهم وسائل الانتفاع بالاصوات في الفن الادبي لان هذه الموسيقى هي اكبر أثر فعال في خلق ذلك الجزء من العاطفة او الشعور الذي لا يمكن ان تحيا الاختبارات النفسية بغيره . وهذه الموسيقى هي التي ميزت شعر شوقي ، وشعر علي محمود طه ، وشعر الجارم . وهذه الموسيقى بعينها هي التي ترفع كثيراً من النثر الى مرتبة الشعر مع خلوه من الوزن والقافية

يتهمون علي الجارم بأنه شاعر مناسبات ... وأنا نفسي مكوي بنار هذه التهمة .. وما أبرع النقاد في صب الاتهام ! فالشاعر في عرفهم هو الذي يصور الطبيعة ويصف « الجدول الحالم » أو « الناعورة المذعورة » أو « البلبل المغرد » أو يقول في الحب والعاطفة .. حتى ولو كان قوله هراء وتصويره سخيفاً أو كاذباً .. وغرامه خيالاً

وقد ناقشت أحد هؤلاء النقاد — وهو شاعر أطرب لشعره — وكانت المناقشة أمام حضرة رئيس تحرير المقتطف ريثما له أن شعر المناسبات هو نوع من الشعر لا يحسن كل شاعر الكلام فيه .... أو أنه مثل غيره من ضروب الشعر اعراب عن شعور خاص تثيره المناسبات الخاصة

ولقد كشفت لي السنوات التي قضيتها في انجلترا عن « الشاعر جون مايسفيلد » شاعر العرش فما مرت مناسبة قومية من غير أن يخلدها في شعره . وقصيدته في الاحتفال بنزال الباخرة الجبارة « كوين ماري » الى البحر لا تزال ترن في الآذان

*

أن الكلام عن ديوان الجارم أتاح لي فرصة أعبر فيها عن بعض رأيي في الشعر ومذهبه أما رأيي كله فسأفصله ان شاء الله في مجال آخر . وأهلاً وسهلاً بالديوان العربي الثمين

محمد عبد الغني حسن

فهرس الجزء الخامس

من المجلد الثالث والتسعين

٥١٧ حصاد الصيف في حقول العلم { أنوار النبات / الطائرات الضخمة
٥٢٥ جامع السلطان حسن : الجامعون فيت نقله الى العربية محمد وهبي
٥٤٢ مصادر العلم الحديث : للدكتور ابراهيم ناجي
٥٤٥ فكرة ضائعة (قصيدة) للشاعر الفرنسي سوللي برودوم . نقلها خليل هنداوي
٥٤٦ ثورة العرب وأثرها في الشعر الحديث : لانيس المقدسي
٥٥٨ الفيلسوف المهمل أهم نواحي عبقريته : ترجمة جديدة لاسحق نيوتن
٥٦٢ تولستوي وأحاديثه : لعلي ادهم
٥٧٠ مبدأ النسبية الكلاسيكية : لاسماعيل احمد ادهم
٥٧٣ صفات الادب الفارسي الحديث : للدكتور عبد الوهاب عزام
٥٧٨ دراسات في آثار الاقدمين الروحية : لناشد سيفين
٥٨٥ زهرة (قصيدة) : لحسن كامل الصيرفي
٥٨٦ الانتخاب الطبيعي واصلاح النسل : للدكتور شريف سيران
٥٨٩ العطور والغازات
٥٩٨ السرطان والمرأة : للدكتور فيليب الاشقر
٦٠٣ حديقة المقتطف * بعد الشباب : للدكتور ابراهيم ناجي . الغفران : للشاعر القروي رشيد سليم الخوري . مقتل الحصان : للدكتور هوجو : السيد ربيع : نيروسير بلانشمين: نقلهما احمد ابو الخير مقبي
٦٠٩ سير الزمان * يقظة العرب : — طلائع اليقظة الفكرية . الجمعية السرية الاولى . مراسلات مكاتبين : حسين . أنور عبود ونقضها. سمير فلسطين

---

٦١٩ باب الدراسة والمطالعة * مجلة مجمع اللغة العربية الملكي في دورته الثالثة للدكتور امين المعلوف
٦٢٣ باب الاخبار العلمية * تصوير ما يشم من زهر الورد وحب المسك . توالد الجواهر الاخر والفضة . لعوض جندي
٦٢٩ مكتبة المقتطف * تاريخ مدينة خط الاستواء . المسوحات القطبية في الشرق الادنى خلال العصور الوسطى . السن وعلاجه . مجلة جمعية الآثار القبطية . ديوان الجارم

بشر فارس

«مفرق الطريق»

مسرحية في فصل واحد

مع مقدمة جامعة في الطريقة الرمزية في الآداب والفنون

وهو الكتاب الذي أجمع النقاد على انهُ نتج جديد في الأدب العربي وعنوان للتفكير العالي والانشاء الرفيع

الطبعة الفاخرة على صنفين من الورق النادر مع صورة ورمزية خاصة على الغلاف وتزاويق وخطوط مبتكرة في داخله . والنسخ معدودة مرقومة

ثمن النسخة ١٠ و ١٢ قرشاً صاغاً مصريًّا حسب صنف الورق يضاف اليه ٥ قروش صاغ للبريد المسجل خارج القطر

يطلب من ادارة المقتطف ومن مكتبة النهضة بشارع المدابغ بمصر

لا غنى ...

للسيدة في بيتها

والفتاة في معهدها

عن صديقتهما

الطالبة

مجلة شهرية

تبحث في شؤون المرأة والادب والعلم والفن والرياضة

الاشتراك السنوي

عشرون قرشاً

الادارة — ٣ ميدان سوارس بمصر

تاريخ اليقظة القومية عند العرب

وهو الحلقة الثالثة من كتاب الدولة العربية المتحدة

تأليف الاستاذ أمين سعيد

يحتوي على تاريخ مفصل لكفاح الاقطار العربية في سبيل الحرية والاستقلال

منذ اعلان الحرب العظمى سنة ١٩١٤ حتى الآن

صور مشاهير زعماء العرب الذين قادوا الحركات القومية في هذه المراحل وسيرهم

عدد صفحاته ٦٥٠ صفحة بالقطع المتوسط

ثمنه ٢٠ قرشاً صاغاً عدا أجرة البريد ويطلب من مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر

الجريدة السورية اللبنانية

الجريدة الرسمية للنزالة العربية في الارجنتين

تصدر صباح كل يوم من ١٦ صفحة باللغتين العربية والاسبانية

أنشأها الاستاذ موسى يوسف عزيزه في ١٢ ك ٢ سنة ١٩٢٩

مديرها الحالي : أمين قسطنطين

رئيس التحرير المسؤول في القسم العربي : الياس قنصل

يحرر فيها نخبة من حملة الاقلام الحرة عنوانها :

EL DIARIO SIRIOLIBANES

Avenue [illegible] 849

Buenos Aires Rep. Argentina

مجلة الشرق

ادبية سياسية مصورة

انشئت للدعاية عن الشؤون البرازيلية ومآتي النزلاء الشرقيين في البرازيل تصدر باللغة العربية مرتين في الشهر — صاحبها ومحررها الاستاذ موسى كريم ويشترك في تحريرها طائفة من اكبر ادباء العربية في البرازيل وبدل اشتراكها ٢٤٠ قرشاً صاغاً

وعنوانها : Journal Oriente
Caixa Postal 1402, Sao Paulo, Brazil